الجامعة اللبنانيّة

كلية الحقوق والعلوم السِّياسيَّة والإدارية

العمادة

دور حركات الإسلام السِّياسيّ في الأزمة السُّوريَّة

(٢٠١١-٢٠١٩)

رسالة لنيل شهادة ماستر في العلاقات الدُّوليّة والدبلوماسية

إعداد

زهراء إبراهيم عقيل

لجنة المناقشة

د. أحمد ملِّي	الأستاذ المشرف	رئيسًا
د. منى الباشا	أستاذ مساعد	عضوًا
د. علي يونس	أستاذ مساعد	عضوًا

٢٠٢١-٢٠٢٢

"الجامعة اللبنانية غير مسؤولة عن الآراء الواردة في هذه الرسالة وهي تُعَبِّر عن رأي صاحبها فقط"

الفهرست

المقدّمة

نشأ مفهوم "الإسلام السِّياسي" بعد إلغاء الخلافة العثمانيّة في الرّبع الأوّل من القرن العشرين، وذلك بعد ظهور تيارات وحركات اسلاميّة فكريّة تنطلق من الفهم الشُّمولي للاسلام. ولعلَّ المبدأ الأساس الذي تتَّفق عليه كافة حركات الاسلام السِّياسيّ هو مبدأ دمج الدّين بالسّياسة. بحيث ترى هذه الحركات بأنَّ طبيعة الدِّين الاسلاميّ تجمع ما بين الجانبين الرُّوحي والماديّ، وهو بذلك يأخذ بيد النّاس إلى الحياة المثلى. ولأنَّ الإنسان، بحسب هذه التَّيارات الفكريَّة، عليه أن يُغذِّي إيمانَه الرُّوحي خلال سعيه للعيش الكريم، فقد تداخَلَ الفكر الدّيني مع المجالات السِّياسيَّة والإقتصاديّة والإجتماعيّة. ولعلَّ التَّداخل بين الدّيني والسِّياسي لم يكن وليد لحظة، انَّما هو استجابة لتحوُّلات مجتمعيَّة حصلت. فعلينا أن لا نتجاهل الارضيَّة الاجتماعيَّة الّتي تعيش فيها تلك التَّيارات فضلًا عن تعليمات الشَّريعة الاسلاميَّة. لكنَّ محاولة تلك التَّيارات بأن تفرض حضور الدِّين في السِّياسة وفقًا لنسقها الفكريّ، يتعدّى السِّياق التَّجريدي، ليتناول الجوانب العمليَّة على جميع الصُّعد في الحياة الاجتماعيَّة بما فيها اساليب الاستدلال والممارسة. على أنَّ نجاح هذه المحاولة مرهون بالتَّأييد الشعبيّ لتلك الحركات والانسجام مع ثقافته الاجتماعيّة بشكل عام.

ومن بين الدُّول العربيَّة الّتي شكَّل الاسلام السِّياسيّ فيها عاملًا ملحوظًا، كانت الجمهوريَّة العربيَّة السُّورية، وذلك منذ نيلها استقلالها حتَّى الوقت الحاليّ، فقد تعاظم دور تلك الحركات فيها وبالأخص في الحقبة الّتي امتدَّت من السِّتينات حتى الثَّمانينات، حيث اشتدَّت المواجهات بينها وبين النِّظام وانتهت هذه المواجهات لصالح الأخير. وفي العام ٢٠١١، عادت حركات الاسلام السِّياسيّ إلى الواجهة في سوريا من جديد، حينما اندلعت احتجاجات شعبيّة كبيرة في الخامس عشر من آذار. وذلك بعد مرور أشهر على بدء ثورات "الرَّبيع العربي"، حيث كان ملفتا مشاركة الإسلاميّين بفاعليَّة في هذه الثَّورات. وقد سعت حركات الاسلام السِّياسيّ في سوريا جاهدةً إلى طرح نفسها كبديل سياسيّ، عبر إتِّخاذ المرجعيّة الاسلاميَّة محدِّدًا رئيسًا في رؤيتها السِّياسيَّة الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة. وفي هذا الإطار نعرض دور حركات الاسلام السِّياسيّ في سوريا منذ بداية الأزمة في العام ٢٠١١ حتَّى العام ٢٠١٩.

1- إشكالية البحث:

لعلَّ الحدث الأهمّ في تاريخ سوريا المعاصر كان وصول حزب البعث إلى سدَّة الحكم، وكان من شأن حدث كهذا أن يحدث تغيُّرات في التَّوازنات الإقليمية الّتي ما زلنا نعيش آثارها. كما وكان لهذا الحزب المعروف بعلمانيَّته دور كبير في مواجهة تيارات الإسلام السِّياسيّ، والحدّ

من طموحاتها، وذلك في المراحل الأولى من حكمه. ولأنَّ أكثر من ثلثيّ الشَّـعب السُّـوري ينتمي إلى الطَّائفة السُّــــنيَّة، كان لا بدَّ للنِّظام من أن يملأ الفراغ الذي تركته تلك التَّيارات، فعمد إلى التَّعاون مع مؤسَّسات دينيَّة معتدلة ذات منحى صـوفي، وأعطاها امتيازات خاصَّــة وصـلت حد مشاركتها في البرلمان. ولكن تجدَّدت المواجهة بين النِّظام الحاكم وبين تيَّارات الإسلام السِّياسيّ من جديد منذ العام ٢٠١١ عندما بدأت الأزمة السُّوريَّة الّتي استمرَّت حتَّى عامنا الحالي.

وقد تنوَّعت مواقف حركات الإســـلام السِّـــياســـيّ في ســـوريا وتباينت إلى حد ما، إلا أن معظمها قد شارك في تنظيمات المعارضة المسلَّحة ضد النِّظام، واستطاعت ان تلعب دورًا كبيرًا في تأجيج الأزمة السـوريَّة، وذلك بهدف إسـقاط النِّظام واسـتبداله بدولتها الاسـلاميَّة المنشـودة، ومسـتفيدة من دعم قوى خارجيَّة في محاولة لتحقيق مسـاعيها. ومع ذلك لم تُفلح تلك التَّنظيمات المعارِضـة بالوصـول إلى هدفها، إذ أنَّ النِّظام لم يسقط. **فإذا كانت تنظيمات الإسلام السِّياسيّ في سـوريا تسـتمدُّ حضـورها وتغتذي على خلفيَّة دينيَّة تشـكِّل الحضـور الأكبر في المجتمع السُّـوري، إذن لماذا لم تنجح في كســب واســتمالة ذلك المجتمع ليكون ظهيرًا لها في عمليَّة إســــقاط النِّظام**؟ وكيف نفسِّــــر نمو تلك التَّنظيمات في ظلِّ نظامٍ علمانيّ حَكَم لمدَّة تزيد عن الخمســــين عاما؟ ثمَّ هل أنَّ تحقيق هدف تلك التَّنظيمات بإســـقاط النِّظام ممكن بالإتِّكاء على المنطلقات المرجعيَّة الدينية وحدها أم أنَّها تحتاج إلى الموائمة الموضـــــوعيَّة بينها وبين الواقع المعاش بجميع تنوُّعاته الفكريَّة والثقافيَّة؟ وهل طلبت هذه التَّنظيمات تدخُّل قوى خارجيَّة لإعانتها على تحقيق أهدافها، أم أنَّ القِوى الخارجيَّة هي الّتي سعت للتدخُّل لبلوغ مصالح خاصَّة بها؟

2- فرضيات البحث:

تحاول الدِّراسة التَّحقُّق من الفرضيَّات التَّالية:

- الجذور الدِّينيَّة للحركات الاسلاميَّة هي مذهبيَّة، فكل حركة تتبع لمذهب عقدي فكري ترتكز عليه دينيًّا، بينما هي ترتكز ســـياســـيًّا على الدَّعم الدُّوليّ أو الإقليمي أو المحلِّي، وتختلف معاييرها فيما يتعلَّق بالعمليَّة السِّـــياســـيَّة بحســـب أهدافها المُعلَنَة أو المُضْمَرة، وعلاقتها بالنِّظام الحاكم، ورغبتِها في تَوَلّي السُّلطة أو المشاركة السِّياسيَّة.
- نَشَـأَتْ حركات الإسـلام السِّـياسـيّ وتطوَّرت وفقًا لخليط تراثي ومعاصـر يتأثَّر بالشَّـخصـيَّة الّتي تتزعَّم كل تيَّار، ولاسـيَّما الحركات السَّـلفيَّة التَّكفيرية الّتي تُطلِق على نفســـها لقب "جهاديَّة"، هذه الحركات الّتي لم تســـتطع الّتعايش مع النِّظام البعثيّ في سـوريا، ولم تحقِّق أهدافًا سـياسـيَّة تنمويَّة تصـبّ في المصـلحة العامَّة للدَّولة والمجتمع

السُّـــوري قبل ٢٠١١، بل بقيت عبارة عن مبادرات متفرِّقة لم تشـــكّل اتجاهًا واضـــحًا وفعَّالًا.

- بَدَأَت الأزمة السُّوريَّة كإنتفاضـة شعبيَّة للمُجتمعات المحليَّة ضدَّ السُّلطة، ولكن سرعان ما تمَّ إحالتها إلى أيديولوجيا أو مشـروع سـياسـيَّ، وقد تمَّت محاولة جمع شـمل هذه الجهات المعارِضة والمتعارِضة في حزمة واحدة لتصلَ إلى تغيير النِّظام الحاكم.
- شـكّلت المواقف والتَّدخُّلات الخارجيَّة، على المسـتوى الإقليمي والدُّوليّ، عاملًا رئيسًـا في تأجيج الصِّـراع، حيث ذهبت الأمور إلى محاولة حسـم المعركة عسكريًّا، ولم يكن هناك أفقًا للتَّفاوض والتَّسوية السِّياسيَّة، إلا مؤخّرًا وفق موازين القوى في الميدان.

3- منهج البحث:

إعتمدنا في مقاربة هذا البحث على المنهج الوصـفيّ من خلال توثيق الوقائع الّتي اسـتندنا إليها في بيان الموضـوع، وتطوّر المسـارات الثَّقافية والسِّـياسـيَّة والعسـكريَّة والأمنيَّة منذ نشـأة حركات الإسلام السِّياسيّ في المجتمع السُّوري. كما استخدمنا المنهج التحليليّ في تجزئة القضيَّة المعالَجة، وتفســيرها وإعادة تركيبها، لفهم الظَّاهرة المدروســة، وبيان العلاقات بين تمظهراتها المتنوِّعة، والتَّمييز بين حركات الإسـلام السِّـياسـيّ سـواء على المسـتوى العقدي أم السِّـياسـيّ أم استخدام القوَّة والعنف في سبيل تحقيق أهدافها.

4- أهميّة البحث:

تنبع أهميَّة هذا البحث من أهميَّة القضـيَّة الّتي يطرحها، فقد شـغلت الأزمة السُّـوريَّة العالم على مدار سنوات طويلة في عصرنا الرَّاهن، وكان آخرها التَّحول الَّذي طال دولًا عربيَّة وإسلاميَّة عديدة، حيثُ تحوَّل النِّقاش من نقاش ديني عَقَدي فكري ثقافي وسـياسـي، إلى قتالٍ عسـكريٍّ في سوريا.

5- أهداف البحث:

تسعى الدِّراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- تبيان ماهيَّة الحركات الاسلاميَّة ومعاييرها فيما يتعلَّق بالعمليَّة السِّياسيَّة الرَّاهنة والّتي تتميَّز بالصُّعوبة والتَّعقيد.

- التَّعرُّف على نشـأة حركات الإسـلام السِّـياسـيّ وجذورها الفكريَّة وتطوُّرِها وأثرها في المجتمع السُّوري قبل ٢٠١١.
- تحديد دور التَّيارات والفصائل الاسلاميَّة في الحرب السُّوريَّة (سياسيًّا، عسكريًّا، إعلاميًّا).
- تحليل المواقف والتَّدخُّلات الخارجيَّة والتسـوية السِّـياسـيَّة، سـواء على المسـتوى الإقليمي أو الدُّوليّ.
- ربط الجهاديَّة الاسلاميَّة السُّوريَّة بالصِّراع على سوريا.

6- مصطلحات البحث:

- **حركات الإسلام السِّياسيّ:**

حركات الاسـلام السِّـياسـيّ هي تلك الّتي تسـتند إلى الشَّـريعة الاسـلاميَّة، في محاولة منها لبناء نظام حكم سياسي إسـلامي. بحيث تؤمن هذه الحركات بأن الإسـلام "ليس عبارة عن ديانة فقط وإنما عبارة عن نظام سياسي وإجتماعي وقانوني وإقتصادي يصلح لبناء مؤسّسات الدَّولة" .

- **الأزمة السُّوريَّة:**

تعني الأزمة السِّـياسـيَّة في أوسـع معانيها "موقفًا مفاجئًا يُهدِّد بتحوُّل جذري في الوضـع القائم بسبب المفاجأة وضيق الوقت المتاح لاتّخاذ القرار، والتَّهديد القائم للمصالح الحيويَّة" .

ويمكن تعريف الأزمة السُّـوريَّة على أنها صـراع بين طرفين، وهو صـراع اتَّخذ في البدء شكل انتفاضـة ليتحول فيما بعد إلى حرب داخليَّة للتّوسـع وتصبح إقليميَّة عبر دعم دوليّ لبعض التَّنظيمات، فهي أزمة مركّبة: داخليَّة – إقليمية – دوليّة – تنظيمات عابرة للحدود، وفي المسـار المتحرّك للأزمة، أمسك «الدُّوليّ» بمقود الصِّراع السُّوري، ونافسه «الإقليمي»، على رسم مسار الأزمة السُّوريَّة .[٣]

١- فيصل عبد الغفار، **الربيع العربي**، الطبعة الأولى، دار الجنادرية للنشر والتوزيع، عط ن،٢٠١٥، ص ٥

٢- علاء عبد الحفيظ، **الأزمات السِّياسيَّة الدُّوليّة: المفهوم . الأنواع . الإدارة**، تاريخ النشر: ١٧أبريل، ٢٠٢٠، تاريخ الدخول ٦-٧-٢٠٢١، على الرابط: https://eipss-eg.org

٣- محمَّد رصاص، **ثورة سورية أم أزمة سورية؟**، جريدة الأخبار، الخميس ٣ كانون الأول ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ٩-٢-٢٠٢٢:

https://al-akhbar.com/Opinion/297178

- **التَّدخُّل الدُّوليّ:**

يمكننا القول بأن التَّدخُّل الدُّوليّ هو عبارة عن تدخُّل دولة في شــؤون دولة اخرى، ويمكن ان يكون هذا التَّدخُّل اقتصـادي او سياسـي او عسكري. وقد برز خلال الأزمة السُّوريَّة لاعبين دوليِّين، كانوا يدعمون بشكل مباشر وغير مباشرة إمّا المعارضة السُّوريَّة وإمَّا الدَّولة الُسوريَّة.

- **التَّدخُّل الإقليمي**

يتمثل التَّدخُّل الإقليمي بتدخُّل دولة إقليميَّة في شــؤون دولة أُخرى. وقد برز خلال الأزمة السُّوريَّة عدد من اللّاعبين على الصَّعيد الإقليميّ، وكان لهم تأثيرٌ إمَّا مباشر بالمشاركة الفعليَّة أو غير مباشر عن طريق الحرب بالوكالة.

7- تقسيم البحث:

قُسِّمَتْ هذه الرِّسالة إلى قِسمين: القسم الأوَّل والذي يحمل عنوان "نشأة حركات الإسلام السِّياسيّ وأثرها في المجتمع السُّوري قبل ٢٠١١" والذي تَضَمَّن فصلين. والقسم الثَّاني تحت عنوان "حركات الإسلام السِّياسيّ والصِّراع في سوريا" وشَمِلَ أيضًا فصلين.

8- صعوبات البحث:

رغم محاولتنا الإحاطة بموضوع بحثنا، إلا أننا واجهنا صعوبات تتمثَّل بالتَّعبير عن بعض الأفكار والأحداث الّتي تابعناها من خلال وســائل الإعلام، ولكنَّنا لم نجدها مُوَثَّقة في كتب. كذلك قابلنا عوائق على مستوى اتِّساع الموضوع. إضافة إلى مُعضلة الإستفادة من مراجع متنوِّعة، ولاسيَّما الكتب، والدِّراسات السَّابقة، والمجلَّات العلميَّة، والمواقع الإلكترونيَّة، ولاسيما في ظلّ جائحة كورونا.

القسم الأول: نشأة حركات الإسلام السِّياسيّ وأثرها في المجتمع السُّوري قبل ٢٠١١

لم تكن نشـأة حركات الاسـلام السِّـياسـيّ في العالم العربيّ وليدة صـدفة، بل أتت نتيجةَ تضـــــافر عوامل داخليَّة وخارجيَّة مترابطـة. فقد كـان من تداعيات الحرب العالميَّة الاولى، الاســـتعمار الأوروبيّ لدول عربيَّة، ممَّا حتَّم وقوف القيم الغربيَّة في مواجهة القيم الاســـلاميَّة، وانعكس اضـــــطرابا قيميًّا داخل المجتمعات. وقد ادَّى ذلك إلى برزو العديد من علماء الدِّين مقدِّمين طروحاتهم الفكريَّة. فمنهم من ذهب إلى ضـــــرورة التَّوفيق بين الدِّين الاســـــلامي وبين الحداثة الغربية، ومنهم من ذهب إلى اعتماد وسـائل متنوِّعة في سـبيل إسـتعادة الدَّولة الإسـلاميَّة بعد انهيار الخلافة العثمانيَّة، من أجل الحفاظ على الهويَّة الدِّينيَّة الأصــيلة. وكانت أهداف تلك التَّيارات ووسائلها هي الّتي تُحَدِّد طبيعة علاقتها بالسُّلطة الحاكمة.

وتتحدد ماهيَّة علاقة حركات الاسـلام السِّياسـيّ بالدَّولة، وفقًا للمنهج الَّذي تعتمده بالتَّعبير عن رؤيتها الاسـلاميَّة، ووفقا للسِّـياسـة الّتي تتَّبِعُها الدَّولة تجاه الدِّين. وسـنعالج في القسـم الاول من بحثنا المشـارب الفكريَّة لتيَّارات الاسـلام السِّـياسـيّ وتاريخ تطوُّرها، كما سـنتطرَّق إلى بداية تشـكُّل حركات الاسـلام السِّـياسـيّ في سـوريا والمراحل الّتي مرَّت بها منذ انطلاق تاريخ سـوريا، الحديث عام ١٩٢٠ وصولا إلى مشارف العام ٢٠١١، أي قُبَيْل اندلاع الأزمة السُّوريَّة.

الفصل الأول: الإسلام السِّياسيّ النَّشأة والتَّطوُّر

لقد نَشَأَتْ حركات الإسلام السِّياسيّ متأثِّرةٍ بنشأة علم الكلام نشأةً سياسيَّةً حول الخلافة بعد وفاة الرَّسول نصًّا أو بيعة وتعيينًا أو اختيارًا وعهدًا أو عقدًا. "وكلّ الخلافات الإجتماعيَّة بين الجماعات المختلفة في تاريخ الدَّولة الاسلاميَّة كان يتمّ التَّعبير عنها من خلال اللُّغة الدِّينيَّة في شكلها الأيديولوجيّ"[4] . فقد بدأ الخلاف السِّياسيّ والتَّنظير له بين القوى السِّياسيَّة المعارضة، من الدَّاخل السُّلطة الأمويَّة الّتي أفرزت تنظيرها السِّياسيّ تمظهرًا في الأشعريَّة، ومن خارج السُّلطة تمظهرت من خلال الشِّيعة، والمعتزلة والخوارج. كما نشأ التَّصوُّف كرد فعل عكسي على التَّيار الغارق في حب الدُّنيا[5] .

ومع نشوء قضايا جديدة في العقيدة في القرن التَّاسع ميلادي "نشأت طائفة من العلماء والسَّلفيّين تصف هذه الأعمال بالشِّرك"[6] وكان من أبرزها أحمد بن حنبل وابن تيميَّة ومحمَّد بن عبد الوهَّاب، الَّذين فتحوا باب التَّكفير على مصـــــراعيه، بحيث أنَّ الحُكْم على الإيمان يكون بثلاثة أركان هي "الإقرار بالجنان والتَّكلُّم باللِّسان والعمل بالأركان "فإن اختلَّ رُكْنٌ واحدٌ من هذه الأركان حُكِمَ بالكُفر" ، وقد بقيت كل كتب العقيدة[7] محصـــــورة بالعلماء الثَّلاث حتى نهاية الدَّولة العثمانيَّة. ونشير إلى أنَّ التَّكفير بالمصطلح الإسلاميّ "هو الحكم بكون الآخر غير مسلم"[8] ، ولكن اختلفت المذاهب الاســـلاميَّة في تحديد موجبات الكفر ونظرة السُّـنة النَّبوية له. ولعلَّ أوَّل حالة تكفير في الإســـلام حصــلت في عهد الخليفة عثمان، وذلك مِن قِبَل الخوارج بحيث "اتَّخذوا من التَّكفير مرتكزا لأفعالهم" وقد تُوِّج مبدؤهم هذا بقتل[9] الخليفة الرَّابع عليّ بن أبي طالب. واستمرَّت ظاهرة التَّكفير متَّخذةً أشكالًا مختلفة على مرِّ العصور، حتَّى ارتبطت بالإرهاب مُقترنةً

٤- نصر حامد أبو زيد، **التفكير في التَّكفير ضد الجهل والزيف والخرافة**، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٣١.

٥- حسن حنفي، **الحركات الاسلاميَّة واثرها في الاستقرار السِّياسيّ في العالم العربي**، الإمّارات، مجموعة باحثين، دراسة تحت عنوان "الإسلام السِّياسيّ بين الفكر والممارسة"، الطبعة الأولى، مركز الإمّارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠٠٢، ص ٥٧

٦- رفعت سيد أحمد، **النبي المسلح الرافضون**، الطبعة الأولى، رياض الريس للكتب والنشر، لبنان، ١٩٩١، ص ٣٢

٧- رفعت سيد أحمد، **النبي المسلح الرافضون**، مرجع سابق، ص ٤٩

٨- أكرم بركات، التَّكفير ، الطبعة الأولى، دار الأمير، لبنان، ٢٠١٤، ص ١٩.

٩- محمَّد الحريري، **الجذور التاريخية لظاهرة التَّكفير عند الخوارج**، مؤتمر ظاهرة التَّكفير ، المحور ٢، البحث ٦، ص ١٣٠١.

بحركات إســلاميَّة ســياســيَّة في عصــرنا الرَّاهن. ومن تلك الحركات، تصــدَّرت حركة الدَّولة الاســلاميَّة في العراق والشــام "داعش" المرتبة الأولى في الوســائل الإعلاميَّة العالميَّة والمحليَّة بتقديم أعنف المشاهد الحيَّة الّتي ممكن أن تحصل في القرن الواحد والعشرين.

وجدير بالذِّكر أنَّه رَغم دعوة العلماء الأوائل مثل ابن حنبل إلى تحريم قتال السُلطان مهما صــــدر عنه، إلا أنَّ هناك اجتهادات حصـــــلت مع تقدُّم الأزمنة جعلت من زعماء التَّيارات الاسلاميَّة يبعثون في نفوس الإسـلاميين بأنَّ قتال السُـلطان أمر واجب إذا تعارضـت ممارسـاته مع مبادئ الشَّريعة.

وفيما يلي ســـــنعرض المنابع الفكريَّة الأولى لمثل هذه التَّيارات مرورًا بالمراحل والتَّطوُّرات الّتي طرأت عليها والّتي أثَّرت بتيَّارات الإسـلام السِّياسـيّ المعاصـرة، حتَّى صـارت على ما هي عليه.

المبحث الأول: الجذور الفكريَّة لتيَّارات الإسلام السِّياسيّ

تعدَّدت أشكال حركات الإسـلام السِّياسـيّ، إلا أنَّ ما تم تسليط الضَّـوء عليه هو التَّطرُّف في ممارســاته ببعده الإرهابيّ. وعلى ضــوء تحليلنا لصــيرورة الجذور الفكريَّة لهذا التَّطرُّف، نجد انه يضرب بجذوره العميقة في بدايات التَّاريخ الإسلاميّ مساهمًا بتوليد أيديولوجيَّة سياسيَّة تزداد تشدُّدًا مع كلِّ عصر.

المطلب الأول: المنابع الفكريَّة الاولى للحركات الاسلاميَّة

لعل أحمد بن حنبل[1] قد اسـتحوذ على مكانة هامة كمنبعٍ فكريّ سـلفيّ[1] لا يزال يغسـل أدمغة المتشـدِّدين من الإسـلاميِّين اليوم. ويعدُّ بن حنبل "النَّاطق الأوَّل بلسـان السَّـلف"[1]، "وقد حَدَّدت أقوال أهل الحديث القدامى وُجهة تفكير ابن حنبل في العقائد والفقه على نحوٍ ثابت"[1].

١- فقيه ومحدِّث مسلم، ورابع الأئمة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الحنبلي، ولد في بغداد ﻋﺎ م ٧٨٠م وتوفي ﻋﺎ م ٨٥٥م

١- أي يتبع منهج السلف الصالح، والسلف هم المسلو نلأ وائل من الصحابة والتابعين وتابعيهم.

١- عبد المنعم الحنفي، **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الاسلاميَّة**، الطبعةلأ ولى، دار الرشد، مصر، ١٩٩٣، ص ١٩٧.

١- عمار حسن، **الّتيار السلفي الخطاب والممارسة**، الإمّارات، سلسلة محاضرات الإمّارات، العدد ١٦٢، مركز الإمّارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠١٣، ص ١٠.

"والحقيقة أنَّ النِّظام الحنبليَ لا يقف عند حدود وضــع منهجٍ أصــوليٍّ لمعرفة الأحكام، إنَّما يقوم أيضًا على مجموعةٍ من المسائل" ، ومنها مسألتين غاية في الأهميَّة هما الجهاد والكفر.[١]

وكان من ثمرة كتاباته وأفكاره أن ظهر المذهب الحنبليّ متميّزًا "بإعطاء فريضــــة الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر أهميَّة كبيرة في التَّطبيق والتَّنفيذ، ومتميّزا أيضًـــا بالإتِّباع للسَّــلف ومناهضــة البِدَع والوقوف في وجه كلِّ دعوة أو سلوك من شأنه أن يفتح ثغرة في الدِّين" . وقد كان "الأَثَر[١] أســاس اجتهاده وفتاويه"[١]. وقد أَمَرَ تلامذته بأنَّ "فريضــة الذَّب عن الشَّــريعة في أصـولها وفروعها قد وجبت بعدما استفحل أمر الزَّنادقة وصــارت فتنتهم تنفذ إلى قلوب الخواصّ والعوام"[١] .

لقد عايش ابن حنبل عهد المأمون الّذي حَمَلَ العلماء على القول بخلق القرآن[١] ، "فلم يســتجب ابن حنبل للأمر وكان رأيه فيمن أجاب للدَّعوة أنه كافر"[٢] . وفي كتابه "السُّــنة" ينعت أحد الذين قالوا بخلق القرآن بالكافر . ونُقل عنه قوله "من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافر"[٢] . وكانت تلك الفتوى بداية لاجتهادات كثيرة تقضـــي بتكفير الآخر. وفيما يخصُّ السُّــلطة السِّــياســيَّة، فيذهب ابن حنبل للقول: "لا يحل قتال السُّــلطان ولا الخروج عليه لأحد من النَّاس، فمن فعل ذلك فهو مُبْتَدِعٌ على غير السُّنة والطَّريق"[٣][٢] .

١- فهمي جدط ن، **الماضي في الحاضر**، الطبعةالأ ولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنا ن ١٩٩٧، ص ٨٤

١- عبد الله التركي، **المذهب الحنبلي**، الطبعةالأ ولى، مؤسسة الرسالة، لبنا ن، ٢٠٠٢، ج ١، ص ٣٣٥

١- أي حديث مأثور ينقله خلف عن سلف.

١- عبد الغني الدقر، **أحمد بن حنبل إمّام أهل السنة**، ط ٤، دار القلم، دمشق، ١٩٩٩، ص ٦٢.

١- عبد الله التركي، **المذهب الحنبلي**، مرجع سابق، ص ٣٥٣

١- هي من المسائل الكلامية الّتي أثيرت بين المعتزلة والأشاعرة، ففي حين يعتبر المعتزلةأ ن القرآ ن محدث مخلوق، يرد الأشاعرة بأ ن القرآ ن قديم غير مخلوق.

٢- عبد الغني الدقر، **أحمد بن حنبل إمّام أهل السنة**، مرجع سابق، ص ٧٠+ ١٧٥.

٢- احمد بن حنبل، **كتاب السنة**، المطبعة السَّلفيَّة ومكتبتها، السعودية، ١٩٣٠، ج ١، ص ٣١

٢- حافظ أحمد الحكمي، **معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول**، الطبعة الثالثة، دار ابن القيم، السعودية، ١٩٩٥، ص ١٤٣.

٢- عبد الله التركي، **المذهب الحنبلي**، مرجع سابق، ص ٣٦٤

ويرى فهمي جدعان أنَّ الممثِّل الحقيقيّ للنَّزعة السَّـــلفيَّة هو أبو جعفر الطَّحاوي الَّذي حدَّد الأسـس الّتي يقوم عليها نهج السَّـلف، ومن جملة أُسُـس منهجه "إنَّ الأصـول هي الكتاب والسُّـنة وإجماع الأمَّة، ودين الله محصـور بدين الإسـلام متبرِّئًا من كلِّ المذاهب المخالفة. لكنَّه اتَّفق مع ابن حنبل بعدم الخروج على السُّلطان وإن جار"[٥] .

وحريٌّ بالِّذكر أنَّ مدرســته، أي مدرســة الطَّحاوي، قد ســميَّت بالسَّــلفيَّة الدِّفاعية نظرًا لصــلابته في التَّمسـك بالدِّفاع عن قناعاته "حتَّى أصـبحت المدرسـة السَّـلفيَّة مدرسـة معياريَّة بالتَّمسـك بالكتاب والسُّـنة النَّبويَّة ونهج السَّـلَف الصَّـالح ومفارقة البدع"[٦] ، ورغم ذلك فإنَّ معياره الأساس كان التَّمسُّك بالحق دون التَّحريض على الحاكم.

لقد حدَّ المذهب الوهَّابي كثيرًا من اســتخدام العقل، رافضًــا مدارس الفقهاء والمجتهدين ومتمسِّكًا بالأحاديث كما هي، وإن كان سندها ضعيفًا، فقد قال: "السُّنَّة عندنا آثار الرَّسول وليس في السُّــنَّة قياس، ولا تُضْــرَبُ لها الأمثال ولا تُدْرَكُ بالعقولِ والأهواء، إنَّما هو الإتِّباع" مؤكِّدًا على أهميَّة التَّسليم بالأحاديث دون إعطاء العقل أي أهميَّة تُذكر في التَّفكير.

وتجدر الإشـارة إلى أنَّه لا يمكن تحديد إطار واحد للسَّـلفيَّة، وذلك نظرًا لتشـعُّب المسـائل الّتي لم يتَّفق على تفاصــيلها الجميع، ومع ذلك "فالسَّــلفيَّة التَّاريخيَّة تبلغ مع ابن تيميَّة أوج نضــوجها واكتمالها، ومعه اتَّخذ المنهج صــورته البيّنة الّتي حَدَّدَت الطَّريق لكل السَّـلفيّين الَّذين انتسبوا إلى السَّلفيَّة بعده" . فالمذهب الحنبلي "هو الجدُّ الأكبر للمذهب الوهَّابي عن[٢]طريق ابن تيميَّة" ، فعلى طريق ابن حنبل والطَّحاوي جاء ابن تيميَّة ليدافع عن سـنن السَّـلَف بأدلَّةٍ جديدةٍ تناسب ظروفَ عصره.

٢– هو أحمد بن محمَّد الطحاوي، ولد في مصر، فقيه من أنصار المذهب الحنفي وصار رئيسا عليه في مصر، ولد عام ٨٥٢م وتوفي عام ٩٣٣م

٢– فهمي جدعان، **الماضي في الحاضر**، مرجع سابق، راجع ص ٨٦ ٨٩.

٢– محمَّد جول، **الوهَّابيَّة والسلفية الأفكار والآثار(** ورقة بحثية تحت عنوان "الحركة الوهَّابيَّة في ميزان التأصيل السلفي"**)**، الطبعة الأولى، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، ٢٠١٦، ص ١١٧.

٢– عبد القادر بدران، **المدخل إلى مذهب الإمّام احمد بن حنبل**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦، ص ٢٦.

٢– فهمي جدعان، **الماضي في الحاضر**، مرجع سابق، ص ٩٣.

٢– عبد المنعم الحنفي، **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الاسلاميَّة**، مرجع سابق، ص١٩٥.

لقد أثَّر المذهب الحنبليّ كثيرًا بالحَجْرِ على العقل، وَتَبِعَهُ ابن تيميَّة الّذي أكّدت عقيدته على الإقتداء بمنهج السَّلَف، وسخَّر كتابات كثيرة متحدّثا عن الجهاد والتَّكفير، والّتي تُعْتَبَرُ المُلهِم للحركات السَّلفيَّة الجهاديَّة المعاصرة. لقد اعتبر ابن تيميَّة بأنَّ الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر في حدود الله الكبرى "فكل طائفة ممتنعة عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظَّاهرة والمتواترة، يجب جهادها حتَّى يكون الدِّين كلّه لله باتِّفاق العلماء" [٠]، والتَّاركُ للصَّلاة "يجب قتْله إذا امتنع" [٣]، معتبرًا أنَّ "كلَّ كافرٍ يُباح قتله" [٤]. كما أنَّه يشدِّد على أنَّ "كلّ من بلغته دعوة رسول الله إلى دين الله الذي بعثه به فلم يستجب فإنَّه يجب قتاله" [٤].

"وكان ابن تيميَّة من كبار علماء المدرسة السَّلفيَّة التَّأصيليَّة الّذين دَعَوْا إلى الجهاد ومارسوه بأنفسهم عندما تعرضت بلاد المسلمين إلى العدوان الخارجيَ" [٥]. فالجهاد "أفضل ما تطوَّع به الإنسان"، كما أنَّ "من امتنع عن الجهاد قُوتِل" ، وبهذا أوجبت الشَّريعة قتاْل الكفَّار، فالقتل المشروع هو "ضرب الرَّقَبة بالسَّيف ونحوَه لأنَّ ذلك أسرع أنواع القتل" [٧]، "وقد يتنازع الأئمَّة في بعض أنواع القتل كالتَّحريق بالنَّار عند شدة الذُّنوب فيجوز ذلك" [٨].

"ويمكنُ القول بأنَّ ابن تيميَّة كان القنطرةُ السَّلفيَّةُ الوُسطى الّتي عَبَرَتْ منها المدرسة السَّلفيَّة من مدارسها الأولى، إلى المدارس السَّلفيَّة المتأخِّرة على يديّ محمَّد بن عبد الوهَّاب" .

ومع ابن تيميَّة "أصبح إصطلاح الدَّليل، هو الرُّكن المكين للطَّريق السَّلفي إذ لا يَبتُّ شيوخ السَّلفيَّة في أمر إلا بالبحث عمَّا يسمُّونه الدَّليل الشَّرعي ويبنونه من آيات القرآن والأحاديث

٣– هو تقي الدين بن عبد اللا م النميري الحراني، فقيه حنبلي ومحدّث ومفسّر من علماء أهل السنة والجماعة، ولد في مدينة حرا ن ط م ٦٦٣م وتوفي ط م ١٣٢٨ م

٣– ابن تيمية، **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**، الطبعة الأولى، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، جدة، ٢٠٠٨، راجع ص ٩٦.

٣– المرجع نفسه، ص ٩٧.

٣– عبد المجيد المشعبي، **منهج ابن تيميَّة في مسألة التَّكفير** ، المجلد الأول، الطبعة الأولى، مكتبة أضواء السلف، السعودية، ١٩٩٧، ص ٢١٧.

٣– ابن تيمية، **فقه الجهاد**، دار الفقه العربي، لبنا ن، ١٩٩٢، ص ٧١.

٣– محمَّد جول، **الوهَّابيَّة والسلفية الأفكار والآثار**، مرجع سابق، ص ١١٩.

٣– ابن تيمية، **فقه الجهاد**، مرجع سابق، راجع ص ٧٣ ٧٤.

٣– ابن تيمية، **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**، مرجع سابق، ص ١٠٤.

٣– المرجع نفسه، ص ١٠٦.

٣– محمَّد جول، **الوهَّابيَّة والسلفية الأفكار والآثار**، مرجع سابق، ص ١١٧.

المنسـوبة للنَّبي" . وكان إسـهامه الحقيقي يكمنُ في "بلورة المنهج السَّـلفيّ[٤] والإبانة عن قواعده بصورةٍ حاسمة" . وهكذا رأينا أنَّ المنهج السَّلفي قد اتَّخذ منحىً أكثر تشددًا[٤] ممَّا سبق، ولكنَّ هذا التَّشدُّد كما سنرى، سيتَّخذُ منحىً تصاعديًا أكثر مع محمَّد بن عبد الوهَّاب .[٢]

ســـار عبد الوهَّاب على الطَّريق نفســـه متقدمًا في الزَّمن، ومُســـميًّا أَتباعه بالإخوانِ والموحّدين، وداعيًا إلى محاربة الكفر والبدع "ورأى أنَّه لا يزال من الممكن أن يمارس المسـلمون تعاليم الإسلام مثلما مارسها الجيل الذي عاش مع الرَّسول" وقد كانت حركته "دينيَّةٌ إصْلاحيَّةٌ نَقَلَت فكر ابن تيميَّة من النَّظرية إلى التَّطبيق، وقيل فيه أنه زعيم النَّهضـــة الدينيَّة الإصـــلاحيَّة الحديثة في الجزيرة العربيَّة" . ويمكننا القول أنَّ ميلاد الأيديولوجيا الوهَّابيَّة قد تشـــكَّل بثلاث محدِّدات: "البيئة القَبَلِيَّة، والموروث العلميّ التَّقليديّ، وانتشـــار الممارســـات الّتي تعتبرها منحرفة عن الشَّرع" ، أما المحدِّد الأخير فقد كانْ التَّحدِّي الأساس الَّذي استجابت له الوهَّابيَّة.

لقد دخلت الحركة السَّـلفيَّة نوعًا جديدًا من الدَّعوة الإصـــلاحيَّة السَّـلفيَّة مع عبد الوهَّاب بحيث "لم تتوقَّف على العمل التَّربوي والدَّعوي الفكريّ، بل زادت على ذلك الخروج في غزوات باسم الجهاد الشَّرعيّ، من أجل الإصلاح الفكري أو الغلبة السِّياسيَّة" .[٦] وما يميّز دعوته، يدخل بإطار الطَّريقة الّتي يقدِّمها، وذلك ما يميّز اخْتلاف الدَّعَوات وِفقًا لاخْتلاف الزَّمان والمكان من حيث الظروف الّتي تحكم طبيعة الدَّعوة. ففي حين يبدو الجوهر المُتبنى ثابتًا، إلا أنَّ الصَّـيرورة الزَّمنيَّة تجعل منه متغيّرًا، وإن كان هذا التغُّير لا يضـــربُ بالجذور العميقة ليهزَّ أركانها، إنَّما تُحَتِّم الصَّيرورة الإختلاف الشَّكلي، والشَّكلُ هنا يعكس الممارسة العمليَّة للدَّعوة.

وكان الجديدُ الَّذي قدَّمه عبد الوهَّاب "اســـتخدامه القوَّة الماديَّة ضِـــدَّ المخالفين له في الاجتهادات العلميَّة.... وإدخاله لأدوات المرحلة الجهاديَّة الّتي جعلته يعامل المسـلمين المخالفين له كما لو كانوا من غير المسلمين" .[٧] [٤]

٤- حسن، عمار، الّتيار السلفي الخطاب والممارسة، مرجع سابق، ص ١٣.

٤- فهمي جدعان، الماضي في الحاضر، مرجع سابق، ص ٩٣.

٤- من مجددي الدين الإسلامي، ولد في نجد عام ١٧٠٣ م وتوفي عام ١٧٩١، اشتهر بالدعوى السلفية.

٤- عمار حسن، الّتيار السلفي الخطاب والممارسة، مرجع سابق، ص ١٤.

٤- عبد المنعم الحنفي، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الاسلاميَّة، مرجع سابق، ص ٤٢٤.

٤- محمَّد علان، الوهَّابيَّة والإخوان، الطبعة الأولى، جسور للترجمة والنشر، لبنان، ٢٠١٦، ص ٤٨.

٤- محمَّد جول، الوهَّابيَّة والسلفية الأفكار والآثار، مرجع سابق، ص ١٢٢.

٤- محمَّد جول، الوهَّابيَّة والسلفية الأفكار والآثار، مرجع سابق، ص ١٢٣.

وبالواقع انتشـر كتابه التَّوحيد في الأوسـاط السَّـلفيَّة بشـكل كبير، "واضـعًا ثلاثةَ أقسـامٍ للتَّوحيد: أوَّلها توحيد الرُّبوبيَّة وثانيها توحيد الأسماءِ والصِّفات وثالثها توحيد العبادة، مركِّزًا على القسـم الثالث، ومعتبرًا أنَّ لأجله شُـرِّع الجهاد" [٤]، أي أنَّ التوحيد هو قاعدة أساسـيَّة في الدِّين الإسـلاميّ، بمعنى أنَّ العبادة لله وحده، ويعبِّر المجتمع عن ذلك من خلال "التَّمييز والتَّكامل المعرفيّ الَّـذي يقيمـه بين فكرتي توحيـد الألوهيَّـة وتوحيـد الرُّبوبيَّـة.... ولكن لا يمكن تحقيق المبدأين وتجسـيد الإيمان الحقيقي بالله إلا من خلال ما يُسَـمُّونَه عقيدة الوَلاء والبَرَاء، وهما شـرطان من شـروط الإيمان" . اما الولاء والبراء، فتعني في الاصـطلاح الشَّـرعي "محبَّة الله ورسوله، ونصـرة دينه، بتحقيق التَّوحيد وإفراده بالعبوديَّة، مع بُغْض ومعاداة كلّ ما يُعْبَدُ من دون الله من الطَّواغيت والآلهة والأنداد والأهواء"، ومن خلال هذا الحكم صـارت معاداة غير المسـلم واجبة. وقد بيَّن بن عبد الوهَّاب أنَّ "التَّكفير حُكْمٌ شرعيٌّ وأنَّ من أسبابه إنكار التَّوحيد" .

وتجدر الإشارة إلى أنَّ فتاوى بن عبد الوهَّاب كانت مدعومة من قبل النِّظام السِّياسيّ الذي كان يحكم في زمنه، مِمَّا جعلها أكثرَ انتشـارًا. وفي إحدى فتاواه يقول "من ولي الخلافة واجتمع عليه النَّاس وَرَضوا به، وَغَلَبَهُم بسيفه حتَّى صار الخليفة، وجبت طاعته وحُرِّمَ الخروج عليه" ، وهنا يبرز تناقضًـا بحيث يؤكِّد من ناحية على أهميَّة التَّوحيد والإخلاص لله ومواجهة الكفَّار، ومن ناحية ثانية يأمر بعدم الخروج على الحاكم، ولعلَّ سـبب هذا التَّناقض يعود إلى اقْتران مذهبه بالسُّلطة الحاكمة الَّتي حكمت بالسيف في ذلك الوقت.

بعد عرضِـنا الموجز للمنابع الفكريَّة الأولى، رأينا أنَّ من أبرز ما أتت به، إلزاميَّة الدَّعوة للعقيدة الاسـلاميَّة، وإباحة التَّكفير، والأمر بالجهاد في سـبيل الله. ونظرًا لأنَّ جميعها ارتبطت بمذهب السَّلَف الصَّالح، فقد تمَّت تسميتها بالسَّلفيَّة. وتجدر الإشارة إلى أنَّ "مفهوم السَّلفيَّة غير محدَّد تمام التَّحديد لا في الدَّوائر السَّلفيَّة نفسها ولا في الدَّوائر المناهِضة لها" [٢]، حيث يتمّ تداول المصطلح لأهداف أيديولوجيَّة محضة. حتَّى أنَّ المذهب الوهَّابي قد كفَّر بعض الحركات السَّلفيَّة

٤- محمَّد بن عبد الوهاب، **كشف الشبهات**، الطبعة الثانية، مؤسسة النور للطباعة والتجليد، الرياض، ١٩٧١، ص ١٠٩.

٤- محمَّد مرتضى، **صناعة التوحش**، الطبعة الأولى، دار الولاء، لبنان ٢٠١٦، ص ٢٠.

٥- ناصر العقل، **منهج محمَّد بن عبد الوهَّاب في مسائل التَّكفير** ، الطبعة الأولى، دار الفضيلة، السعودية، ٢٠٠٥، ص ٢٣.

٥- محمَّد بن عبد الوهاب، **كتاب الكبائر**، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٩٩٦، ص ١٠.

٥- فهمي جدعان، **الماضي في الحاضر**، مرجع سابق، ص ٧٩

باعتباره الولاء والبراء من أصــول الدِّين، ويعود ذلك إلى أنَّ مرتكزات الوهَّابيَّة السَّــلفيَّة هي غاية بالتَّشدُّد.

المطلب الثاني: تطوُّر فكر الحركات الاسلاميَّة

لقد مرَّت السَّلفيَّة بمراحل كانت تُطَوِّرُ نفسَها من خلالها مُتمسِّكةً بالمرحلة السَّابقة ومُضيفةً تعاليمَ جديدة، فَظَهَرَتْ مدارس سلفيَّة بمسميَّات مختلفة نوجزها بالتالي: "السَّلفيَّة العلميَّة، السَّلفيَّة التَّأصيليَّة، السَّلفيَّة الإصلاحيَّة، السَّلفيَّة الدِّفاعيَّة والسَّلفيَّة الجهاديَّة" .[٣]

وفي حين أنَّ السَّـلفيَّة الجهاديَّة ما كانت سوى امتدادًا للسَّـلفيَّة العلميَّة، إلا أنَّ ثمَّة صـراعٌ قد حصــل بينهما، فحيث يقتصــر هْتمام الأخيرة على النَّواحي التَّعليميَّة مُلتزمةً بالمناهج التَّربويَّة الدَّعويَّة العلميَّة، من خلال دعوة المسلمين للتمسُّك بالكتاب والسُّنَّة، ومبتعدةً عن أمور السِّياسَّة؛ نجد في السَّلفيَّة الجهاديَّة إضافة إلى الدَّعوة الإصلاحيَّة، دعوة تحثُّ على قتالِ أعداء الدِّين وكل من تعتبره كافرًا وِفْقَ مقاييسـها. وَرَغْم الاختلاف الحاصـل، إلا أنَّ جميع المدارس السَّـلفيَّة ترتكز على أسس يتَّفق عليها أصحاب كل التَّيارات من السلفيُّون، ومن أهمِّها :[٤]

- الرَّد إلى الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمَّة بعلمائها واتِّباع ذلك بإطلاق.
- نَبْذ التَّأويل العقليّ للنُّصوص.
- الرَّد المتفرِّد إلى المشيئة الإلهيَّة وإسقاط أي دور حقيقي للإنسان في الفعل أو الخلق.
- تقديم العلم النَّافع دينيًّا على كلِّ علم.

وفيما يتعلَّق بظاهرة التَّكفير، فيرى عبد الإله بلقزيز أنَّها لا ترتبط فقط بالفهم الخاطئ لنصوص الإسلام، بل لها أسباب تتعلَّق أيضًا بالأزَمات الإجتماعيَّة–السِّياسيَّة في بلاد العرب والمسلمين، قائلًا: "يتعلَّق الأمر في تكوين ظاهرة التَّكفير بتداخل عوامل عديدة مركَّبة لا بعامل واحد بسيط، وقد يبدو التَّكفير ظاهرة ثقافيَّة–دينيَّة تتَّصِلُ بِنَوْعٍ من الفَهم الخاطئ لنصوص الإسلام، وهي كذلك من دون شك. لكنَّ أسبابَها وعواملها أبعد من مجرَّد القصور المعرفيّ في

٥– محمَّد جول، **الوهَّابيَّة والسلفية الأفكار والآثار**، مرجع سابق، راجع ص ١٢٠.

٥– فهمي جدعا ن، **الماضي في الحاضر**، راجع ص ١٠١.

إدراك مقاصد الأحكام الشرعيَّة. ثم إنَّ التَّكفير غالبًا ما أطلَّ على مجتمعاتنا في أوضاعِ الأزمةِ الإجتماعيَّة-السياسيَّة" [٥] [٥].

ونجد أنَّ نشأة الفرق الكلاميَّة في الفكر الإسلاميّ قد توصَّلَت إلى التَّكفير السِّياسيّ بغلافٍ دينيّ، وحيث هناك ثلاث أنواع للتَّكفير، الدِّيني والسِّياسي والفِكري، نجد حركات إسلاميَّة سياسيَّة متطرِّفة، رَبَطَتْ مبادئها بالتَّكفير، وَحَثَّت على الجهاد تحت مُسَمَّاه. فالتَّكفير "وسيلة لنفي الآخر أو لإقصائه" [٦] ولم يكن التَّكفير يومًا حكرًا على الإسلامِ فقط، بل هو قديمْ قِدَمَ الحضارات، فنعود لِحَقَّبَة ما قبل الميلاد لضرب المثل بالفيلسوف سقراط الذي حُكِمَ عليه بتجرُّع السُّم بتهمة إفساد العقول. وفي القرون الوسطى، مارست السُّلطة الدِّينيَّة مُتَمَثِّلَةً بالكنيسة، والَّتي كانت تُمسك بزمام السُّلطة الزَّمنية، شتَّى أنواع التَّكفير لكل من لا يُوافق على أقوالها وأفعالها، حتَّى أنَّها كفَّرت العالِم الفيزيائي غاليلو لقوله بكرويَّة الأرض.

فقد كان هناك جدليَّة دائمة بين الحركة الدِّينيَّة والحركة السِّياسيَّة، حيث أنَّها مرتبطة بِمُرَكَّبْ عميق بُنْيَوِيّ يُعَبِّر عن نفسه من خلال الآثار السَّطحيَّة الَّتي يتركها خلفه. فكان ظهور الخوارج مثلًا، وهم أول من تكلَّموا بالتَّكفير في الإسلام، "تعبيرًا عن وجود تناقضات سياسيَّة واقتصاديَّة، إذ لا يُعْقَل أن تكون تنظيمات الخوارج وليدة لحظة التَّحكيم [٧]. وقد نَشَأَ الفكر التَّكفيري عندهم نتيجة فهمهم الخاص لقضيَّة الإيمان" [٨]، فقد تفرَّد الخوارج في تفسيْرهم للإيمان حيث "كان الإيمان منذ عهد النَّبيّ حتَّى ذلك الوقت يعني أوَّلًا الإعتقاد الدَّاخليّ ثُمَّ الإقرار به نطقًا باللِّسان. لكنَّ الخوارج زادوا في هذا المفهوم عنصرًا آخر، هو العمل الخارجيّ العضويّ" [٩]، وهكذا يكون كلّ إنسان بالنِّسبة لهم إمّا مؤمنٌ وإمّا كافر. ومن هذا المنطلق أوجبوا الجهاد لقتال

٥- عبد الاله بلقزيز، **بين السَّلفيَّة وإرهاب التَّكفير (بحث تحت عنوان "التفكير في التَّكفير ")**، الطبعةلأ ولى، مركز دراسات الوحدة العربي، لبنا ن، ٢٠١٦، ص ١١٨.

٥- عبد الغني سلامة، **كيف يصنعون الظلام**، مكتبة دار العرب، السعودية، ٢٠١١، ص ٧٦.

٥- هو مصطلح يطلق على قضية التحكيم الّتي حدثت في معركة صفين سنه ٣٧هـ بين جيش معا وية وجيش علي، فحين أشرف جيش على النصر استنجد معا وية بعمرو وبن العاص الذي اقترح رفع المصاحف على السيوف كإشارة إلى أ ن القرآ ن حكم بينهم لوقف القتال ودعوة علي إلى حكم القرآ ن، فاستجاب علية وأبرموا وثيقة التحكيم الّتي ثبتت حكم معا وية ونصت على العمل بما يوجد في القرآ ن. لأن جزءا كبيرا من جيش علي لم يرض بالتحكيم حصل انشقاق في صفوف الموالين له سميوا بالخوارج.

٥- المرجع نفسه، ص ٨٢ - ٨٣.

٥- حسين مروة، **النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلاميَّة**، الطبعة الثانية، دار الفارابي، لبنان، ٢٠٠٨، المجلد الثاني، ص ٥١.

كلّ من يعتبرونه كافرًا بمن فيهم من الخلفاء. وقد كانت مسـألة تكفير مرتكب الكبيرة   تدخُلُ في "صُــــلب النَّظريات الّتي تألَّف منها علم الكلام. ونظرًا لأهميَّتها، علينا أن نَرجع إلى أوَّل حادثٍ تاريخيٍّ إحتَدَمَ بِهِ الصِّراع السِّياسيّ بين الأحزاب إحتدامًا مخضَّبًا بالدِّماء"[1] . وهكذا يلعب الموقف الدِّيني دوره كغطاء للموقف السِّياسيّ، وبقي الأمر على هذه الحال حتَّى يومنا هذا.

إذًا تلك كانت الإنطلاقة الأولى لمسـألّتي التَّكفير والجهاد في الإسـلام، ويأتي الجهاد هنا بمعنى القتال، الذي تحوَّل إلى إرهاب في نفوس الكثيرين، بســـبب فتاوى العلماء الإســـلاميّين التَّكفيريين. وقد غلبت كلمة جهاد على معنى الحرب والقتال لأنَّها ذُكِرَت في القرآن وفي حديث الرَّسـول الَّذي قَسَّـمَها إلى قسـمين، الأصـغر والأكبر ، وكذلك بسـبب تأثير حركة الفتوحات الإسـلاميَّة. وأشـار الدكتور سُـهيل الفَتلاوي إلى "أنَّ المفسِّـرون المنتمون إلى تموضـع السُّـلطة والخاضـعون لمقتضـياتها قد ربطوا بين مصـالح الدَّولة والعقيدة، أي أنَّ كلّ تَمَرُّد على الدَّولة أو إسـاءة لها يُعَدُّ إسـاءة للعقيدة، لأنَّ مُنْطَلَقهم كان حماية السُّـلطة أكثر من حماية العقيدة، وجعلوا الجهاد لأجل عقيدة الدَّولة أكثر ممَّا هو رد للعدوان على مجتمع العقيدة"[3] . وهناك عناوين كثيرة من القتال في الإسلام، ولكن لا يَصْدُق تعريف الجهاد عليها كلها. منها قتال الرِّدَّة والمقصود به قتل الَّذين يرتدُّون عن الإيمان بالدِّين الإســـلاميّ، "ويجعل ابن قدامة[4]   قتال المرتدِّين أَوْلَى من قتال الكفَّار الأصـليّين لأنَّ تركهم ربما يُغري أمثالهم بالتَّشبُّه بهم" ، ويُعْتَبَر قتال الحاكم إذا كفْر جهادًا في سـبيل الله أيضًـا، وقد اختلف الفقهاء حول قتال مغتصـب السُّـلطة فمنهم من أيَّد ذلك ومنهم من لم يفعل، وبقي الخلاف على قضـــيَّة تكفير الحاكم الذي لا يَحْكُم بما أنزل الله قائما.

٦- يقصد بالكبيرة الذنوب الّتي تعتبر من الكبائر، فيوجد في الإسلام كبائر وصغائر، ولم يختلف العلماء في تعريف الكبيرة، بل اختلفوا أيضًا في الحكم على مرتكبها، فهناك من تشدد بالحكم ويقابله من تراخى، وحصل نتيجة ذلك انشقاق في الفرق الكلامية الاسلاميَّة.

٦- حسين مروة، **النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلاميَّة**، مرجع سابق، ص ٥٨-٥٩

٦- في حديث أن النبي محمَّد قد بعث بسرية للجَّهاد فلما رجعوا قال "مرحبا بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر".

٦- محمَّد الفتلادي، **الجهاد في الفكر الإسلامي دراسة في المفهوم والآداب والشكليات**، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، العراق، العدد ١٩، ٢٠١٦، ص ٤٧٦

٦- أحد أعلام المذهب الحنبلي وله مؤلفات في الفقه.

٦- محمَّد هيكل، **الجهاد والقتال في السياسة الشرعية**، الطبعة الثانية، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٦، ص ٥٨

ويُحْتَسَـب أيضًـا القتال من أجل الظَّفَرِ بمال العدوِ جهادًا على أن "يقترن بأن يكون القصـد منه إعلاءً لكلمة الله فقط" [٦] . [٦]

وتختلف آراء الإسـلاميين حول فكرة القتال لإقامة الدَّولة الاسـلاميَّة "فمنهم من اعتبر أنَّ الدَّعوة الاسلاميَّة إنما تقوم بالّدعوة السِّلميَّة عن طريق حزبٍ إسلاميّ، مثل أبو الأعلى المودودي والدُّكتور البوطي. ومنهم من تبنَّى الدَّعوة إلى القتال لإقامة الدَّولة الاسـلاميَّة مثل جماعة الجهاد [٦] في مصـر، الّتي ظهرت في سبعينات القرن الماضـي" [٦]. ولأنَّ قضيَّة اسْتخدام العنف في "تأسيس الدَّولة الاسلاميَّة أو في إعادة تأسيسها من القضايا الخِلافيَّة، إهتمَّت جماعة الجهاد في استقصاء الرَّد على كلّ الإعتراضات الّتي ثارت في اتّخاذ القتال والعنف طريقًا لإقامة الدَّولة الاسـلاميَّة"، وأكثر ما يسـتدلُّون به أنَّهم نهضـوا لِيُغَيِّرُوا الواقع الكافر، فهذه الجماعة تعتبر "أنَّ الكفر هو المعاصـي، وقد استشْرَت فلم يعد للحكَّام اليوم على الرَّعية سَمْعٌ ولا طاعة، وإنَّ ما لا يتمُّ الواجبُ إلَّا به فهو واجب" وهي قاعدة يعتمدها الأصوليُّون في إثبات حُجَجِهِم، فلو "طرأ على الحاكم كُفْرٌ وتغييرٌ لِشَرْعٍ أو بِدعة، خَرَجَ عن حكم الوِلاية ووجب على المسلمين القيام" [٦] .

وهناك من دعا لاعتزال الدَّولة الاسـلاميَّة المجتمع والهجرة منه لتحصـيل القوَّة ثم العودة إليه للقتال ولإقامة الدَّولة، ومنهم من دعا للابتعاد عن السِّـياسَّـة، وثَمَّةَ قِسْـم تَخَوَّفَ من فكرة الخسـارة عند محاولة إقامة الدَّولة عن طريق القتال" [٦] . وجاء الرَّدُّ عليهم من قِبَل "الفئة الدَّاعية للجهاد، بأنَّ الجهاد فرضٌ على كلِّ مسلم، وبما أنَّ الحُكَّام ارتدُّوا عن الشَّريعة عندما طبَّقوا بعض قوانين الغرب، لذا تُعْتَبَر دولَتَهُم كافرة وأنَّهم مُرْتَدِّين، وحُكْم الرِّدَّة القتل كجهادٍ في سـبيل الله كما أشرنا أعلاه.

وبعد أن صـدرت الفتاوى بجهاد الكفَّار، وكنَّا قد أشرنا إلى طريقة العلماء بالتَّكفير لأصـغر الأسباب مع استباحة دم الكافر، حيث "في الجهاد الضمان الوحيد والأكيد لكي يكون لهذه الأمَّة جنَّة في الدُّنيا وجنَّة في الآخرة" [٧] وِفْقَ نَظْرَتِهِم. وكان من نتيْجة ذلك صـعود تيَّارات الإسـلام

٦- محمَّد هيكل، **الجهاد والقتال في السياسة الشرعية**، مرجع سابق، ص ٢٨٠.

٦- هي جماعة سلفية جهادية أسَّست في مصر عام ١٩٦٦، تكفر الحكام والأنظمة الّتي تحكم بغير اعتقاد أهل السنة والجماعة، وتبنت اغتيال الرئيس المصري أنور السادات عام ١٩٨١.

٦- محمَّد هيكل، **الجهاد والقتال في السياسة الشرعية**، مرجع سابق، ص ٢٨٧-٢٩١.

٦- محمَّد عمارة، **الفريضة الغائبة**، الطبعة الأولى، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٩، ص ٣١-٣٢.

٧- محمَّد هيكل، **الجهاد والقتال في السياسة الشرعية**، مرجع سابق، ص ٢٨٥.

٧- محمَّد عمارة، **الإسلام والحرب الدينية**، الطبعة الأولى، مكتبة الشروق الدوليّة، مصر، ٢٠٠٤، ص ٦.

السِّـياسـيّ لِتَحْتَلّ الصَّـدارةِ في ممارسـة الأفراد الذين ينتمون إليها مُتَّخذةً مِنَ الطَّائفيةِ والتَّكفيرِ منهجًا تسـير عليه. وما كان لتلك التَّيارات أن تظهر بالقوَّة الّتي أتت بها لولا التَّفكُّك الإجتماعيّ والفسـاد الذي طال أجهزة الدَّولة والقمع الذي مارسـته على الحركات الثَّورية الشَّـعبيَّة، ممّا جعل الفرد المسـلم يقوم بعمليَّة تحويل، سـواء أكانت واعية أم غير واعية، من الحاجة إلى الاسـتقرار الإجتماعي في بيئة سـليمة، إلى التَّمسُّـك بالهويَّة الدِّينيَّة، والّتي يجد من خلالها مدخلًا للتَّعبير عن حقِّه بمواجهة السُّلطة تحت قواعد دينيَّة مشرَّعة.

ونظرًا لتعدُّد وتشـعُّب التَّيارات الفكريَّة الدِّينيَّة، وأحيانًا الإختلاف فيما بينها بأسـس جوهرية تقوم عليها في عقيدتها وممارسـاتها وأهدافها، يجد الفرد أنَّه أمام مجموعة هائلة من الخيارات المشـرَّعة، فيقوم بِتَبَنِّي الفكر الَّذي يخدم أهدافه ويمارسـه بقناعةٍ تامَّةٍ على أنَّه الفعل المشـروع وربَّما الواجب. ويترتَّب على ذلك فعلًا إرهابيًا تكمن ورائه أسـبابًا مبرَّرة، إذ أنَّ أي فعل يُرَدُّ إلى عوامل نفسـيَّة تُتَرْجَمُ بممارسـةِ سـلوكٍ معيَّن. فالعنف يعبِّر عن حالة من الشُّـعور بالعجز أمام إمكانية التغيير، أو أقلّه التَّأثير في الواقع المفروض عليه والَّذي هو عكس الواقع الذي يبتغيه.

وهكذا وجد الإنسان المسلم نفسه أمام سلطةٍ حاكمةٍ يستطيع، وإن لم نقل "يجب" مواجهتها، ولعلّ التَّشـرذُم الفكريّ وارْتباك الهويَّة الّذي يعاني منه هذا المسـلم، يجد ضـالَّته في الفكر الَّذي يدعو التَّيار السَّلفي الجهادي إليه، من خلال ما سبقت الإشارة إليه.

أمَّا التَّقدُّم الذي أسهم بظهور السَّلفيَّة الجهاديَّة المعاصرة فكان حصيلة النِّتاج الفكريّ لسيد قطب، الذي كان امتدادًا للمذهب الوهابي السَّـلفي مع إضـافة مبادئ من فكره، والذي أدَّى إلى ظهور أيديولوجيا مختلفة عَّما سبقها داخل الحركات الاسلاميَّة. وقد كان لكتاباته تأثيرًا عميقًا في الأسـس الفكريَّة للحركات الاسـلاميَّة اللَّاحقة الّتي تَبَنَّت العنف قولًا وفعلًا، وسـنمرُّ بشـيء من التَّفصـيل على من أثَّر وتأثَّر بالسَّـيد قطب في المبحث التالي، وعلى النَّتائج الّتي ترتَّبت عن الجديد الّذي إضافة إلى العقيدة.

المبحث الثاني: سِمات تيارات الإسلام السِّياسيّ الحديثة والمعاصرة

شمل الدِّين الإسـلاميّ كلّ ما مِن شـأنه أن يصنـع إنسانًا صـالحًا متماسكًا روحيًّا وماديًّا. وقد شـهد تاريخ الإسـلام حركات عدَّة تهدف للاستمرار في تجديده، أَثَّرت في المنحى السِّـياسـيّ الذي شَهِدَ نزاعات مبنيَّة على خلافات عَقَديَّة جرّاء محاولات التَّجديد المتباينة، وذلك منذ البدايات للأولى لظهور الإسلام في سبيل الدفاع عن السلطة أو الوصول إليها. واستمرَّت ظاهرة التَّجديد الّتي اتّخذت في بعض المذاهب منحىً متشـددًا، كُنَّا قد تطرَّقنا إليه في المبحث السـابق، مثل

تأثير المذهب الحنبليّ الّذي كان المذهب الوهَّابيّ امتدادًا له في رسم أُطُر جديدة للدِّين كان لها طابعًا سياسيًّا بشكلٍ ملحوظ.

وقد ظهر العديد من المفكِّرين الإسلاميّين في منتصف القرن التَّاسع عشر، مثل الطَّهطاوي والتُّونسي وقبّادو ، محاولين التَّأكيد على أهميَّة ردم الهُوَّة الحاصلة بين بلاد الغرب وبلاد الإسلام. لان تلك الهوَّة هي الّتي سمحت للغرب بإعطاء أنفسهم حق غزو العرب، لذلك حثُّوا جميع الأفراد على الإيمان بقدرة الإنسان من خلال الدِّين والعلم على إحداث التَّغيير الذي يريد. وقد أصبحت الدَّعَوات التَّجديديَّة الإصلاحيَّة والتَّقَدُّمِيَّة ظاهرة، وذلك من منتصف القرن الثَّامن عشر لمدَّة قرنٍ تقريبًا، واتَّفقت جميعًا "في دعوتها للتَّجديد ونَبْذ التَّقليد وفتح باب الإجتهاد" . ورغم أنَّ محاولات التَّجديد تلك قد بدأت على مستوىً داخليٍّ ضمن الدَّولة الواحدة، لكنَّ ظهور الحداثة جعل تأثيرها يمتدُّ ليشمل دولًا أخرى، فقد ظهرت الحركة القوميَّة في العالم العربي في القرن التَّاسع عشر لمواجهة الحكم العثمانيَ واستمرَّت الحركة ردًّا على الإستعمار الأوروبيّ، وكانت مُتَمَثِّلَةً بتيَّارات النَّهضة الاسلاميَّة، ثمَّ أطلَّ عصر الثَّورات والانقلابَات، بعد التَّحوُّل إلى تيَّارات الصَّحوة الاسلاميَّة.

المطلب الأول: تيَّارات النَّهضة الاسلاميَّة

أصبحت الحركات الاسلاميَّة في القرن التَّاسع عشر، تسير بخطى الاستجابة لتحديَّات الحداثة، وأُثِيرَت تساؤلات عدَّة على المستوى الفكري، كان من أهمِّها "تلك الّتي طرحها جمال الدِّين الأفغاني الَّذي كان يرى أنَّ ضمور الفكر الفلسفيّ في السَّاحة الاسلاميَّة هو سبب تأخُّر الأمَّة العلميَ، وطرَحَ تساؤلات حول الدِّين تُرَكِّز معظمها حول ضرورة إعادة النَّظر في المفاهيم

٧- رفاعة الطهطاوي، أحد قادة النهضة العلمية في مصر، يعتبر أن تقدم الأمة يكون فقط من خلال تحصيل العلم جميع الفئات، توفي عام ١٨٧٣م.

٧- خير الدين التونسي، كان أحد رموز الإصلاح في تونس، توفي عام ١٨٩٠م.

٧- محمود قبادو، كان متصوفًا اتّبع الطريقة الشاذلية، وكان احد أركان الحركة الإصلاحيَّة والتنويرية في تونس، توفي عام ١٨٧١م.

٧- فهمي جدعان، **الماضي في الحاضر**، مرجع سابق، ص ٦.

٧- جمال الدين الأفغاني، ولد عام ١٨٣٩م، يعتبر من أهم الشخصيات الأفغانية، أول رواد الّتيار النهضوي الإسلامي الذي يوفق بين الدين والعلم، تنقل بين البلاد العربية والأوروبية، توفي عام ١٨٧٩م.

الدِّينيَّة السَّائدة، والرُّجوع إلى أصل الإسلام النَّاصع كما عرفه السَّلف الصالح" [٧]. وحاول من خلال فكره، احتواء المفاهيم الحديثة مثل الدِّيمقراطيَّة. أمَّا السَّلفيَّة الوهَّابيَّة فقد "شهدت نشاطًا ملحوظًا بعد ظهور التَّيارات القوميَّة واليساريَّة اللِّيبراليَّة ما جعل السَّلفيَّة الوهَّابيَّة أداة لمحاربة هذه التَّيارات" [٧].

وقد جاءت طروحات الأفغانيّ في سبيل تحقيق عمليَّة إصلاح في عصره، الّذي واجه تحدّيات الظُّلم والحرمان الإجتماعيَّيْن، معتبرًا أنَّ الإصلاح يتمُّ عبر العودة إلى الدِّين الإسلاميّ، وكانت الطَّريقة المُثلى بالنَّسبة له، حثّ المسلمين على فهم دينهم بالشَّكل الصَّحيح، والعيش وفقًا لتعاليمه، مع التَّأكيد على أهميَّة التَّوفيق بين فهم الدين، والإيمان بالتَّطوُّر العلميّ. فقد شجَّع على أهميَّة دور العقل في حياة الإنسان المسلم. ولتحقيق آماله، حاول التَّوفيق بين "المنهج الفكريّ التَّعليميّ والنَّشاط السِّياسيّ المباشر فكان عالمًا سياسيًّا، وسياسيًّا من أهل العلم"، وقد كان له تأثيرٌ واسع في عدة بلدان عبر مجلَّته "العروة الوثقى" الّتي أصدرها بمشاركة تلميذه محمَّد عبده في باريس، فقد كان من اهمّ مبادئ مدرسته "مقاومة الاستعمار، واستعادة مجد الأمَّة، وإرساء أُسُس الشُّورى، وإصلاح الحكم، والإصلاح الدِّيني وتجديد الدِّين" [٧]. وكان أن شَكَّلَت هذه المباْدئ الأسس الّتي قامت عليها الحركات الاسلاميَّة الحديثة.

وهكذا فقد كان الأفغاني من أبرز ممثِّلِي الإسلام السِّياسيّ، ومُمَهِّدًا للحركات الاسلاميَّة الحديثة، إضافةً إلى أنَّه أولَ من "صاغ وِحدة وادي النِّيل، وَوِحدة مصر والسُّودان، والوحدة العربيَّة ابتداءً من وحدة مصر وسوريا، ووحدة مصر والمغرب العربيّ، ونهضة مصر مع نهضة الشَّرق" [٨]. فقد كان "أوَّل من أقام تنظيمًا سياسيًّا وطنيًّا مصريًّا في العصر الحديث، وهو تنظيم الحزب الوطنيّ الحر" [٨]، داعيًا من خلاله إلى إصلاحات دستوريَّة وإقامة مؤسَّسات نيابيَّة.

٧- عبد الوهَّاب الأفندي، **الحركات الاسلاميَّة واثرها في الاستقرار السِّياسيّ في العالم العربي (دراسة تحت عنوان "الحاكات الاسلاميَّة: والنشأة والمدلول وملابسات الواقع")**، الطبعة الأولى، مركز الإمّارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الإمّارات، ٢٠٠٢، ص ٢١.

٧- محمَّد مرتضى، **صناعة التوحش**، الطبعة الأولى، دار الولاء، لبنان، ٢٠١٦، ص ٢٠.

٧- عبد الوهَّاب الأفندي، **الحركات الاسلاميَّة واثرها في الاستقرار السِّياسيّ في العالم العربي**، مرجع سابق، ص ٢٣-٢٤.

٨- حسن حنفي، **الحركات الاسلاميَّة واثرها في الاستقرار السِّياسيّ في العالم العربي**، مرجع سابق، ص ٢٦.

٨- محمَّد عمارة، **جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام**، الطبعة الثانية، دار الشروق، مصر، ١٩٨٨، ص ٢٣٤.

ويمكننا القول إنَّ فكر الأفغاني كان امتدادًا للسَّلَفيَّة، وذلك بالنَّظَر إلى أفكاره الّتي شكَّلت نُقطة تحوُّل مُهمَّة للتَّيار السَّلفيَ، الّتي تتجلَّى في تأكيده على رفض البدع واعتبارها سببًا مهمًا في تخلُّف العالم الإسلاميّ عن الغرب، وكذلك دعوته لأهميَّة العودة إلى السَّلف. فكانت دعوته الإصلاحيَّة جهاديَّة تدعو لتعبئة الجماهير للثَّورة لأهداف أيديولوجيَّة إسلاميَّة، تحت عنوان التَّجديد والإصلاح، وكان ذلك يصب في مصلحة الحركة الوهَّابيَّة السَّلفيَّة لأنَّها تتفق مع دعوته في أماكن عدَّة، ممَّا يجعلها سلفيَّة نهضويَّة إصلاحيَّة.

وقد استمرَّ الرَّبط بدرجات التَّفاوت بين الحداثة الغربيَّة وبين التُّراث الإسلاميّ في أفكار عبد الرَّحمن الكواكبي الّذي رأى "أنَّ تفاقم الأمور[٢] لا ينبغي أن يبعث على اليأس[٨] لانَّ ثمَّة أُمَمًا كثيرة استرجعت نشأتها بعد تمام الضَّعف وِفق كلِّ اللَّوازم الأدبيَّة للحياة السِّياسيَّة." [٣]، وهو يعني بالسِّياسة استبدال النِّظام الظَّالم المستبدّ بنظام الشُّورى التَّمثيليّ. وقد درس الكواكبي[٤] الإستبداد دراسة عميقة وتوصّل إلى أنَّه يُعِيقُ عمليَّةَ التَّقدُّم، لذا لا بدَّ من التَّخلصِ منه، قاصدًا الاستبداد بِشِقَّيْه الدِّينيّ والسِّياسيّ. ومن خلال كتابيه "أُمّ القُرى" و"طبائِع الإستبداد"، مهَّد الكواكبي "لمشروع نهضوي حديث يكون الإسلام الخالي من البدع والمذاهب عقيدته، والعروبة سيفه ومركز القيادة فيه، والمفاهيم الأوروبيَّة الحديثة الدَّاعم والسَّند له" [٨]. فقد كان مناهضًا للحكم الدِّكتاتوريّ معتبرًا أنَّ القبول به من أسباب تخلُّف المسلمين، كما طالب بالحريَّة المرتبطة بمعيش النَّاس وحياتهم السِّياسيَّة والإجتماعيَّة والثَّقافيَّة والأمنيَّة، فلن يتحقَّق رُقِيّ ما لم تتحقَّق الحريَّة "في تساوي الحقوق ومحاسبة الحكَّام، باعتبار أنَّهم وُكلاء، وَعَدَم الرَّهبة في المطالبة"، وأيضًا في "التَّعليم وحريَّة الخطابة والمطبوعات وحريَّة المباحثات العلميَّة ومنها العدالة بأسرها" [٦].

وقد طرح الكواكبي الأيديولوجيَّة الاسلاميَّة لكونها مؤسَّسة على أصول الحريَّة، وترفع كل سيطرة سياسيَّة ودينيَّة عن البشر، فالاسلاميَّة تحكم بأمرها وطبيعة هذا الحكم هو العدل والمساواة والقسط والإخاء، والحُكم بالأمر يتأسَّس على الشُّورى. وهكذا يكون الحُكم مؤسَّسًا على الأيديولوجيَّة الإسلاميَّة؛ هو نوعٌ من الممارسة السِّياسيَّة الشُّوريَّة الدِّيمقراطيَّة الّتي ترسمها نخبة

٨- ولد في سوريا عام ١٨٥٥، عُرف منرواد النهضة العربية الاسلاميَّة، وأحد مؤسسي الفكر القومي العربي، توفي عام ١٩٠٢في مصر.

٨- فهمي جدعان، **الماضي في الحاضر**، مرجع سابق، ص ٤٨٣

٨- الشورى مصطلح إسلامي يدل على المبدأ الشرعي المتعلق باي موضوع يحدده مجموعة من أهل الحل والعقد أي أصحاب الخبرة والمعرفة، وتقوم على اخذ عدة أفكار للتوصل إلى الطريقة الأمثل.

٨- سمير أبو حمدان، **عبد الرحمن الكواكبي فلسفة الاستبداد**، دار الكتاب العالمي، لبنان، ١٩٩٢، ص ٦.

٨- عبد الرحمن الكواكبي، **أم القرى**، المطبعة المصرية بالأزهر، مصر، ١٩٣١، ص ٢٨.

يُطلَق عليها اصْــطلاح أهل الحل والعقد، أي الَّذين يحكمون بعقولهم لا بســيوفهم. مشــدِّدًا، أي الكواكبي، على أنَّ الاســلاميَّة تقوم على الدِّين الأصـــليّ، مثلما نعرفه في بداياته الأولى، وليس الإســـلام الحاضـــر بما طرأ عليه من تحريف [٨]. ومن خلال ما تقدَّم من أفكاره، فقد صُـــنِّف الكواكبي من ضمن ما سمّي بـــ"السَّلفيَّة العقلانيَّة المستنيرة"، وهذا التّيار هو الذي بدأه الأفغاني وتجسّد فكره وخاصــة فيما تعلَّق منه بتحرير العقل والإصـلاح الدِّينيّ في الآثار الفكريَّة والجهود العلميَّة للإمام محمَّد عبده. وكان جناحه في المشرق العربيّ الكواكبي، وفي المغرب العربيّ عبد الحميد بن باديس، ومن حول هؤلاء جميعًا عرفت الأمَّة اقوى تيَّارات التَّجديد واليقظة" [٨].

وفي الحقبة الزَّمنية نفســـها، برز محمَّد عبده داعيًا للإصـــلاح والتَّجديد[٨]، في العالمين العربيّ والإسـلاميّ، على كافَّة الصُّـعد، ولاسـيَّما السِّـياسـيَّة منها، مقتفيا آثار أسـتاذه الأفغاني، وساعيًا للتَّوفيق بين الدِّين والعلم، من خلال رسالته في التَّوحيد. وقد عمل عبده على تدوين علم الأحكام وعلم العقائد، ونظر لحالة عصـره على أنها تحتاج أيضًـا لتدوين علم السِّـياسـة الدِّينيَّة، داعيًا لقيام دولة الإسـلام، وهي دولة مدنيّة وإسـلاميّة، "مدنيَّة تصـنع الأمّة نُظُمَها ومؤسَّسَـاتها وهي مصـــدر السُّـلُطات فيها، وإســـلاميَّة لأنَّ الإســـلام وشــريعته وَفِقه معاملاته هو المرجعيَّة الحاكمة لسلطات الأمَّة والدَّولة في هذا النَّسَق الفكريّ والسِّياسيّ المتميّز، فهي دولة مدنيَّة قامت وتقوم لتنفيذ الشَّريعة وإقامة حدود الله" [٩]، معتبرًا أنَّ الحكومة يجب أن تكون حكومة شـورى. وقد بذل محمَّد عبده مع أسـتاذه الأفغاني جهدًا فكريًّا وإصـــلاحيًّا، أبرزا من خلاله سـمات الحركات الاسلاميَّة فيما بعد.

لكن عبده قد اختلف عن الأفغاني في فكرة الدَّعوة للثَّورات، لأنَّه لا يرضـــى بأن يكون العنف سـبيلًا لتحقيق كلمة الله، فانصـرف إلى الإصـلاح التَّربويّ في حركة إصـلاحه النهضـويَّة الّتي اتخذت طابعا سـلفيا، دون أن يرضـــى بأن تأخذ الطَّابع الجهاديَ، معتبرًا أنَّ "الإصـــلاح السِّـياسـيّ يجب أن يسـبقه إصـــلاح تربويَ ودينيَ وليس العكس" . فقد كان لمحمد عبده تأثيرًا

٨- سمير أبو حمدان، **عبد الرحمن الكواكبي فلسفة الاستبداد**، مرجع سابق، راجع ص ٦٥ - ٦٩.

٨- مختار الأسدري، **عبد الرحمن الكواكبي وحركة الإصلاح الديني مشروع مناهضة الاستبداد**، مجلة المنهاج، العدد ٤٤، ٢٠٠٧، ص ٩٩.

٨- داعية مصري، ولد عام ١٨٤٩، اشتهر بفكره الإصلاحي ودعوته للتحرر من كافة أشكال الاستعمار الأجنبي، توفي عام ١٩٠٥.

٩- سمير أبو حمدان، **عبد الرحمن الكواكبي فلسفة الاستبداد**، دار الكتاب العالمي، لبنان، ١٩٩٢، ص ١١٣.

٩- احمد عبد الرزاق، **فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي**، الطبعة الأولى، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، ١٩٩٥، الجزء الأول، ص ٣٨١

كبيرًا طال العديد من البلدان، ونستطيع القول بان العديد من إتِّجاهات التَّفكير الإسلاميّ بما فيها الأصوليَّة الاسلاميَّة على تعدُّد مستوياتها، تدين له بفكره.

ولعلَّ ما تميزت به دعوة الأفغاني والكواكبي ومحمَّد عبده، إضافةً إلى مفكِّرين ساروا على منهجهم الفكري لم يتسع المجال لذكرهم، هي دعوة الإصلاح الدِّينيّ الّتي أضافت فكرةِ العودة إلى النَّص إلى الدَّعوات السَّلفيَّة، "الّتي هي جوهر المقولة السَّلفيَّة، مسألة العقل ودوره في فهم ذلك النَّص وتأويله، بل تكييفه وتفسيره على النحو الذي تتحقَّق به المصلحة للأمَّة في ضوء متغيِّر الزَّمان والمكان" [٢] [٩].

وانتشر تأثير عبده ليطال تلميذه محمَّد رشيد رضا ، الَّذي انحاز إلى السَّلفيَّة آلوهَّابيَّة، وبلور بدوره مفاهيم السِّياسة الشَّرعية الّتي تُظهر طريقة الإصلاح السِّياسيّ في فكره، وهي الإصلاح الإسلاميّ العام على حدِّ تَعبيره. "وكما كان ابن تيميَّة حلقة وسطى بين ابن حنبل وابن عبد الوهاب، فإنَّه يمكننا القول أنَّ رشيد رضا كان الحلقة الوسطى بين ابن عبد الوهَّاب وحسن البنا" . وقد استطاع نشر أفكاره الإصلاحيَّة من خلال مجلَّته "المنار"، الّتي كانت "ثورية سياسيَّة إقتصاديَّة ثقافيَّة إجتماعيَّة فكريَّة وعلميَّة، وكان الخطاب السِّياسيّ أبرز ما تُقَدِّمُه" ، مُقَدِّمًا خطابه على طريقة الفقه الشَّرعي. وكانت نظرة الإصلاح لديه توفيقيَّة حيث يستنبط الإيجابيَّات من المشاريع الإصلاحيَّة الأُخرى ويترك السَّلبي منها. ففي حين كان الأفغاني ثوريًّا وكان محمَّد عبده إصلاحيًّا، فقد جمع رشيد رضا بين "الثَّورة والإصلاح في دعوته إلى "الثَّورة الإصلاحيَّة" لأنَّ الثَّورة والإصلاح في نظره أمران متلازمان". ولم تكن نظرته للإصلاح جزئيَّة بل كانت كليَّة تطال كلّ نواحي الحياة. وقد أعطى مسألة الشورى أهمية بالغة، معتبرًا أنَّها عَصَب الحُكْم في الإسلام، فكان من مؤسِّسي حزب اتِّحاد الشورى. ونظرًا لأنَّه كان على علاقة جيدة مع الوهَّابيَّة السُّعوديَّة، فقد قام بنشر الفكر الوهابي السَّلفي "من خلال دعواته الإصلاحيَّة

٩- عبد الغني عماد، **الإسلاميون بين الثورة والدَّولة: إشكالية إنتاج النموذج وبناء الخطاب**، الطبعةالأ ولى، مركز دراسات الوحرة العربية، لبنا ن، ٢٠١٣، ص ٤ ٦.

٩- كا نصحفيا وكاتبا، ومفكرا منر واد الإصلاح، ولد في لبنا نعا م ١٨٦٥، وتوفي في مصر عا م ١٩٣٥.

٩- محمَّد مرتضى، **صناعة التوحش**، مرجع سابق، ص ٩ ١.

٩- محمَّد خ وبات، **الإصلاح السِّياسيّ عند الشيخ محمَّد رشيد رضا**، مجلة الفك لإسلامي المعاصر، العدد ٢٦، ٢٠٠١، ص ٣ ٤

الّتي تحوَّلت فيما بعد، وتحديدًا بعد قيام الدَّولة السُّــعودية الثَّالثة، إلى دعوات تحثُّ على العنف السَّلفي الوهابي" [٩] [٦] .

ويرى أحمد عبد الرزاق أنَّ رشيد رضا قد شكَّل المرحلة الأخيرة لحلقة الإصلاح الإسلامي الّتي بدأها الأفغاني، ويقول: "اذا كان الأفغاني ملهم المدرسة التَّجديديَّة السَّلفيَّة، ومحمَّد عبده هو العقل المفكر لها، فإنَّ رشـيد رضــا هو المتحدِّث بإسـمها" . ولكنه لم يدعُ إلى اسـتكمال نهج أستاذه لأنَّه كان من أوَّل الّذين تراجعوا عن التّيار الإصلاحيّ النَّهضويّ، وذلك بسبب عودته إلى "فكرة الخلافة على أنَّها نظامٌ ســياســيٌّ نموذجيّ، للرَّدِّ على الاحتلال الاســتعماريّ، فكان هذا التَّراجع انقلابًا شــاملًا دَمَّر الفكرة الإصــلاحيَّة، وأصــبح اليوم له الآثار البليغة في فتح الباب الواسـع أمام تيَّار الصَّحوة الذي انطلق مع حسـن البنّا" . وهكذا يصـل رشـيد رضـا [٩] بين حركة التَّجديد والإصلاح الإسلاميّ وبين حركة الفكر الإسلاميّ المعاصر.

إنَّ أفكار الأفغاني ومحمَّد عبده ورشيد رضـا الّتي نبعت من التَّحديات الخارجيَّة والدَّاخليَّة الّتي واجهت المجتمع الإسـلاميّ، سوف تكون الخلفيَّة الثَّقافية والدِّينية السِّياسيَّة لتيَّارات الإحياء الدِّيني المعاصــرة: الإخوان المســلمون، التَّكفير والهجرة والجهاد، على تفاوتٍ بينها. وقد عايش رشيد رضـا نشأة الجماعة الأم لتيَّارات الحركة الاسـلاميَّة في العالم الإسـلاميّ وتيَّاراتها . فرغم أنَّ السَّلفيَّة لم تتحوَّل معهم إلى حركة سياسيَّة، لكنَّها أثَّرت في الأصوليّين في القرن العشرين.

وقبل الانتقال للحقبة الّتي تلت حركة التَّجديد والإصلاح الإسلاميّ، نمرُّ على أحد الأعلام المؤثِّرين في الجماعات الاسـلاميَّة أيضًـا، وكان من الَّذين تأثَّروا بالأفغاني، وهو عبد الحميد ابن باديس [١] الجزائريّ، الذي كان في غصـر الاستعمار الفرنسـيّ، وأتى بدعوة سلفيَّة خالصـة تدعو للتَّجديد وعدم الانغلاق. وَنَشَــــرَ دعوتَه في "الإصــــلاح والتَّغيير عن طريق المدارس والنَّوادي

٩- حسل مالحداد، **رشيد رضا وتأسيس الأيديولوجية الوهَّابيَّة في مصر**، موقع بوابة الحركات الاسلاميَّة، بتاريخ ٢٣ ٩ ٢٠٢٠، تاريخ الاستشارة ١٠ ٢٩ ٢٠٢٠. https://www.islamist-movements.com/35235

٩- احمد عبد الرزاق، **فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي**، مرجع سابق، ص ٣٩٥

٩- عبد الغني عماد، **الإسلاميون بين الثورة والدَّولة: إشكالية إنتاج النموذج وبناء الخطاب**، مرجع سابق، ص ٦٦.

٩- احمد عبد الرزاق، **فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي**، مرجع سابق، ص ٤١١

١- يعتبر منر واد الإصلاح في الوطن العربي ورائد النهضة السلامية في الجزائر، ولد ط م١٨٨٩ وتوفي ط م ١٩٤٠.

ودروس الحضارة الاسلاميَّة وتفسير القرآن والحديث الشَّريف" . وَظَهَرَ الإسلام الإصلاحيّ مع جمعيَّة العلماء المسـلمين، الّتي صُـنِّفت ضـمن الحركات السـلفيَّة، تحت قياد ابن باديس، أمّا سعيه للإسلام الإصلاحيّ فقد كان بسبب وصوله إلى طريق مسدود للإصلاح عبر الإسلام السياسيّ، وذلك بسبب تجربة الإسلام الجهاديّ الّتي قام بها عبد القادر الجزائريّ، واستمرَّت لحوالي نصف قرن، لكنها لم تفلح، ثم تحولت إلى الإسلام السِّياسيّ الذي لم يفلح أيضًا. ورغم أنَّ الجمعيَّة كانت دينيَّة، إلا أنَّها استطاعت المشاركة في الحياة السِّياسيَّة الوطنيَّة من خلال مواقف سياسيَّة كانت تُمَرِّرها. وكانت الجمعيَّة أيضًا، الحركة الاسلاميَّة الوحيدة الّتي استطاعت استقطاب علماء الجزائر، وجعلتهم مرجعيَّة للناس. وقد كانت الحركة الإصلاحيَّة الّتي قادها "وثيقة الصِّلة بمؤثِّرات حركة التَّجديد الإسلاميّ الّتي بدأها محمَّد بن عبد الوهَّاب والأفغاني ومحمَّد عبده ورشيد رضا والكواكبي وغيرهم من روَّاد الحركة الإصلاحيَّة النَّهضويَّة" . وقد عَبَّر ابن باديس عن تَأَثُّره بمنهج محمَّد رشيد رضا بشكل خاص، لكنَّ الجديد في مشروع ابن باديس، أنَّه أولى اهْتمامًا كبيرًا بالتَّركيز على تربية النَّشء، بهدف تأسيسهم لمستقبل الجزائر، نظرًا لظروف البلاد الحسَّاسة الّتي كانت تمرُّ بها. ومن خلال مسيرته، استطاع تقديم "إضافات للفكر الإصلاحيّ أثرت في محيطه، وتجاوزته إلى الأقطار الأخرى" .[٣]

وتبدأ حقبة جديدة من العصر الحديث متمثلةً بتيَّار الإحياء الإسلاميّ، أو الصَّحوة الاسلاميَّة، الّذي انْطلق من مصر، وانْتشر في كلّ أقطار العالم العربيّ، وأحيانًا تتعدَّد جماعاته داخل القطر الواحد. وقد تَمَيَّز هذا الّتيار "بالدَّعوة إلى شموليَّة الإسلام لكل جوانب الحياة، فهناك الاقتصاد الإسلامي، والسِّياسة الاسلاميَّة، والثَّقافة الاسلاميَّة، كما أنَّها تهدف إلى إعادة بعث الأمَّة الاسلاميَّة من خلال التَّحويل الجماعيّ لها إلى الإسلام، وَرَفْض الثَّورات الفرديَّة بالإضافة إلى التَّواصل بين الحركات الّتي تشكِّل في مجموعها تيَّارات الإحياء الإسلاميّ، أو الصَّحوة الاسلاميَّة الحاضرة" .[٤]

١– فهمي توفيق، **عبد الحميد ابن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث**، السعودية مجلة الدرعية، العدد ٢٠، السنة الخامسة، ٢٠٠٣، ص ٢٣٩.

١– المرجع نفسه، ص ٢٤٢.

١– المرجع نفسه، ص ٢٤٦–٢٤٧.

١– احمد عبد الرزاق، **فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي**، الجزء الأول، مرجع سابق، ص ٤٥٧.

المطلب الثاني: تيّارات الصَّحوة الاسلاميَّة

لعلَّ أبرز حركات تيَّار الإحياء كانت جماعة الإخوان المسـلمين، الّتي أسَّسـها حسن البنَّا ، وذلك في عصر الاستعمار البريطانيّ لمصر، حيث ارتبطت دعوة البنَّا بالعودة إلى الإسلام بالشُّمول، وتشمل تعاليم البنَّا صيغة دينيَّة لكلّ ما هو دنيويّ، فالإسلام بالنَّسبة له دين ودولة، كما أنَّ هويَّة النِّظام السِّياسيّ لا بد أن تنبع من قيم الإسلام وتعاليمه. وعلى خطى التّيار النَّهضويّ الإسلاميّ، سار معتبرًا أنَّ أساس التَّعاليم الاسلاميَّة هو كتاب الله وسنَّة رسوله، ومشيرًا لضرورة فهم الإسلام كما فهمه السَّلف والصَّحابة، ومؤكِّدًا على أهميَّة صلاح الأُمَّة فيقول "إنَّ وحدة الأمَّة وصلاح حال المجتمع لا يتحققان إلا بإصلاح النظام السِّياسيّ انطلاقًا من شموليَّة الإسلام وعموميَّة منهجه... فالدَّعوة الاسلاميَّة لا تقوم إلا على أساس الدَّولة الاسلاميَّة.... ولا تقوم الدَّولة الاسلاميَّة إلا على أساس الدَّعوة" . وكانت التَّربية بالنَّسبة له تتَّسم بميزتي التَّكامل والتَّوازن، واحتلت التربية السِّياسيَّة مكانا مميَّزا من اهتماماته، لأنَّ "الإسلام الَّذي جاء به القرآن والسُّنَّة، وعَرَفَتْه الأُمَّة سَلَفًا وَخَلَفًا هو إسلامٌ متكاملٌ لا يقبل التَّجزئة"[٧] . ويقولُ في رسالته نحن والسِّياسة: "إنَّنا نناديكم والقرآن في يميننا والسُّنَّة في شمالنا، وعمل السَّلَف الصَّالحين من أبناء هذه الأمَّة قدوتنا، وندعوكم إلى الإسلام وتعاليمه وأحكامه، فإن كان هذا من السِّياسة عندكم فهذه سياستنا، وإن كان من يدعوكم إلى هذه المبادئ سياسيًّا، فنحن أعرف النّاس والحمد لله في السِّياسة"[٨] .

وحول الجهاد كتب في رسالته تحت عنوان "الجهاد عزّنا": إنَّ الجهاد عدّة أنواع، "ومن الجهاد في سبيل الله أن تكون جنديًّا لله تقف له نفسك ومالك، لا تُبقي على ذلك من شيء، فإذا هُدِّد مجد الإسلام وَدُوِيَّ نَفيرُ النَّهضةِ لاسْتعادةِ مجد الإسلام، كنتَ أوَّل مجيبٍ للنِّداء، وأوَّل مُتَقَدِّمٍ لِلْجهاد"[٩] .

١- هو داعية ومصلح ديني وسياسي، ولد عام ١٩٠٦ في مصر، أسَّس جماعة الإخوان المسلمين في مصر عام ١٩٢٨، اغتيل عام ١٩٤٩.

١- احمد عبد الرزاق، **فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي**، مرجع سابق، ص ٤٨٣

١- يوسف القرضاوي، **التربية السِّياسيَّة عند الإمّام حسن البنا**، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة، مصر، ٢٠٠٧، ص ١٧.

١- حسن البنا، **مجموعة رسائل الإمّام الشهيد حسن البنا**، دار الدَّعوة، مصر، ١٩٨٤، ص ٢٩.

١- المرجع نفسه، ص ٦٣.

لقد أعلن البنا أنَّ الإســلام دين ودولة ومِصــحف وَسَــيف، وأن الإخوان المســلمين دعوةٌ سلفَّيةٌ وهيئةٌ سياسيَّةٌ هدفها الوصول إلى الحكم، لأنَّ الحكم من العقائد والأصول. وتبنَّى البنَّا أطروحات الإسلام السِّياسيّ مُعلنًا أنَّ شعار الإخوان المسلمين هو "القرآن دستورنا والرَّسول زعيمنا والخلافة الاسلاميَّة غايتنا، وَأَوْضَحَ أنَّ قعود المصلحين الإسلاميّين عن المطالبةِ بالحكم جريمةٌ إسلامية، مؤكِّدًا أنَّ الشعب ليس حرًّا باخْتيار الحُكْم الذي يريد، فالمواطنون مُعَرَّضون للخطيئة ما لم يُلزِموا أنفسهم بحكومةٍ تقوم على أُسُسٍ دينيَّة، وَهُم آثِمون ما لم يُقيموا الدَّولة الاسلاميَّة وَيُنَصِّبُوا عليهم خليفة" [١]، وحول اسْتخدام القُوَّة لتحقيق أغراض الإخوان المسلمين، أَوْضح البنَّا بأنَّ القوَّة شعار الإسلام، وهم يعلمون أنَّ "أوَّل درجة من درجات القوَّة هي قوَّة العقيدة والإيمان، ثمَّ قوَّة الوَحدة والإرتباط، ثم قوَّة السَّاعِد والسِّلاح، ولا يَصِحُّ أن توصف جماعةٌ بالقوَّة حتَّى تتوفَّر لها هذه المعاني جميعًا" [١].

كما حدَّد البنَّا دعوة الإخوان المسلمين بأنَّها دعوةٌ سلفيَّةٌ، وطريقةٌ سنِيَّةٌ، وحقيقةٌ صوفيَّةٌ، وهيئةٌ سياسيَّةٌ، وجماعةٌ رياضيَّةٌ، ورابِطةٌ عِلميَّةٌ ثقافيّةٌ، وشَرِكَةٌ اقتصاديَّةٌ، وأخيرًا فكرةٌ إجتماعيَّةٌ. وقال: "وهكذا نرى أنَّ شمول معنى الإسلام قد أَكسَبَ فِكرتَنا شمولًا لكلِّ مناحي الإصلاح، وَوَجَّهَ نشاط الإخوان إلى كلّ هذه النَّواحي، وهم يعلمون أنَّ الإسلام يطالبهم بها جميعًا" [١]. وفي "رسالة الجهاد"، دعا للجهاد كفرضٍ على كلِّ مسلمٍ معتبرًا أنْ لا نظام "عُنِيَ بشأنِ الجهاد والجُنْديَّةِ واستنفار الأمَّة وحشدها كلَّها صفًّا واحدًا كما تَجِدُ ذلك في دين الإسلام" [١].

وبعد انْتشار حركة الإخوان المسلمين الكبير في مصر، بدأوا بنشر فكرهم خارج البلاد، ولاقت دعوتهم تجاوبًا كبيرًا بسبب الظُّروف الّتي كانت تعيشها الشُّعوب العربيَّة والإسلاميَّة بعد الاستعمار. وكانت الجمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة من أوَّل البلدان العربيَّة الّتي انْتقل إليها فكر الإخوان المسلمين.

لقد سارت أيديولوجية البنَّا على طريقِ التَّجديدِ السَّلفيّ الَّذي سبقه عليه الأفغاني وعبدو ورشيد رضا، "كان ضدَّ التَّقليد ودعا إلى الأخذ بمبدأ المصلحة وكذلك نادى بضرورة الاجتهاد

١- محمَّد أبو الإسعاد، **السعودية والإخوان المسلمين**، مركز الدراسات والمعلوماتية القانونية لحقوق الإنسان، مصر، ص ٧٣-٧٢.

١- حسن البنا، **مجموعة رسائل الإمّام الشهيد حسن البنا**، مرجع سابق، ص ١١١.

١- المرجع نفسه، ص ٩٩.

١- الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، **الجهاد في سبيل الله: أبو الأعلى المودودي حسن البنا سيد قطب**، الطبعة الثانية، النادي الشبابي، مصر، ١٩٧٠، ص ٦٠.

حتَّى يمكن التَّوفيق بين الإسـلام واحتياجات العصـر الحديث" . وقد ختم البنَّا مجموعة رسائله بإعلانه عن الأخوَّة الإنسـانيَّة وتبشيره بالفكرة العالميَّة من خلال الدَّعوة الّتي لا بد من أن يسـلك المسلم كلّ السُّبل النَّظريَّة والعمليَّة لتحقيقها.

وعلى مسـاحة جغرافيَّة مختلفة، بزر سـعيد الزَّمان النورسـي في تركيّا، الّذي اختار ترك السِّياسة بعد مشاركته في الحرب ضدَّ روسيا. وأسَّس "حركة النّور" الّتي كانت نشاطاتها دينيَّة سـلميَّة اجتماعيَّة، تتجنَّب الدُّخول في السِّـياسـة، مهمَّتها الدَّعوة إلى القيم الاسـلاميَّة بتقديمها خدمات تعليميَّة وإجتماعيَّة، بهدف تنشـئة أجيال على الدِّراسـة بتعاليم الدِّين الإسـلاميّ. ورغم تجنُّب النَّورسي دخول السِّياسة، إلا أنَّ منهجه في خدمة القضـيَّة الاسلاميَّة جعله داعمًا للحزب الدِّيمقراطي عام ١٩٥٧ بمواجهة الشـيوعيَّة واللَّادينيَّة. وقد اعْتَبَرَ أنَّ الأفغاني ومحمَّد عبده أحد أسـلافه الفكريِّين . لكنَّه اكْتفى بالإصْـلاح ٱلتَّربويّ، ومرَّر مبادئه من خلال مجموعة "رسـائل النُّور" الّتي كتبها في ثماني مجلَّدات، وكان الهدف من كتابتها القضـاء على "الجهل الذي عدَّه السَّبب الأساس لكلِّ أنواع سوء الخُلق والتَّأخُّر والهزائم أمام الأعداء، ومن أجل الإصلاح الجذريّ لمدارس التَّعليم الدِّيني بما يكفل لروَّادها مجابهة احتياجات العصـر" . فقد كان النَّورسـي على إيمان بأنَّه "من الممكن أن تتعايش الرُّوح الاسـلاميَّة مع الحياة العصـريَّة، وأن يمارس المسـلمون إسلامهم دون اللُّجوء إلى السُّلطة السَّياسية" .

أمّا في سـوريا، ونتيجة تأثُّر كثير من الطَّلبة السُّـوريِّين الَّذين درسـوا في مصـر على يد حسـن البنَّا، قام مصـطفى السّباعي بتأسيس جماعة الإخوان المسلمين "من خلال انصـهار عدّة جمعيّات إسـلاميّة عام ١٩٤٦، كانت قد تأسَّسـت في أوائل الثَّلاثينات والأربعينات" . لقد

١- احمد عبد الرزاق، **فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي**، الجزء لأ ولى، مرجع سابق، ص ٤٩٠

١- محمَّد السبتي، **فقه المعارضة بين حسن البنا وسعيد النورسي**، مجلة دراسات رسائل النور، العدد الخامس، ٧ ٢٠٢٠.

١- أحمد علي سليط ن، **مبادئ الإصلاح التربوي عند الإمّام بديع الزمان النورسي**، مجلة النور للدراسات الحضارية والفكريَّة، العدد ١٤، السنة السابعة، ٢٠١٦، ص ٢٨.

١- شكرا ن واحدة، **الإسلام في تركيا الحديثة: بديع الزمان النورسي**، ترجمة محمَّد فاضل، ٢٠٠٧، ص ١٠.

١- ولد في سوريا عام ١٩١٥، وتوفي فيها عام ١٩٦٤، أسَّس جماعة الإخوان المسلمين في سوريا عام ١٩٤٢.

١- أحمد الموصللي، **الحركات الاسلاميَّة واثرها في الاستقرار السِّياسيّ في العالم العربي (دراسة تحت عنوان "الديمقراطية والتعددية السِّياسيَّة في العالم العربي)**، الطبعة لأ ولى، مركز الإمّارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الإمّارات، ٢٠٠٢، ص ١٢٩.

ركَّز الإخوان المسلمين بداية على الدَّعوة والإصلاح الإجتماعيّ والفكريّ والسِّياسي، وحرصوا باستمرار على تقديم أنفسهم "بوصفهم جماعة دعوة لا حزبا سياسيًّا" [·]. فقد كانت شخصيَّة السباعي الدَّاعية، هي الغالبة عليه حيث كانت "سمات الدَّعوة الّتي نهض بها ذات أبعاد إصلاحيَّة، فقد تحدَّث عن إصلاح الفرد والأسرة والمجتمع، وعن الإصلاح الفكريّ والثقافيّ، والإصلاح الاجتماعيّ، والإصلاح السياسيّ" [٢]، وكان يُفَضِّل الدَّعوة إلى الإسلام من خلال الحكمة والموعظة الحسنة رافضًا للعنف وللانقلابات العسكريَّة. فيقول: "ليس الإخوان المسلمون حزبًا سياسيًّا بالمعنى المفهوم من كلمة حزب في عرف النَّاس، وإنَّما دعاة إسلام، آمنوا به على انه رسالة الإنقاذ والتَّحرُّر.... لم يسعهم إلا أن يساهموا في الحركات السِّياسيَّة، لا غاية يسعون إليها، بل وسيلة لتحقيق فكرة الإسلام الّتي آمنوا بها" [٢]. فقد شارك السباعي في الحياة السِّياسيَّة وعمل نائبًا عن مدينة دمشق عام ١٩٤٩ معتبرًا أنَّ عمله بالسِّياسة هو جزءٌ لا يتجزأ من رسالته كداعية ومجدِّد، حيث كافح من أجل إدخال الإسلام كدينٍ للدَّولةِ في دستور سوريا، مبرّرًا ذلك بأنَّه من قواعد الدِّيمقراطيَّة، لأنَّ الأكثريَّة السَّاحقة في سوريا تعتنق الدِّين الإسلاميّ.

وقد أثار كتابه "اشتراكيَّة الإسلام" ضجَّة كبيرة نظرًا لتسميته من جهة، ونظرًا لما انطوى عليه من إجتهادات من جهة أخرى. فكان موضوع الكتاب كما حدَّده السباعي، "القوانين والأحكام الّتي جاءت في الإسلام لتنظيم حقّ التَّملُّك وتحقيق التَّكافل الإجتماعيّ"، وقد ذَكَرَ في مُقدّمة الكتاب أنَّ اختياره القول باشتراكيَّة الإسلام، يعود لأنَّها نزعة إنسانيَّة تتجلَّى في تعاليم الأنبياء، ومحاولات المصلحين منذ أقدم العصور [٢]. وأعطى في كتابه هذا أهمّية كبرى لمسألة الحريَّة في الإسلام قائلًا: "إنَّ الإسلام لا يرى قيمة للحياة الإنسانية بدون الحرية" [٤]، وقسَّم الحريَّة سِتَّة أقسام، الإنسانيَّة والدينيَّة والعلميَّة والسِّياسيَّة والمَدَنيَّة والإجتماعيَّة والأدبيَّة، واعْتبر أنَّ "الحريّة السِّياسيَّة في نَظَر الإسلام جزءٌ أساسيٌّ من الحريَّة الإنسانيَّة وتتجلَّى من خلال: حريَّة اخْتيار رئيس الدَّولة، حريَّة الشُّورى لرئيس الدَّولة، حريَّة نقد الحاكم، حريَّة الشَّكوى للحاكم، حريَّة مخالفة

١- محمَّد بيا وت، **يثرب الجديدة الحركات الاسلاميَّة الراهنة**، الطبعة الأولى، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ١٩٩٤، ص ٩٨.

١- عدنان زرزور، **مصطفى السباعي الداعية المجاهد والفقيه المجدد** الطبعة الثانية، دار القلم، سوريا، ٢٠٠٣، ص ١٧.

١- المرجع نفسه، ص ١٨٤.

١- مصفى السباعي، **اشتراكية الإسلام**، الطبعة الثالثة، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، بدون تاريخ، ص ٦.

١- المرجع نفسه، ص ٤٨

الحاكم إذا امر بمعصية، وحريَّة الحاكم" [2]. كما تحدَّث عن التَّكافل السِّياسيّ كأحد أنواع التَّكافل الإجتماعيّ في الإسلام، بحيث "قرَّرَ الإسلام أنَّ كل مواطن له حقّه السِّياسيّ، وله حقّه في المراقبة والنُّصح لأولياء الأمور، لأنه مسؤولٌ عن مستقبل الأمَّة.... فالمجتمع كلّه متكافل في تأييد السِّياسة الرَّشيدة وإنكار الفساد والإنحراف" [6].

وحول تصوُّره للجهاد، فقد اعتبر أنَّه يجوز في حالة دفع العدوان على حريَّة الأمَّة في وطنها ودِيْنِها، وفي حالة إنقاذ الضُّعفاء المضطهدين من سلطة الظَّالمين، ولهذين الغرضين يكون جهادًا في سبيل الله من خلال إعلان كلمة الحقّ ورفع منار العدل [7].

وبعد أن صارت حركة الإخوان المسلمين التَّنظيم الإسلاميّ الأكبر من ضمن الجماعات الدِّينيَّة، ظهرت "الجماعة الاسلاميَّة في الهند" لتليها في الترتيب تحت قيادة أبو الأعلى المودودي [1]، وهو الَّذي لعبت طروحاته دورًا كبيرًا كمرجعيَّة للتَّكفير، فالجديد الَّذي أتى به المودودي هو أنَّه انفرد "عمَّن سبقه من المفكِّرين والمجتهدين والمجدِّدين وأعلام الصَّحوة الاسلاميَّة بوصف واقع المسلمين ومجتمعاتهم بالجاهليَّة، وحكم عليها بالكفر" [9]، فهو يعتبر أنَّ حقيقة الكفر "الّستر والتّغطية والمواراة، فيقال هذا الرَّجل كافر لأنه ستر فطرته وغَّلفها بغطاء من الجهل والسَّفاهة" [1]، ويقصد بالجاهليَّة الحقبة الزمنيَّة الّتي خلت من تطبيق الشَّريعة الإلهيَّة في المجتمع. أمَّا المعيار الأساسيّ الَّذي يجب أن تحكم القوانين وفقًا له فهو "الحاكميَّة الإلهيَّة"، ويأتي هذا المعيار من عقيدة التَّوحيد "فمعنى لا اله إلا الله أن ليس لهذا الكون من مالكٍ ولا حاكمٍ إلا هو وحده، وكلّ شيء مفتقرٌ إليه مضطرٌ إلى استعانته..." [1]، فاللَّه هو صاحب الحكم والسُّلطة والسِّيادة، "وأهمّ شيء أنَّ الإيمان بـ"لا اله إلا الله" يجعل الإنسان متقيِّدًا بقانون الله ومحافظًا عليه" [1]. وَيُعَرِّف المودودي الحاكمِّيَّة بأنَّها "تُطلَقُ على السُّلطة العليا والسُّلطة المطلقة... فلا معنى لكون فردٍ من الأفراد حاكمًا إلا أنَّ حُكمه هو القانون، وله الصَّلاحيات

١- مصفى السباعي، **اشتراكية الإسلام**، مرجع سابق، ص ٥٣ ٥٦

١- المرجع نفسه، ص ١١٥.

١- المرجع نفسه، ص ١٥٤ + ١٥٥.

١- هو عالم دين مجتهد ومفتي إسلامي، تأثر بابن تيميَّة كثيرا، ولد في الهند عام ١٩٠٣م، وتوفي عام ١٩٧٩ في الولايات المتحدة الأميركية.

١- محمَّد عمارة، **أبو الأعلى المودودي والصحوة الاسلاميَّة**، دار السلام، سوريا، ٢٠١١، ص ٥٣

١- أبو الأعلى المودودي، **مبادئ الإسلام**، الطبعة الثالثة، مكتبة الشباب المسلم، سوريا، ١٩٦١، ص ١٠.

١- المرجع نفسه، ص ٦٣.

١- المرجع نفسه، ص ٧٣

التَّامة والسُّـلطات الكُليَّة غير المحدودة لينفِّذ حكمه في أفراد الدَّولة، وهم مضـطرون إلى طاعته طوعًا أو كرهًا... وما من شـيءٍ يحدُّ صـلاحيَّاته غير إرادته ومشـيئته هو نفسـه... إنَّ القانون يُسنُّ بإرادة صاحب الحاكميَّة... هو القادر المطلق في ذاته وكلّ ما يفعله هو الصَّواب"، وَيُكمِل المودودي بأنَّ "الله تعالى وحده هو الحامل لهذه الحاكميَّة..." . ويؤكِّد في رسـالته أنَّه "إذًا كان من دعوانا أنَّ الحاكميَّة إنَّما هي حقٌّ لله وحده، ولا يجوز لأحدٍ سواه أن يُنَفِّذ حكمه في أرض الله بدون طاعته له والتزامه بقانونه وقيامه عند حدوده، وإذا كان من عقيدتنا أنَّ كلّ قانون يقضـي بين النَّاس بدون استناده إلى ما أنزل الله، هو قانون الكفر... فإنَّه ممَّا يستلزمه كلّ ذلك ألا نضع أسـاس حقوقنا على قانون غير القانون الشَّرعي، وأن لا نترك قضـيَّة تقرير الحقّ من غير الحقّ إلى حكومة حاكم نعتقد بطلان أسـاسـه للحكم" . لأن من مقتضـيات الإيمان المهمَّة أنَّه إذا آمَنْتَ بدينٍ من الأديان واستيقنت نفسك أنَّه هو الدِّين المُنْزَل من عند الله أصبح من واجبك ألا توفِّر جهدًا في نشر مكارم الدِّين وبثِّ محاسـنه وفضـائله، وأن تبذل الجهد المسـتطاع في دعوة البشر كافَّة إلى الإيمان والدُّخول في دائرته حتى يكون دين العالم بأسره، بل ينبغي أن تكون هذه الغاية همُّك الوحيد في العالم .

فالحاكميَّة "هي مفتاح فهم المودودي، ولن نسـتطيع فهم الجديد الذي انفرد به إذا لم نفهم الحاكميَّة، فسـبب الجاهليَّة والتَّكفير هو خروج المجتمعات عن الحاكميَّة الإلهيَّة. أمّا القوميَّة والديمقراطيَّة فهو شِـركٌ بالله لأنَّها تَحِلُّ حاكميَّة القوم والجماهير محلَّ حاكمية الله، والعِلمانيَّة تنفي حاكميَّة الله، أمَّا الجهاد فهو حرب تسقط به كلّ النُّظم والحكومات تحريرًا لكلِّ الشُّعوب من حاكميَّة البشر لتحلَّ مكانها حاكميّة الله" .

ويوجّه المودودي دعوة لجميع أهل الأرض "أن يُحْدِثوا انقلابًا عامًا في أصـول الحكم الحاضـر الذي اسْـتبدَّ به الطَّواغيت والفَجَرة، الَّذين ملأوا الأرض فسـادًا، وأن تُنْتَزَع هذه الإمامة الفكريَّة والعلميَّة من أيديهم حتَّى يأخذها رجالٌ يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويُدينون دين الحق ولا يريدون عُلُوًّا في الأرض ولا فسـادًا" . فلا بدَّ أن تكون الحركة الَّتي تقوم لإعلاء كلمة الإسـلام

١- أبو الأعلى المو دي، **تدوين الدستور**، الطبعة الخامسة، مؤسسة الرسالة، بيـ وت، ١٩٨١، ص ٨ + ٢٠.

١- أبو الأعلى المو دي، **تذكرة يا دعاة الإسلام**، مجموعة رسائل، منبر التوحيد والجهاد، ص ٣ + ١٤.

١- أبو الأعلى المو دي، **الدين القيم**، مؤسسة الرسالة، لبنا ن، ١٩٨٤، ص ٤٦

١- محمَّد عمارة، **أبو الأعلى المودودي والصحوة الاسلاميَّة**، مرجع سابق، راجع ص ١٣٠ + ١٣١.

١- أبو الأعلى المو دي، **تذكرة يا دعاة الإسلام**، مرجع سابق، ص ٦.

وجعله نظامًا غالبًا في الأرض متدفقةً تَدَفُّقَ السَّـــيْل، كما جاءت الثَّقافة الغربيَّة كســـيلٍ جارٍ واسْتولَت على كلِّ شُعبةٍ من شُعب حياتنا .

أمّا التَّطوُّر الأبرز الّذي ســاهم في بروز السَّــلفيَّة الجهاديَّة وتبلورها، فقد كان عبارة عن امتزاج عناصـر من المنظومة الوهَّابيَّة بعناصـر من المنظومة القِطبيَّة ، ونقصـد بالقطبيَّة فكر سيّدِ قطب الّذي تأثَّر بالمودودي، وأعاد صـياغة المنظومة الفكريَّة السَّـلفيَّة، واضـعًا لها أطرًا وضوابط جديدة، فقد "وَصَلَت السَّلفيَّة الجهاديَّة إلى ذروتها في صياغتها الجديدة بعد التَّفاعل بين التّيارين الوهَّابيّ والقطبيّ، وأدَّت إلى ظهور معادلة تمثِّل مثلَّث الصِّـــراع العقيدي العملي وهي: كُفْر الأنظمة، وجاهليَّة المجتمع، والجهاد ســـبيلًا وحيدًا للتغيير" . فيقول ســـيِّد قُطب "نحنُ مُلزمون بمحاولة تحقيق المنهج الإلهيّ للحياة البشــريَّة لِنَرُدَّ البشــريَّة إلى إلهِهَا الواحد وإلى غاية وجودها اللَّائقة بالإنسانيَّة" ، وهناك "حزبين اثنين في الأرض كلّها: حزب الله وحزب الشَّيطان، حزب الله الذي يقف تحت راية الله ويحمل شارته، وحزب الشَّيطان وهو يضمُّ كلَّ ملَّة وكلَّ فريق ... لا يقف تحت راية الله" . وحيث اعتبر الجهاد فرضًا على المســـلمين بقوله "لقد فرض الله الجهاد على المؤمنين لا ليُكرهوا النَّاس على اعْتناق الإســـلام، ولكن لِيُقِيمُوا في الأرض نظامه الشَّامخ العادل القويم" ، اعتبر بذلك أنَّ الإسلام وحده يستطيع تزويد البشريَّة "بقيم جديدة كاملة بالقياس إلى ما عرفته البشريَّة وبمنهج أصيل وإيجابي وواقعي" . مؤكِّدًا على أنَّ الإسلام يؤدّي دوره من خلال تمثُّله بأمَّة مسـلمة وهي "جماعة من البشــر تنبثق حياتهم وتصــوُّراتهم وأنظمتهم وقيمهم كلَّها من المنهج الإســـلاميّ، وهذه الأمَّة انقطع وجودها، ولا بد من إعادة وجودها لكي يؤدي الإسلام دوره المرتقب في قيادة البشرية" .

١- أبو الأعلى المودودي، **واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم**، مكتبة الشباب المسلم، سوريا، ١٩٥٦، ص ٥٤

١- محمَّد مرتضى، **صناعة التوحش**، مرجع سابق، ص ٢٢.

١- هو عالم دين مجتهد ومفتي إسلامي مصري، ولد عام ١٩٠٦وتوفي عام ١٩٦٦، وقد أحدث تأثيرا فكريا بالغا في الحركات الاسلاميَّة المعاصرة.

١- محمَّد مرتضى، **صناعة التوحش**، مرجع سابق، ص ٢٥.

١- سيد قطب، **هذا الدين**، الطبعة الخامسة عشرة، دار الشروق، مصر، ٢٠٠١، ص ٢٨.

١- المرجع نفسه، ص ٨٨.

١- سيد قطب، **هذا الدين**، مرجع سابق، ص ٩١.

١- سيد قطب، **معالم في الطريق**، الطبعة السادسة، دار الشروق، مصر، ١٩٧٩، ص ٤

١- المرجع نفسه، ص ٥٦.

وقد اعْتَبَر سـيّد قُطب أنَّ العالم اليوم يعيش "جاهليَّة من ناحية الأصـل الّذي تنبثق منه مقوّمات الحياة وأنظمتها... هذه الجاهليَّة تقوم على أساس الإعتداء على سلطان الله في الأرض وعلى أخصّ خصـائص الألوهيَّة، وهي الحاكميَّة، أن تسند الحاكميَّة إلى البشر، فتجعل بعضـهم لبعضٍ أربابًا... بمعزل عن منهج الله للحياة... وفي المنهج الإسلاميّ وحده يتحرَّر النَّاس جميعًا من عبادة بعضهم لبعض، بعبادة الله وحده، والتَّلقي من الله وحده، والخضوع لله وحده" ، معتبرًا أنَّ هذا هو التصـوُّر الجديد الذي يجب أن يُعطى للبشـريَّة، "لكنَّ هذا الجديد لا بدَّ من أن تعيش به أمَّة من خلال طليعةٍ تمضـي في الطَّريق" ، فقد "جعل الله سببًا واحدًا للقتال حيثما لا يكون بدَّ من القتال، هو الجهاد في سبيل الله" .

كما وحدَّد سمات أصيلة في منهج الدِّين، إعتَبَر أوَّلها الواقعيَّة الجديَّة، حيث تُواجَهُ بالدَّعوة والبيان لتصـحيح المعتقدات والتَّصـوُّرات، وتُواجَهُ بالقوَّة والجهاد لإزالة الأنظمة والسُّلطات القائمة عليها، تلك الّتي تَحُولُ بين جمهرة النَّاس وبين التَّصـحيح بالبيان للمعتقدات والتَّصـوُّرات... أمَّا ثانيها فهي الواقعيَّة الحركيَّة، فلِكُلِّ مرحلةٍ مقتضـياتها وليسـت القواعد الدِّينيَّة نهائيَّة، ممَّا يقوده للسِّـمة الثَّالثة، وهي أنَّ الوسـائل المتجدِّدة لا تُخرج الدين عن أهدافه المرسـومة، ويُطْلَبُ منهم الإنتهاء إلى هدفٍ واحدٍ هو إخلاصُ العبوديَّة لله والخروج من العبوديَّة للعباد. أمَّا السِّـمة الأخيرة، فهي الضَّبط التَّشريعيّ للعلاقات بين المجتمع المسلم وسائر المجتمعات الأخرى، على أساس أنَّ الإسلام لله هو الأصل العالميّ الّذي على البشرية أن تفيء إليه، فلا تقف لدعوته بأي حائلٍ، وإن فَعَلَتْ كان على الإسلام أن يقاتلها حتّى يَقْتُلها أو تُعلِن اسْتسلامها .

وهكذا فإنَّ أهمَّ ما قدَّمه سيّد قطب، ولعلَّه الأخطر في العقيدة، هو مسـألة الحاكميَّة معتبرًا أنَّ "مملكة الله في الأرض لا تقوم بأن يتولَّى الحاكميَّة في الأرض رجالٌ بأعيانِهم... ولكنَّها تقوم على أن تكون شـريعة الله هي الحاكمة، وعلى أن يكون مَرَدُّ الأمر إلى الله وِفْقَ ما قرَّره من شـريعة مُبَيَّنَةٍ". فهو يدعو إلى تحرير الإنسـان من أيّ حاكمٍ دون الله، فإنَّه "بإعلان ألوهيَّة الله وحده وربوبيَّته للعالَمين، لم يكن إعلانًا نظريًا فلسـفيًا... إنمَّا إعلانًا يُراد له التَّحقيق العَمَلَيّ في صـورة نظامٍ يحكم البشـر بشـريعة الله"، كما يُعْلِنُ عن كَوْنيَّة الشَّـريعةِ الاسـلاميَّة بقوله "إنَّ هذا الدِّين ليس إعلانًا لتحرير الإنسـان العربيّ... إنَّ الله ليس ربًّا لِلْعرب وحدهم... إنَّ الله هو ربُّ العالمين، وهذا الدِّين يريد أن يَرُدَّ العالَمين إلى ربِّهم وأن يَنْتَزِعَهُم منَ العُبوديَّة لغيره"، مؤكِّدًا أنَّ

١- سيد قطب، **معالم في الطريق**، مرجع سابق، ص ٨

١- المرجع نفسه، ص ٩

١- المرجع نفسه، ص ٨٩

١- سيد قطب، **معالم في الطريق**، مرجع سابق، ص ٥٧، ٥٩

الإسلام يهدف قبل أيّ شيءٍ إلى تغيير الحكومات الّتي تقوم على حاكميَّة البشر للبشر، لأنَّها برأيه عبوديةُ إنسانٍ لآخر. وبالنِّسبة للأديان المختلفة يقول، "وفي الإسلام يمكن أن تخضع جماعات متنوِّعةٌ لمنهجه العام الَّذي يقوم على أساس العبوديَّة لله وحده" [١]، لأنَّ "من حقّ الإسلام أن يُخرج النَّاس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده" [٢]، وذلك بعد أن تكون قاعدة النِّظام الذي يحكمهم العبودية لله بتلقي الشرائع من الله وحده. وتكون "العبودية لله وحده هي شطْر الرُّكن الأوَّل في العقيدة الإسلاميَّة المتمثِّل في شهادة لا اله إلا الله، والتَّلَقِّي عن رسول الله في كيفيَّة هذه العبوديَّة هو شطرها الثَّاني... وكلّ ما بعدهما من مقوّمات الإيمان وأركان الإسلام إنَّما هو مقتضى لها... ومن ثمّ تصبح شهادة لا اله إلا الله وأنَّ محمَّدًا رسول الله قاعدةً لمنهجٍ كاملٍ تقوم عليه حياة الأمَّة المسلمة" [٣].

وحيال مسألة التَّكفير ورغم أنَّ سيّد قطب قد تأثر بإبن تيميَّة كثيرًا في صياغتها، لكنَّنا نُلاحظ من خلال كتابه "في ظلال القرآن" قيامَه بتكفير حتَّى من يتوافقون على عادات وتقاليد معيَّنة، حيث قال: "وهناك الشِّرك الواضح الظَّاهر، وهو الدَّيْنونة لغير الله في شؤون الحياة... والدَّيْنونة في تقليدٍ من التَّقاليد... وفي زيٍّ من الأزياء يخالف ما أَمَرَ الله به من التَّستُّر..." [٤]، وذلك أنطلاقًا من تأوليه لكلمة الشِّرْك في القرآن بأنَّها كُفْر، وبذلك يُكَفِّر السَّيد قُطب كلّ الشُّعوب معتبرًا الجهاد واجبًا لإعلاء كلمة الله. لكنَّ ما تمَّ الإجماع عليه من قِبَل المسلمين، أنَّ المراد بالشِّرك "اتِّخاذ أندادٍ مع الله يُستغاث بهم ويُذبح لهم ويُقَرَّب إليهم ويُصرَف لهم حقُّ اللهِ من العبادات الّتي أمرهم الله أن يعبدوه بها، أمَّا بالنِّسبة لسيّد قطب، فَشِرْكُ العَرَبِ الحقيقيّ والأساسيّ عنده إنَّما هو في الحاكميَّة" [٥].

لقد ربط سيّد قطب الدَّعوة بالجهاد، معتبرًا أنَّ الجهاد ضرورةً للدَّعوة، ومن خلال ما تقدَّم نجد أنَّ الفكر الوهابيّ والفكر القطبيّ قد عَمِلا معًا على ترسيخ عقيدة الوَلاء والبَراء، بعد أن تمَّ إعادة إنتاجها لتحلَّ محلَّ فكرة الحاكميَّة الّتي ارتكز عليها الّتيار القطبيّ طويلًا. لكنَّ المنظومة الفكريَّة الّتي طرحها سيّد قطب حول الحاكميَّة، كانت تحتوي على بذور معرفيَّة وجدليَّة تجعلها قابلة للتَّحوُّل إلى عقيدة الوَلاء والبَراء، خصوصًا المتعلِّق منها بالعلاقة مع الآخر غير المسلم.

١- سيد قطب، **معالم في الطريق**، مرجع سابق، ص ٦٠-٦٤.

١- المرجع نفسه، ص ٨٠.

١- المرجع نفسه، ص ٨٣.

١- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ط ٣٢، دار الشروق، مصر، ٢٠٠٣، ص ٢٠٣٣.

١- ربيع المدخلي، **أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره**، الطبعة الأولى، دار الآثار للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٧، ص ٧٧.

وَرَغم اسْتبدال فكرة الحاكميَّة بعقيدة الولاء والبراء الّتي أدَّت إلى حصـول نوعٍ من قِسـمةِ المجتمع بين مجتمع جاهليّ (أي غير مسلم) وآخر مسلم، فالولاء هو الإسلام والبراءة من المشركين وغير المسلمين. وبذلك أدَّت عمليَّة المزاوجة بين مفهوم الحاكميَّة، وعقيدة الولاء والبراء، وبين المنظومة الفكريَّة القطبيَّة، والمنظومة الفكريَّة الوهَّابيَّة، إلى نوع من الدِّيناميكيَّة، وبذلك شُـحِنت المضــامين العقَدَية الوهَّابيَّة بأبعادٍ ســياســيَّةٍ قِطبيَّة، فيما تمَّ تســييس المواقف الفقهيَّة الوهَّابيَّة بالأصـــول السِّياسيَّة الشَّرعية القطبيَّة [٥] . [٦]

ويُعتبر الآن مبدأ الولاء أحد أبرز المرتكزات للتَّنظيمات الجهاديَّة، "إذ يقوم تنظيم الجهاد على مبدأين أساسـيَّين هما "الحاكميَّة" و"الوَلاء والبَراء" ومن خلالهما حَمَلَ تنظيم الجهاد السَّـلاح ضدَّ كلٍّ من الحكومات القائمة في بلاد العالم الإسلاميّ أو ضدَّ الأعداء الخارجيّين" .

ولكن هناك من لم يوافق على مســـألة التَّكفير في صــــياغتها الجديدة الّتي قُدمت للعالم وللشباب المسلم، وهو المرشد الثاني للإخوان المسلمين حَسَن الهضيبي [٨] الَّذي حارب التَّكفير في كتابه "دعاة لا قضـاة"، إلا أنَّ مجموعةً كبيرةً من الإخوان أُعجِبوا بفكر سيّد قطب وتبَنُّوه ممَّا أدَّى إلى حصـــول انْشـــقاق في صـــفوف الجماعة، بين مؤيّدٍ للفِكر التَّكفيريّ وبين معارضٍ له. ويقول الهَضـــيبي حول الحاكميَّة "ونحن على يقينٍ تامٍ أنَّ لفظة الحاكميَّة لم ترد بأيَّة آية من الذِّكر الحكيم، ونحن في بَحْثِنا لم نجد منها حديثًا قد تضمَّن تلك اللَّفظة فضـلًا عن إضافتها إلى اسـم المولى عز وجلّ"، ويردّ على الاعتقاد بالحاكميَّة بقوله "وهكذا يجعل بعض النَّاس أسـاسًـا لمعتقدهم مصـطلحًا لم يرد له نصٌّ من كتاب الله أو سنَّة رسوله، أساسًـا من كلام البشـر غير معصـوم، وَأَردُّ عليه الخطأ والوهم" . فالهضـيبي يُشَجِّع على ٱلدَّعوة من خلال التَّبليغ والتَّعليمْ، عبر العمل الدَّعويّ والسِّياسـيّ المُشَجِّع، وليس من خلال العنف. ورغم مساعيه الحثيثة، إلا أنَّ محاولاته لم تنجح في اسْتئصال الفكر القطبيّ من نفوس الشَّباب. وكان مِمَّن انفصل عن جماعة الإخوان أيضًـــا، شـكري مصــطفى ألّذي تبنَّى الفكر القطبيّ، وتأثَّر بالمودودي، وأسَّـس جماعة عُرفت باســـم "جماعة التَّكفير والهجرة"، وقد ســـميَّت بذلك لأنَّه دعا أتباعه للهجرة إلى الجبال، تطويرًا لفكرة سيّد قطب القائلة بالتَّحضير لقيام الدَّولة الاسلاميَّة بالعزلة والانفصال عن المجتمع

١- محمَّد مرتضى، **صناعة التوحش**، مرجع سابق، ص ٢٢-٢٣.

١- المرجع نفسه، ص ٣٩.

١- عالم دين مصري، درس المحاماة ثم التحلق بالسلك القضائي، ولد عام ١٨٩١م، استقال من القضاء وشغر منصب المرشد الثاني لحركة الإخوان المسلمين في عهد جمال عبدالناصر، توفي عام ١٩٧٣م.

١- حسن الهضيبي، **دعاة لا قضاة**، الطبعة الأولى، دار التوزيع والنشر الاسلاميَّة، مصر، ١٩٧٧م، ص ٧٦-٧٧.

الجاهليّ. ثمَّ امتدَّت حركته لتطال كثيرًا من المدن المصريَّة حتَّى وصلت إلى خارج مصر، ولكنَّ صـراعاتٍ داخليَّةٍ كثيرة حصـلت، أدَّت إلى العنف، مثل الحُكْم على من يخرج من الجماعة بأنَّه مُرتدّ دون اسْتتابة، وكُشِفَت بعض ملامح هذه الصِّراعات في الإعلام، ممَّا أدَّى لإصدار فتاوى بتحريم أفعال هذه الجماعة، إلى أن صـــدر قرار بإعدام زعيمها، ورغم إعدام زعيمها إلا أنَّ الحركة لم تتوقَّف. فقد قام مصـطفى بتطوير مشروع سيد قطب معتبرًا "أنَّه ظلَّ منقوصًا، ولذلك فمِن واجبه تطوير تلك الرُّؤية، فَحَافظ على المقولات الرَّئيســيَّة الثَّلاث، الحاكميَّة والجاهليَّة والجماعة، مُضـيفًا عنصـرَ العِزلة أو الهجرة، فكان شـرطه لمحاكاة التَّجربة النَّموذجيَّة المحمديَّة "لا جهاد دون هجرة" [1]، وهكذا صار شُكري مصطفى مرجعًا في تقديم مسألة الْجِهاد المعاصرة بصيغتها القطبيَّة المتطوِّرة.

وفي العام ١٩٨٠ كان قِســمٌ من الإخوان المســلمين في مصـــر يروج لأجندة وحدويَّة إسـلاميَّة، وكانوا قد أقاموا صِـلات وطيدة بالإسـلاميّين الأفغان، وأرسـل مرشـد الإخوان مبعوثًا لتقييم وضـــع الجهاد الأفغانيَ ودراســـة آفاق المشـــاركة، وأثناء عودته إلى مصـــر عرَّج على السُّعودية والْتقى بأحد أتْباع الإخوان المسلمين، وهو عبد الله عزام [2]، وأقنعه بالسَّفر إلى إسلام آباد ليُصـبح أهمّ شـخصـيَّة تدير حملة تعبئة المتطوِّعين العرب للجهاد في أفغانسـتان [3]. وكان فِكر عزَّام متأثِّرًا بفكر سيِّد قطب، وعمل على تأليف عدَّة كتب، كما أصـدر فتاوى بشـأن الجهاد وتحديدًا في أفغانســـتان، وجاء في أحد فتاويه "إنَّ الجهاد اليوم فرضُ عينٍ بالنَّفسِ والمال على كلِّ مسـلم، وتبقى الأمَّة الإسـلاميَّة آثمةً حتَّى تَتَحَرَّر آخر بقعة إسـلاميَّة من يد الكفر، ولا ينجو من الإثم إلا المجاهدون" [4]. وحيث اعْتبر أنَّ الجهاد فَرْضُ عَيْنٍ أي "هو الفرض الَّذي يجب على كلِّ مسلمٍ أن يفعله بنفسه كالصَّلاة والصَّوم" [5]. فقد دعا للقتال لأسباب كثيرة، وفي كتابه "إلْحَق بالقافلة"، جعل على رأس تلك الأســباب "كي لا يســود الكفر، لِقِلَّةِ الرِّجال، الخوف من النَّار، أداءً للفريضـة واستجابة للنِّداء الرَّباني، إتِّباعًا للسَّلَفِ الصَّالح، إقامة القاعدة الصُّلبة الَّتي

١- عبيد خليفي، شكري مصطفى: **الإسلام الغاضب لجماعة التَّكفير والهجرة**، مركز المسبار للدراسات والبحوث، ٢٠٢٠، تاريخ الاستشارة ٢ /١١/ ٢٠٢٠. https://www.almesbar.net/%

١- فلسطيني الأصل، ولد عام ١٩٨٩، عُرف كشخصية سلفية إخوانية من قادة المقاتلين في أفغانستان، تم اغتياله عام ١٩٨٩.

١- توماس هيغهامر، **الجهاد في السعودية**، ترجمة أمين الأيوبي، الطبعة الأولى، لبنان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ٢٠١٣، راجع ص ٦٨-٦٩.

١- عبدالله عزام، **الحق بالقافلة**، بيت المقدس للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠١٤، ص ٣٩.

١- عبد الله عزام، **الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان**، دار ابن حزم، ١٩٩٠، ص ١٨.

تكون مُنطلقًا للإســلام، حماية المســتضــعفين في الأرض، وَطَمَعًا في الشَّــهادة" [٥]. وهكذا لم يختلف عزَّام عمَّن سبقه من السَّلفيّين، لكنه أضافَ عُنصرًا يتعلَّق بالجهاد على انه فرضُ عَيْن، مُعتبرًا أنَّ الفقهاء اتَّفقوا "على أنَّ بلاد المســـلمين كالبلد الواحد، فأيّ بقعةٍ من بقاع المســـلمين تعرَّضــت لِخَطر، وَجَبَ أن يتداعى جسـد الأمَّة الإسـلاميَّة كلّها لحماية هذا الشَّـلل الَّذي تَعَرَّض لغزو الجراثيم" [١]، ولم يكتف عزَّام باعْتبار الجهاد فرضَ عَيْن، بل اعْتبر أيضًـــا أنَّ التَّحريض على الجهاد فرضٌ أيضًا.

إنَّ المذهب الجهاديّ الكلاسيكيّ هو ابْتكارٌ حديثٌ كان أوَّل من صـاغَه عبد الله عزَّام في ســياق الجهاد في أفغانســتان في ثمانينات القرن الماضـــي. فقد جادل عزَّام بأنَّ انْتهاك الكفَّار حُرمةَ أرضٍ إسـلاميَّةٍ يسـتلزم مشـاركةً عسـكريَّةً فوريَّةً من جانب الرّجال المُكَلَّفينَ كلّهم شـرْعًا بالدِّفاعِ عن تلك الأرض أيًا كان موقعها. وبذلك تغيَّر المحتوى السِّـياسـيّ للجهاد المعاصـر من صـراعٍ مع نُظُمٍ مُسـلمةٍ على السُّـلطة، إلى صـراعٍ دِفاعيٍ مع الكفَّار دِفاعًا عن الأرض... لكنَّ عزَّام اخْتلف مع جمهورِ العلماء بقوله إنَّ القتال فرضُ عيْنٍ على كلِّ المســـلمين، وليس على السُّكَّان المتأثِّرين بشكلٍ مباشرٍ فقط [٧][٦].

أمَّا أبرز الأشخاص الَّذين تأثَّروا بعزَّام، فهو أُسامة بِن لادن مؤسّس تنظيم القاعدة، وكان أبرز ما قام به تنظيم القاعدة تأسـيسـه "أجندة إسـلاميَّة وَحْدَوِيَّة في أقواله وأفعاله... وَدَأَبَ في منشـــوراته على تبرير عنفه بأنَّـه رَدُّ فِعْلٍ دفاعيٍ على عُدوان الولايات المتَّحدة على العالم الإسلاميّ" [٨][٦][١].

نختم هذا الفصل ببيان أنَّ حركات الإسلام السِّياسيّ قد تأثَّرت بنشأة العلوم الإسلاميَّة كلَّها، نشأةً سياسيَّةً إجتماعيَّةً في بيئةٍ سياسيَّةٍ، تتحوَّل فيها القبيلة إلى دولة، والنُّبوَّةُ إلى خِلافة، والخِلافَةُ إلى مُلك. وَرَغْم ظهور تيَّارات نَهْضَوِيَّة سلفيَّة، إلا أنَّ الحركات السَّلفيَّة الوهَّابيَّة الّتي اتَّخذت طابعًا جهاديًّا عنيفًا، ظهرت بِقُوَّةٍ أكبر في التَّعبير عن الإسلام السِّياسيّ، ولعلَّ السَّبَبَ في ذلك يعود للدَّعم السِّياسيّ والإعلاميّ والماديّ والعسكريّ والأمنيّ الَّذي ساندها. وَسَنُسَلِّطُ الضَّوء في الفصل التَّالي على التَّيارات الاسلاميَّة في سوريا، الّتي وُلِدَت من رحم المذاهب الفكريَّة الّتي تطرَّقنا إليها، وكيفيَّة تأثير هذه التَّيارات في المعادلة السِّياسيَّة السُّورية.

١- عبدالله عزام، **الحق بالقافلة**، مرجع سابق، ص ٢٦-٢٧.

١- عبدالله عزام، **الحق بالقافلة**، مرجع سابق، ص ٣٤.

١- توماس هيغهامر، **الجهاد في السعودية**، مرجع سابق ص ٨١.

١- المرجع السابق، ص ٢١.

الفصل الثّاني: المجتمع السُّوري وتيّارات الإسلام السِّياسيّ: بين المُساكنة والتَّأزُّم

يتَّفق الإسلاميُّون الأصوليُّون على ضرورة أن يعود المجتمع الإسلاميّ إلى الشَّريعة الاسلاميَّة في أُسُسه وبنيته، وعلى أنَّ أسلمة المجتمع ستكون محصِّلة عمل إجتماعيٍّ وسياسيّ، فلا بُدَّ من تدخُّل الحركات الاسلاميَّة مباشرةً في السِّياسة.

وقد تمثَّلت أهمّ المشاكل السِّياسيَّة في سوريا بعد الاستقلال في الصِّراع الدَّائر بين الطَّبقة العليا وبين الطَّبقة الوسطى الجديدة، وانْتمت الجمعيَّات الاسلاميَّة للفئة الثَّانية الّتي كانت تسعى لتكوين نفسها في ميادين السِّياسة والإجتماع. ولكنَّ تاريخ الإسلام السِّياسيّ في سوريا، لا يقتصر فقط على التَّنظيمات والأحزاب السِّياسيَّة الاسلاميَّة، بل يمتدُّ ليشمل كلّ الَّذين مارسوا العمل السِّياسيّ تحت مرجعيَّة دينيَّة إسلاميَّة ولو كانوا في أحزاب علمانيَّة، وظاهرة الإسلاميّين السِّياسيّين هي ظاهرةٌ مستمرَّةٌ في سوريا، ففي العام ١٩٣٥ أصبح أحمد الصَّابوني، أحد أعضاء الجمعيَّات الإسلاميَّة تدعى "الجمعيَّة الغرَّاء"، عضوًا في البرلمان. فلم يكن للإسلاميّين حساسية تجاه الأفكار والأيديولوجيَّات السِّياسيَّة في الحقبة الّتي تلت الجلاء الفرنسيّ.

ولكن مع دخول أفكار السَّلفيَّة الجهاديَّة، تغيَّر الخطاب من خطابٍ نهضويٍّ إلى خطابٍ صَحَويّ، ورغم أنَّهما ينتميان إلى المرجعيَّة نفسها، ولكنَّهما اخْتلفا من حيث أدوات التَّفكير، وقد نتج عن هذا الاختلاف اخْتلافًا بالوسائل والغايات. فحين اسْتطاع الخطاب النَّهضويّ أن يُقَدِّمَ رؤيةً إسلاميَّةً تستطيع أن تَتَكَيَّف مع الحداثة، كان الخطاب الصَّحويّ رافضًا للحداثة ومتمسِّكًا بضرورة العودة إلى الماضي.

وسنعرج في هذا الفصل على ما تيسَّر لنا معرفته من التَّيارات الاسلاميَّة السُّوريَّة قبل حكم البعث، ومن ثم سنتعرض لإرهاصات الحرب السُّوريَّة بعد حكم البعث. ولكن قبل الشُّروع في ذلك، كان لا بدَّ من تناوُل لمحة حول الموقع الجغرافيّ لسوريا، وكذلك لمحة تاريخيَّة نعرض فيها لأبرز المحطَّات الّتي مرَّت بها منذ الحرب العالمية الأولى.

المبحث الأول: الجغرافيا السِّياسيَّة والتَّاريخ السِّياسيّ للدَّولة السُّوريَّة

تعدُّ الجمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة من أحد الأقطار الأربعة الّتي كانت تُشَكِّل بلاد الشَّام قبل تقسيمها من قبل الإستعمار بموجب معاهدة سايكس بيكو عام ١٩١٦، وهي سوريا ولبنان وفلسطين والأردن.

المطلب الأول: الحدود الجغرافيَّة والسياسيَّة لسوريا

إنَّ سوريا هي جزءِ من الوطن العربيّ، وشعبُها هو جزءٌ من الأمَّة العربيَّة، مساحتها ١٨٥ ألف كيلومتر مربع بضـــمنها لواء الإســكندرون، وعدد ســكَّانها 20 مليون نســمة (حتَّى العام 2021).. وقد عانت سوريا من الحُكم العثمانيّ زَهاء أربعة قرونٍ حتَّى قيام الثَّورة العربيَّة الكُبرى بقيادة الشَّريف حسين بن علي ضدَّ الأتراك في حزيران ١٩١٦، وانْتهت الثَّورة بتحرير بلاد الشَّام ودخول الأمير فيصل الأوَّل إلى دمشق على رأس القوات العربيَّة المُحرِّرة. وبعدها أُعلِن اسْتقلال ســـوريا لأوَّل مرةٍ في ٨ آذار ١٩٢٠ من خلال مؤتمرٍ ضـــمَّ مندوبين عن أقطار بلاد الشَّـــام الأربعة، ونُصِّبَ الأمير فيصل ملكًا عليها[٩].

تقع الجمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة بين قارَّات العالم القديم، آسيا وأفريقيا وأوروبا، ممَّا أعطاها موقعًا اسْتراتيجيًا بالغ الأهميَّة، وطالما كانت على مرِّ التَّاريخ مَيدانًا للتِّجارة والحروب والهجرات. فـــ"سوريا" تقع على السَّاحل الشَّرقيّ للبحر الأبيض المتوسِّط، وتَصِلُ الشَّرق بالغرب بين آسيا وأوروبّا، يَحِدُّها من الغرب البحر الأبيض المتوسِّـــط ١٩٣ كلم، ولبنان ٣٧٥ كلم، ومن الجنوب فلسطين المحتلة ٧٦ كلم، والأردن ٢٧٥ كلم، ومن الشَّرق العراق ٦٠٥ كلم، ومن الشِّمال تركيّا ٨٢٢ كلم. وهي بمثابة بوَّابةٍ بَحْريَّةٍ للدُّول الأوروبيَّة إلى آســيا ومنطقة الخليج الغنيَّة بالنّفط، كما تُشَكِّل بوَّابةً رئيسةً لتركيًا على دول الشَّرق الأوسط والمنطقة العربيَّة[١٠].

كما وَتُقَسَّـــمُ ســـــوريا إداريًا إلى ١٣ محافظة: دمشـــــق وحلب وحمص وحماة واللّاذقية وطرطوس وإدلب والحسكة ودير الزُّور والرِّقة ودرعا والسُّوَيْداء والقنيطرة. وتتألَّف من أربع مناطق واســـعة هي: أوّلًا، المنطقة السَّـــاحليَّة ذات المَناخ المعتدل. ثانيًا، المنطقة الجبليَّة وتتألَّف من سِلْسِلَتَيْن، جبال اللّاذقية في الغرب وجبل الزَّاوية في الشَّرق، وبينهما منخفض الغاب الَّذي يجري فيه نهر العاصـــي، وجبال لبنان الشَّـــرقية وجبل حرمون في الجنوب. ثالثًا، المنطقة السَّـــهلية الدَّاخليَّة، وتشمل سهول حلب والجزيرة الّتي يجري فيها نهر الفرات، بالإضافة إلى سهول حماة وحِمص وحوران. رابعًا، البادية السُّورية، وتقع وَسَط وشرق سوريا، الحدود الّتي تفصل جنوب غربيّ سوريا عن لبنان، وتُساير قمَّة سَلاسل جبال لبنان الدَّاخليَّة وحرمون، ويصل أقصى ارْتفاع

---

[٩] ١- غسان حداد، **من تاريخ سوريا المعاصر ١٩٤٦-١٩٦٦**، الطبعة الأولى، مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية، عمان، ٢٠٠١، ص ٩.

[١٠] ١- ياسمين قعيق، **سوريا بين الاحتواء والخنق الاستراتيجي**، مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية، بيروت، ٢٠١٧، ص ٢.

لها ٩٢٣٤ قدمًا حيث تهبط الجداول من الجبال العالية لتروي الوديان في الواحات وأكَبرها واحة دمشق المشهورة بالغوطة[١] .

وتعدُّ سوريا غنيَّة بالثَّرَوات الطَّبيعيَّة والبشريَّة والحضاريَّة، ويُعتبر البترول والغاز الطَّبيعي من أهمِّ ثَرَواتها، وَتَلِيها الفُوسفات ثمَّ المِلح الصَّخري والجصّ والإسفلت كما توجد بعض الموارد الهامَّة الّتي تُستَخدم كموادٍ أوَّليَّةٍ في الصِّناعة كالمارِن والغِضار والرِّمال، وكذلك في أعمال البناء كالصُّخور الكلسيَّة والبازلتيَّة والمنغنيز والرَّصاص والنُّحاس واليورانيوم والمواد المعدنيَّة كالكبريت والتَّالك والحرير الصَّخريّ[٢] .

إنّ موقع ســـوريا الجغرافيّ وتَبَايُن مَناخها جعلها تمتاز بتنوُّعٍ نباتيٍّ وحيوانيّ، فهناك نحو ٣٥٠٠ نوع من النباتات، كما تعيش فيها أجناسٌ حيوانيَّة مختلفة. وكانت تحتلُّ مكانًا هامًّا على امْتداد تجارة الحرير الّتي كانت تتعمَّق إلى الصِّين وتنتهي عند مشارف البحر الأبيض المتوسِّط، لِتُواصل الرِّحلة برًّا إلى أوروبا عبر تركيًا، أو بحرًا عبر الموانئ السُّوريَّة، كما كانت تأتي القوافل العربيَّة من جنوب الجزيرة وشمالها إلى أرض سوريا وبلاد الشام.

المطلب الثاني: التَّاريخ السِّياسيّ لسوريا

إنَّ السُّوريّين بشكلٍ عامٍ يميّزون في تاريخهم بين سوريا التَّاريخيَّة-الجغرافيَّة الّتي عُرفت ببلاد الشَّام، والدَّولة الّتي وُلدت عام ١٩٤٦ ويسمُّونها الدَّولة الوطنيَّة، الّتي أصبح إسْمها منذ العام ١٩٦١ الجمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة. فمعاهدة سايكس بيكو قد جزَّأت بلاد الشَّام إلى عدَّة دُوَل، أمَّا وعد بِلفور، فقد منح الحركة الصُّهيونيَّة جنوب سوريا أي "فلسطين". ولِهَذَيْن العاملين آثارٌ مهمَّةٌ جدًّا على مدى القرن العشرين في تطوُّر سوريا الاقتصاديّ والسّياسيّ والإجتماعيّ[٣] . فحدود سوريا الحاليَّة هي نتاج لسياسة الدُّول الغربيَّة، وحتَّى العام ١٩١٨ لم تَكُنْ توجد سوى سوريا الطَّبيعيَّة الّتي كانت تُشَكِّل وَحدة متجانسة إقتصاديًّا وإجتماعيًّا وثقافيًّا، وكانت مُقَسَّمة إلى محافظات ترتبط جميعها منذ ٤٠٠ عام مع الإمبراطوريَّة العثمانيَّة، وَتَشْمل منطقة تحدّها شِمالًا

١- موقع الجزيرة، **سوريا: الجغرافيا والتاريخ**، تاريخ النشر: ٥/٤/٢٠٠٥، على الرابط: https://www.aljazeera.net/ebusiness/2005/4/15

١- أحمد خضور، **سوريا في قلب العالم! أهمية جيوسياسية واقتصادية في المعادلة الدُّوليّة**، مركز دراسات كاتيخ ن، ٦/٢/٢٠١٦. https://katehon.com/ar/article/swry-fy-qlb-llm-hmy-jywsysy-wqtsdy-fy-lmdl-ldwly

١- كمال ديب، **تاريخ سوريا المعاصر من الانتداب الفرنسي إلى صيف ٢٠١١**، الطبعةلأ ولى، دار النهار، لبنا ن، ٢٠١٢، ص ٤٣

جبال طرطوس، وجنوبًا خليج العقبة، وغربًا البحر الأبيض المتوسِّـــط. أمَّا الحدود الشَّـــرقية، فتتمثَّل بالصَّحراء الممتدَّة من شرق الأردن إلى سوريا [٤].

وَبَعد الحرب العالميَّة الأولى ١٩١٨ سقطت الولايات العربيَّة في السَّلطنة العثمانيَّة بِأَيْدي دولِ الحلفاء، وكانت سوريا من نَصيب فرنسا بموجب إتِّفاقيَّة سايكس بيكو. وقد جاء الإنتداب الفرنسيّ مُجَزِّئًا حِصَّتَه في المشرقِ على أساسٍ طائفيٍّ وعِرْقِيٍّ إلى عدَّة دُوَيْلات. وفي سوريا، فَرَضَتْ فرنسا نِظام الحماية برعايةِ مُفَوَّضٍ سامٍ فرنسيّ. كما تَنَازلت فرنسا عن الإسكندرون وأنطاكيا لتركيَّا عام ١٩٣٩، مِمَّا قَلَّص المزيد من مساحة سوريا. وعام ١٩٢٠ قامت فرنسا بتقسيم سوريا إلى أربعة كيانات مذهبيَّة: دولةٌ بأغلبيَّةٍ سُنِّيَّةٍ عاصمتها دمشق، ودولةٌ ثانيةٌ بأغلبيَّةٍ سُنِّيَّةٍ عاصمتها حلب، ودولةٌ ثالثةٌ علويَّةٌ (جبال العلويِّين)، ودولةٌ رابعةٌ دُرزيَّةٌ (جبل العرب)، وكِيَانٌ خامسٌ خاصٌّ في منطقة الجزيرة ذات طابعٍ قَبَلِيٍّ تتواجد فيه أقليَّات كرديَّة وأشوريَّة ومسيحيَّة.

كما عمِلَت فرنسا على قَوْلَبَة المنهج التَّربويّ في سوريا لإزالة أَوْلَوِيَّة الثَّقافة والحضارة العربيَّة واسْتبدالها بالثَّقافة والحضارة الفرنسيَّة. وإذْ فَشل مشروعا الدَّولة الدُّرزيَّة والدَّولة العلويَّة، وانْتهى الأمر بمنطقة الجزيرة أن أصبحت جزءًا من سوريا، فإنَّ سوريا لم تستطع إستعادة المناطق المسلوخة. وَعَشيَّة اكْتمالِ جلاءِ الجيش الفرنسيّ عنها عام ١٩٤٦، بلغ عدد الجماعات المذهبيَّة في سوريا ستة عشر طائفة، وَمَثَّلَ السُّنَّة ٧٥% من السُّكَّان، يليهم العلويُّون بنسبة ١٢-١٥%، ثمَّ الرُّوم الأرثوذكس بنسبة ٥%، فالدُّروز بنسبة ٣%، ثمَّ بقيَّة الطَّوائف المسيحيَّة من موارنة وروم كاثوليك ولاتين وبروتستانت وسريان، إضافة إلى الإسماعيليِّين في جبل السّلميّة إلى شرق جبال العلويّين، وأقليَّة صغيرة جدًا من الشِّيعة الإثْنَي عشريَّة واليَزِيدِيِّين وعددٌ ضئيلٌ من اليهود. وَقد بَلَغَ مجموع المسيحيِّين في سوريا نسبة ١٢% من السُّكَّان. أمَّا أثنيا، فَقَدْ كانت الإثنيات عرب وأكراد وأرمن وتُركمان وسِريان أَشوريُون وشركس، حيث تَرْكز الأكراد في شمال شرق سوريا، وفي بعض أحياء دمشق وحلب، وشكَّلوا نحو ٨% من عدد السُّكَّان. أمَّا لغويًّا، فكانت اللُّغة العربيَّة هي اللُّغة الأمّ لـ ٩٠% من السُّكَّان [٥].

١- يوهانس رايسنر، **الحركات الاسلاميَّة في سورية من الأربعينيات وحتى عهد الشيشكلي**، ترجمة محمَّد الأتاسي، الطبعةلأ ولى، رياض الريس للكتب والنشر، بيـ وت، ٢٠٠٥، ص ٢٤.

١- كمال ديب، **تاريخ سوريا المعاصر من الانتداب الفرنسي إلى صيف ٢٠١١**، مرجع سابق، أنظر ص ٣٧ ٤٣

لقد رفض معظم السُّوريّين الانتداب الفرنسيّ، وابْتعدوا عن الانخراط في الجُندِيَّة، فنشبت ثورات عدَّة كان أبرزها الثَّورة السُّوريَّة الكُبرى عام ١٩٢٥، الّتي قادها الزَّعيم الدُّرزي سُلطان باشا الأطرش، والّتي امْتدَّت إلى سائر أنحاء الدَّولة، وشارك بها السُّنَّة، فاسْتطاعوا إضفاء بُعْدٍ وطنيٍّ للثَّورة أَبْعَدَ عنها الصَّبغة المَذْهَبيَّة، واسْتمرت الثَّورة حتى أخمدها الفرنسيُّون بالكامل عام ١٩٢٧، إلا أنها حَقَّقَت بعض الأهداف؛ وأهمّها أنَّها فَرَضَت مبدأ التَّفاوُض مع الفرنسيّين حول وضع دستور لسوريا، وأنَّها ضَرَبَت وَتِيرَةَ المشروع المتصاعد في تجزئة سوريا [٦] .

وعندما انْهارت الجبهة الفرنسيَّة عام ١٩٤٠ أمامَ جيوش هتلر خلال الحرب العالميَّة الثَّانية، وبعد دخول أميركا الحرب الّتي استمرَّت حتَّى العام ١٩٤٥، أعاد الحلفاء ترتيب سياساتهم تجاه الدُّول المُسْتَعمَرة. وقد مُنِحَت سوريا الحُريَّة عام ١٩٤٣، وإنْ لم تَكُن مُطْلَقَة. ثمَّ تمَّ الإعتراف بِسوريا كدولةٍ مستقلَّةٍ وَبِقَبولها في منظمَّة الأمم المتَّحدة عام ١٩٤٥، وأخيرًا تمَّ جلاء القوات الفرنسيَّة عام ١٩٤٦ [٧] . وتمتَّعت سوريا المستقلَّة بنظامٍ ديمقراطيٍّ معتدلٍ واقْتصادٍ حُرٍّ، وأُعلِن عن دستور عام ١٩٥٠ الَّذي خلا من عبارة "الإسلام هو دين الدَّولة". ثمَّ اسْتند تطوير النِّظام على مواهبَ وطموحات زعماء السُّنَّة وفَعَالِيَاتِهم السِّياسيَّة والإقتصاديَّة، وعلى أحزابٍ وحركاتٍ تقليديَّة يقودُها السُّنَّة، في وقت كانت الأقليَّات تُنَظِّم صُفوفها في أحزابٍ عِلمانيَّةٍ على الطِّراز الغربيّ، وَتُخَرِّجُ أجيالًا مُسَلَّحةً بالعِلم [٨] .

وإلى جانب الأحزاب العِلمانيَّة الطَّابع، ظَهَر تنظيم الإخوان المُسلمين، الَّذي كان نتيجة ضمّ عِدَّة جمعيَّاتٍ دينيَّة تَأَسَّسَت منذ الوجود العثمانيّ، في أواسط القرن التَّاسع عشر. وكانت تدعو إلى إصلاحات مُسْتَمَدَّة من الشَّريعة الاسلاميَّة، كما كان قادتها من عائلاتٍ سُنِّيَّةٍ مرموقةٍ رَسَّخَت وجودها في السَّاحة السِّياسيَّة، وعَمِلَت جاهدةً لِدَحْر الاستعمار، وقد اسْتمرَّ نُفوذها السِّياسيّ في فترة ما بعد نيل سوريا الاستقلال.

المبحث الثاني: العلاقة بين الدِّين الإسلاميّ والدَّولة في سوريا

إنَّ العلاقة بين الدِّين الإسلاميّ والدَّولة في سوريا لها جذور في مرحلة ما قبل نيلها الإستقلال، ففي فترة التَّنظيمات العثمانيَّة، أُتيحَت الفرصة للكثير من علماء الدِّين في دمشق

١- يوهانس رايسنر، **الحركات الاسلاميَّة في سورية من الأربعينيات وحتى عهد الشيشكلي**، مرجع سابق، انظر ص ٢٧.

١- المرجع نفسه، ص ٣٠ -٣١

١- كمال ديب، **تاريخ سوريا المعاصر من الانتداب الفرنسي إلى صيف ٢٠١١**، مرجع سابق، أنظر ص ٨٠

لتأسيس جمعيَّاتٍ خيريَّةٍ دينيَّةٍ، والّتي تمارس دورًا سياسيًا بطرقٍ غير مباشرة، وذلك بعد أن شَعَرَ العلماء بتهديدٍ يَطالُ الثَّقافة الإسـلاميَّة في المجتمع، بعد شـروع الدَّولة العثمانيَّة بإجراءات تُعَزِّز التَّقليد الأوروبيّ بهدف مواكبة الحداثة، في الوقت الّذي كانت ترى فيه في العلماء عاملَ مُؤَخِّرٍ لِعَمَلِيَّة الحداثة في بلاد الشَّـام. "وجاء التَّهديد الأكبر لِسُـلطة العلماء وتأثيرهم في المجتمع عبر إدخال المصـــلحين العثمانيّين عام ١٨٦٩ قانونًا تعليميًّا لإقامة نِظامٍ مُوَحَّدٍ من المدراس" . وذلك من خلال اقتباس مفاهيم سـياسـيَّة وإقتصـــاديَّة وإجتماعيَّة مِن أوروبَّا بهدف بناء الدَّولة الحديثة. وبعد افتتاح مدرســة بروتســتانتيَّة بريطانيَّة عام ١٨٧٩ لتعليم البنات المســلمات، قام العلماء بالإتِّفاق على إنشاء جمعية خاصَّـة "ضِـمن فلسفة تقوم على إصـلاح المجتمع من خلال التَّربية وعَبْر تمكين الفرد من المحافظة على الفضائل والقيم والتَّمَثُّل بالمُثُل الإسلاميَّة العُليا" . وأطلقوا عليها إسـم "جمعيَّة المقاصـد الخيريَّة الإسـلاميَّة"، الّتي أسَّـسـت مدارس إبتدائيَّة للبنين والبنات لتعليم الأطفال المسلِمِين. وهكذا نَشَـأَتْ الجمعيَّات كَرَدِّ فِعْلٍ سياسـيّ "غير مباشـر على ســـياســـة التَّعليم الّتي اتَّبَعَتْها الدَّولة العثمانيَّة خلال فترة ما يُعْرَفُ بالتَّنظيمات، وكانت هذه الجمعيَّات بالنِّسبة للعُلماء بِمنزلة البديل" ، بهدف اسْـترجاع المكانة[1]الأسـاسـيَّة الّتي يتمتَّع بها الإسلام داخل المجتمع.

وقد أدَّت جمعيَّة المقاصـــد دورًا هاما في مجالات الثَّقافة والتَّعليم، وفي المجال الصِّـــحيّ والسياسـيّ أيضًـا. وتوجد شواهد كثيرة على أنَّ تأسيس المقاصد كان لغاياتٍ سياسيَّةٍ لأنَّ أحمد شـقيق مِدحت باشـا، الَّذي كان يَتَقَلَّد منصـب حاكِم سـوريا العثمانيّ، أدَّى دورًا كبيرًا في حركة الإصلاح العثمانيَّة، واتُّهِمَ فيما بعد أنَّه كان يُدَبِّرُ لقيام سوريا حُرَّة، وَلِفَصلِها عن الدَّولة العثمانيَّة. وكان أحمد باشا من مؤسِّسي المقاصد الّتي انْتشرت بشكلٍ سريعٍ في سوريا ولبنان وفلسطين مِمَّا يَدُلُّ على ترحيب المجتمع الإســلامي بتلك الجمعيَّات . وفي تلك الفترة تأسَّـــســ[2]ت الجمعيَّة الخيريَّة في دِمَشــق، وكان من أهم أهداف الجمعيَّات الخَيْرِيَّة إصــلاح المجتمع، وبِخَاصَّـــة في

١- رضوان زيادة، **الإسلام السِّياسيّ في سوريا**، الطبعة الأولى، مركز الإمّارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الإمّارات، العدد ٣٧ ١، ٢٠٠٨، ص ١٠.

١- عبد الجبار حسن الجبوري، **الأحزاب والجمعيات السِّياسيَّة في القطر السُّوري من أواخر القرن التاسع عشر إلى سنة ١٩٥٨**، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠، ص ٤ + ١٦.

١- رضوان زيادة، **الإسلام السِّياسيّ في سوريا**، مرجع سابق، ص ١٠.

١- يوهانس رايسنر، **الحركات الاسلاميَّة في سورية من الأربعينيات وحتى عهد الشيشكلي**، مرجع سابق، ص ١١٣.

مجال التَّربية، لِيَتَمَكَّن الفرد من الحِفاظ على الفضـــائل والتَّمَثُّل بالمُثُلِ الإســـلاميَّة والتَّغلُّبَ على الشُّعور بالنَّقص حِيالَ أوروبَّا، مِمَّا أعطاها طابعًا سياسيًّا.

المطلب الأول: الحركات الإسلاميَّة

1- تأثير الجمعيَّات على الحياة السِّياسيَّة

كانت أولى الجمعيَّات الإسلاميَّة المعروفة هي "الجمعيَّة الغرَّاء" عام ١٩٢٤، الّتي تأسَّسَت في دمشق في أوائل العشرينات من قِبَل العالِم محمَّد هاشم الخطيب الحُسَينيّ [٣]، وكان تأسيس الجمعيَّة بمثابةِ احْتِجاجٍ ضِدَّ سياسة قوَّة الإحتلال في مجال التَّربية والتَّعليم، كما كافحت الجمعيَّة مِن أجل تدريس الدِّين الإسـلاميّ وأسَّسَت مدارسَ دينيَّة خاصَّـة. وكان للجمعيَّةِ نشاطٌ سياسيٌّ اسْـترعى اهْتمام قوَّة الإنتداب البريطانية عام ١٩٤٢ وَأَطْلَقَتْ عليها إسـم الحزب السُّـوري، بحيث تَمَثَّل من خلال تنظيم المظاهرات للإحتجاج على التَّراخيص الّتي تمنحُها للأماكن الّتي يُمَارَسُ داخلها المُمارسات اللَّاأخلاقيَّة بشتَّى أنواعها، كَسُفُور النِّساءِ وحُضُورِهِنَّ دور السِّينما والملاهي، وكَعَلْمَنة مناهج التَّدريس [٤]. كما وقد لعبت الجمعيَّة دورًا في انْتخابات ١٩٤٣ بانْتِخاب رئيس الجمهوريَّة شُكري القَوْتَلي الَّذي دَعَمَتْه، وكان القَوْتلي يعلمُ مدى تأثير تلك الجمعيَّات شعبيًّا. لكنَّ دعم الجمعيَّة لِلْقَوْتَلي لم يســـتمرّ، فبعد ما يُقارب العام، نَظَّمَت الجمعيَّة مظاهرة احْتجاجًا على احْتفالِ راقصٍ خَيْرِيٍّ كان مُقرَّراً إقامته في دمشـــق، واسْـــتمرَّت المُظاهرات أيَّامًا عِدَّة، كان من نتائجها أنها شَلَّت حركة المَدِينة وأدَّت إلى سقوط أربعة ضحايا. وهذا الأمر إنَّما يَدُلُّ على النُّفوذ الكبير الّذي تتمتَّع به "الجمعيَّة الغرَّاء" كجمعيَّة إسلاميَّة.

ثمَّ تضـاعفت الجمعيَّات الإسـلاميَّة، فَتَأسَّست جمعيَّة الهداية الإسلاميَّة في دمشق أيضًـا عام ١٩٣٠، الّتي غلب على نشاطاتها الطَّابع الإصلاحيّ. وَأَوْضَحَ قانون الجمعيَّة الأساسيّ في مادَّته الثَّالثة "أن غايتها المحافظة على كلّ فضـــيلةٍ وَدَرْءِ كلّ رذيلة، وبثّ الأخلاق الإســـلاميَّة الفاضـلة" [١]. وكان كامل القصَّار، وهوْ رجل دينٍ وقاضٍ، من أهمِ وأشْهر شخصيَّاتها، كما كان

١- ولد في دمشق عام ١٨٩٠، نشأ في عائلة متدينة، كان أستاذا في الكلية الشرعية بدمشق. أصدر رسائل عديدة دعا فيها الشعوب الاسلاميَّة إلى التمسك بالآداب والفضائل الاسلاميَّة. كان رافضا للاستعمار وداعيا للجهاد ضده. توفي عام ١٩٥٨.

١- يوهانس رايسنر، **الحركات الاسلاميَّة في سورية من الأربعينيات وحتى عهد الشيشكلي**، مرجع سابق، ص ١١٨.

١- باسل الرفاعي، **الجمعيات الدينية في سورية ٣**، دار ناشري للنشر الإلكتروني، تاريخ الاستشارة ١٣/١١/٢٠٢٠. http://www.nashiri.net/index2.php?option=com

من الأعضـــاء القياديّين البارزين فيها، ســـليمان العظمة الذي كان من عائلة مرموقة لامْتلاكها الأراضـــي الزِّراعيَّة وممارســتها للتِّجارة، وقد ورد ذكره من ضــمن أعضــاء جمعيَّات بما يشــمل الإخوان المســلمين . وقد لعبت هذه الجمعيَّة دَورًا في نَيْل ســوريا اسْــتقلالها[8] أيضًــا، وكان لها تأثيرٌ في الجمعيَّات الّتي تَلَتْها، كما كان للجمعيَّة دورًا في "مســاعدة الفلســطينيين أثناء انتفاضــة ١٩٣٦، بتأسيسها لجنة إعانة المنكوبين في القدس" .

وإلى جانب هذه الجمعيَّات، هناك "جمعيَّة التَّمدُّن الإسلاميّ" الّتي أُسِّسَت في دمشق عام ١٩٣٢، وتنوَّعت مِهَن أعضـــــاء مجلس الإدارة فيها بين فقيهٍ وطبيبٍ ومحامٍ وأديبٍ ولغويّ وخطيب، فقد أُسْـنِدَت قيادة الجمعيَّة إلى نُخبة جيّدة من الطَّبقة الوُسـطى. وكان أعضـاء مجلس إدارتها ينتمون لعائلاتٍ عريقة، وقد انْتمى اثْنان منهم إلى الكُتلة الوطنيَّة حتَّى عام ١٩٣٦. كما وقد اهْتمَّت الجمعيَّة بشــكلٍ خاصٍّ في التَّربية والتَّعليم، فكانت تُديرُ مدارس خاصَّـــة مُعْتَرَفًا بها حكوميًّا. واهتمت بالقضــايا الإجتماعيَّة، كما اهْتَمَّت بالقضــيَّة الفلســطينيَّة. وأصــدرت الجمعيَّة أيضًا مجلَّة التَّمدُّن الإسلاميّ الّتي كان أحمد العَظَمَة رئيسَ تحريرها. وهناك أَوْجه شَبَه كثيرة بين هذه الجمعيَّة وبين الإخوان المسلمين، ليس فقط من حيث نشاطاتها، بل أيضًا من حيث عُضويَّة أعضائها الذين انْتمَوا للتَّنظيمين في نفس الوقت، مثل أحمد العظمة، ومنهم من قاد الإخوان فيما بعد مثل محمَّد المبارك .

وفي دمشـــق إلتقى شُـــبَّان في الجامعة السُّـــوريَّة على أهدافٍ إســـلاميَّةٍ مُوَحَّدة، ثُمَّ بدأوا بِجَلساتٍ دوريَّةٍ واسْتمرَّت لِقاءاتِهم الّتي لم تكن ذات طابعٍ تنظيميّ، إلى أن اخْتاروا الدُّكتور فايز المطّ رئيسًـا لهم. وَأَطْلَقوا إسـم "الشُّـبان المسـلمون" على جمعيَّتهم. وقد حَدَّدوا برنامجًا لِنَشـاطاتهم يتضـمَّن تربية الشَّـباب المسـلم تربيةً إسـلاميةً صـحيحة، والتَّأكيد على وحدة المسـلمين، والجهاد ضدَّ فرنسا لتحرير سوريا .

١- يوهانس رايسنر، **الحركات الاسلاميَّة في سورية من الأربعينيات وحتى عهد الشيشكلي**، مرجع سابق، ص ١١٩.

١- الحبيب الجنجاني، **الصحوة الاسلاميَّة في بلاد الشام: مثال سوريا (الحركات الاسلاميَّة المعاصرة في الوطن العربي)**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٧، ص ١١٤.

١- يوهانس رايسنر، **الحركات الاسلاميَّة في سورية من الأربعينيات وحتى عهد الشيشكلي**، مرجع سابق، انظر ١٢٢ + ١٢٣.

١- عدنان سعد الدين، **الإخوان المسلمين في سوريا مذكرات وذكريات**، المجلد الأول ما قبل التأسيس وحتى عام ١٩٥٤، دار عمار، الأولى ٢٠٠٦، انظر ص ٥٥ ـ ٦٠.

ثمَّ ظَهَرت "جمعيَّة الرَّابطة الدِّينيَّة لشـــباب محمَّد" في حمص عام ١٩٣٤، برئاســـة أبو سـعود عبد السَّـلام ، الّذي كانت تَرْبِطه عِلاقاتٌ وثيقةٌ مع الجمعيَّات الإسـلاميَّة الأُخرى، بما فيها "الشُّبان المسلمون". وفي العام ١٩٣٩ وجَّه أبو سعود رسالةً إلى رئيس الجمهوريَّة والمندوب السَّامي الفرنسيّ، إحْتَجَّ فيها على نظام الطَّوائف، وعلى إقحام النُّفوذ الأجنبيّ في الأمور الدِّينيَّة، وكذلك على اسْـــتعمال كتبٍ لتدريس التَّاريخ في المدارس الفرنســـيَّة، تحتوي على انْتقادات لشـــخصـــيَّة النَّبيّ محمَّد. وقد كانت الرَّابطة ذات نشـــاطٍ ملحوظٍ غطَّت به ســـاحاتٍ في الثَّقافة والتَّعليم والسِّـياسـة. فمِن إنجازاتها أنَّها أنشَـأَت المكتبة الإسْـلاميَّة عام ١٩٤١، وافْتَتَحَت مدرسـةً نهاريَّةً للمرحلة المتوسِّطة .

ثمَّ نَشَـأَتْ جمعيَّة "دار الأرقم" في حلب عام ١٩٣٧ برئاسـةِ عمر بهاء الدين الأميري ، الذي عُيِّنَ فيما بعد رئيسًا مُساعدًا للإخوان المسلمين في سوريا. وتحوَّلت هذه الحركة لاحقًا إلى دار الشُّبَّان المسلمين، فكانت بمثابة نادٍ رياضـيٍّ وثقافيّ. وهذا التَّطوُّر حصـل بعد عدَّة مؤتمراتٍ بين الجمعيَّات خلال عامَيْ ١٩٣٧ و١٩٣٨، توصَّـلت إلى أن تكون دار الأرقم في حلب بمثابة المكتب الرئيسيّ لجميع الجمعيَّات في سوريا.

وَنَشَـــأَتْ في العام نفسِـــه "جمعيَّة العُلماء" في دمشـــق، وتميَّزَت بأنَّها كانت جمعيَّة نقابية للعلماء، وأهمّ أهدافها خدمة الإسـلام، أسَّـسَـها كامل القصَّـاب ، الّذي كان من الشَّـخصـيَّات المرموقة، وكان من رجالات الحركة القوميَّة العربيَّة منذ الحرب العالميَّة الأولى. كذلك كانت أبرز أعمال الجمعيَّة، إنشاء المعهد العلميّ الدِّينيّ في دمشق، وكانت صـارمةً بالدَّعوة إلى إلغاء قانون الطَّوائف الَّذي وَضَـــعه الفرنســـيُّون. لكنَّ توتُّراتٍ حصـــلت بين هذه الجمعيَّة والجمعيَّات الأُخرى بســـبب خوفهم من أن تعرقل "جمعيَّة العلماء" مســـيرة التَّقدم والحُرِّية جرَّاء طُرُقِها الرَّجعيَّة .

١- ولد في حمص ط م ١٩٠١،كا نمجتهدًا وفقيهًا من المذهب الشافعي، توفي في الط م ١٩٩٧.

١- المرجع نفسه، ص ٩ ٧ ٨٤.

١- ولد في مدينة حلب ط م ١٩١٦، عمل في تدريس الأدب والفقه، عمل سفيرا لسوريا في باكستا ن وفي السعودية، توفي ط م ١٩٩٢.

١- ولد في دمشق ط م ١٨٧٣، تأثر بمحمد رشيد رضا، شارك في الثورة العربية في مصر وأسَّس فيها حزب الاتحاد السوري، وبعد الحرب عاد إلى دمشق وأسَّس اللجنة الوطنية العليا للدفاع عن حقوق البلاد، توفي ط م ١٩٥٤.

١- يوهانس رايسنر، **الحركات الاسلاميَّة في سورية من الأربعينيات وحتى عهد الشيشكلي**، مرجع سابق، انظر ١٢٣.

وهناك أيضًا "جمعيَّة التَّوجيه الإسلاميّ" عام ١٩٤٦، الّتي رَأسَهَا حَسَن الميداني، وكانت تُعنى بتوجيه النَّفس والمجتمع وفقاً لتعاليم الإسلام. وان.تمى إليها حسن حبنكة الّذي كان أحد التَّلامذة في مدارس الجمعيَّة الغرَّاء.

ويوجد "جمعيَّة التَّعاون الإسلاميّ" الّتي يصعب تحصيل معلوماتٍ عنها، ولكن اسْمَها يُشيرُ إلى العامل الإجتماعيّ بما يُشبِه لجان التَّعاون لدى الإخوان المسلمين.

ووُجِدَت جمعيَّة في حلب لم يُعْرَف عنها أكثر من اسمها وهي "جمعيَّة البرّ والأخلاق"، تَرَّأسَها المحامي محمَّد الحكيم، الّذي رَأِسَ أيضًا رابطة العلماء الّتي تأسَّست عام ١٩٤٦.

إنَّ كلّ ما وَرَدَ حوْل الجمعيَّات الإسلاميَّة في سوريا، إنَّما يدلُّ على أنَّها كانت جمعيَّات مُدُنٍ، وكان أغلب زعماؤها ينتمون إلى الطَّبقة الوُسطى، ورغم أنَّ عددًا كبيرًا من نخبة أعضائها كانوا ينتمون إلى عائلاتٍ لها نفوذٌ في المجتمع، لكنَّ أحدا منهم لم يتمتَّع بمكانةٍ تجعلُه يُصَنَّف من الطبقة العليا. فقد تمكَّنَت الجمعيَّة من التَّأثير من خلال عاملَيْ السِّياسة والتَّعليم بعد أن كانا حِكْرًا على أبناء الطَّبقة العليا. وقد كان تأثير تلك الجمعيَّات واضحًا بعد انْتخابات عام ١٩٤٣ حيث دَعَمَتْ قائمة الحركة الوطنية "وساعَدَت طبقة صغار الكسبة النَّاهضة في الوصول إلى نفوذٍ إجتماعيّ وسياسيٍّ أفضل، كما حَصَلَ معَ عبد الحميد الطَّباع الّذي انْتُخِب عام ١٩٤٣ عُضْوًا في البرلمان"[1].

2- الهدف من الجمعيَّات

كانت الغاية الأولى من تلك الجمعيَّات هي تجديد الإسلام في المجتمع، والوقوفِ بوجه التَّأثيرات الغربيَّة على مجتمعٍ إسلاميّ. ورغم أنَّها اتَّخذت طابعًا دينيًّا وثقافيًّا من خلال نشاطاتها، إلا أنَّ ذلك لا ينفي عنها الطَّابع السِّياسيّ، ذلك أنَّ ما دفع مؤسِّسيها لإقامَتِها بالأساس، كان الوقوف أمام القيم الأوروبيَّة. فكان من جملة أهداف تلك الجمعيَّات، إصلاح المجتمع من خلال إعادة الفهم الصَّحيح للإسلام. وفي عام ١٩٤٦ إنْصَهَرت تلك الجمعيَّات جميعها، ومعها تَنْظِيمَيْ "شباب محمد" و"الشَّبان المسلمين"، في جماعة الإخوان المسلمين تحت قيادة مصطفى السباعي. ولاحقًا إنضمَّت الجمعيَّات الاسلاميَّة الأخرى ما عدا "جمعيَّة العلماء"،

١- يوهانس رايسنر، **الحركات الاسلاميَّة في سورية من الأربعينيات وحتى عهد الشيشكلي**، مرجع سابق، ص ١٢٦.

وَعُيِّنَ مصـطفى السـباعي مُراقبًا عامًّا للإخوان المسـلمين في سـوريا ولبنان، وَهُوَ لقبٌ يتضـمَّن التَّبعيَّة لمؤسِّس الإخوان المسلمين في مصر حسن البنا .[٦]

أسَّسَ حسن البنَّا جماعة الإخوان المسلمين كحركة دينيَّة سياسيَّة عام ١٩٢٨، وكان من أهمّ تأثيراتها أنَّها مهَّدت للحركات الاسـلاميَّة السِّـياسـيَّة والسِّـياسـية الجهاديَّة اللَّاحقة. فقد كان الإخوان المسـلمين لاعبًا رئيسًـا في مرحلة الأربعينات والخمسـينات في المجالات الإجتماعيَّة والسِّياسيَّة في الدَّولة الأمّ مِصـر، الّتي دعت إلى وحدة الأمَّة الاسلاميَّة، وكذلك في دول عربيَّة أُخرى، ولعلَّ من أبرزها سـوريا. ذلك أنَّ عددًا كبيرًا من الشُّـبَّان السُّـوريّين كانوا يُتابعون دراسـتهم في مصـر في الثلاثينات،، وتأثَّروا بزملائهم المصـريّين المُنتمين إلى تنظيم الإخوان، وأحد هؤلاء الطُّلَّاب كان مصطفى السباعي الّذي انْتسب إلى الحركة في مصر. وعند عودته إلى سوريا قام بتأسيس فروع في دمشق وحلب ومدن سوريَّة أخرى. وقد تمسَّك الإخوان بفكرة أنَّ بأسْتطاعتهم حلَّ جميع المعضـلات الإجتماعيَّة والسِّـياسـيَّة من خلال الاسـتعانة بما جاءت به الشَّـريعة الاسلاميَّة. فقد آمنوا بقوَّة بِأَنَّ الإسلام هو قاعدة الإنطلاق والعمل في المجتمع. وقد عرَّف حسن البنَّا جماعة الإخوان المسلمون "بأنَّها طريقةٌ سَلَفِيَّةٌ وطريقةٌ صـوفيَّةٌ ودَعْوَى إصـلاحيَّةٌ... ولعلَّ هذا الجَمع بين السَّـلفيَّة والصُّـوفيَّة، كان مَوْرِدَ افْتراقٍ كبيرٍ بين الجماعة والسَّـلَفِيَّةِ الوهَّابيَّة الّتي ارْتكَزت في شعاراتها على محاربة التَّصوف بدعوى أنَّها بدع" .[٧] كما يقول حسن البنَّا في رسالة المؤتمر الخامس "إنَّ الإخوان سـيسـتخدمون القوَّة العمليَّة حيثُ لا يُجْدِي غيرَها... وَهُم حين يَسْتَخدمون هذه القُوَّة سيكونونَ شُرفاء صُرَحاء وسَيَنْذِرون أوَّلًا وينْتَظِرون بعد ذلك... وأمَّا الثَّورة، فلا يُفَكِّر الإخوان فيها ولا يعتمدون عليها ولا يؤمنون بنتائجها" .[٨]

وقد قُسِّمَت مجالات أعمال جماعة الإخوان في سوريا إلى مجال التَّربية والتَّعليم، ومجال النَّاشـئين، ومجال العُمَّال، ومجال الخَدَمَات الإنسـانيَّة. إلا أنَّ مجالات عمل اللِّجان كانت مُتَدَاخلة. وأنشأ الإخوان مدارس خاصَّة مُعْتَرَفٌ بها ومجَّانيَّة، كان أهمّها المعهد العربيّ الإسلاميّ الّذي أسَّسَته جمعيَّة التَّمدُّن الإسلاميّ عام ١٩٤٥. ضِمن جهاز التَّربية والتَّعليم، تأسَّست لجنة للطُّلَّاب تداخَلَت في أعمالِها مع مجموعات الفُتُوَّة، فابْتداءً من العام ١٩٤٦ أُدْخِلَ التَّدريب

١- يوهانس رايسنر، **الحركات الاسلاميَّة في سورية من الأربعينيات وحتى عهد الشيشكلي**، مرجع سابق، انظر ص ١٣١.

١- محمَّد مرتضى، **صناعة التوحش**، الطبعةلأ ولى، دار الولاء، لبنا ن، ٢٠١٦،ص ٢٠.

١- أحمد عبد الرازق، **فلسفة المشروع الحضاري**، الطبعة لأ ولى، الجزء لأ ول، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، ١٩٩٥،ص ٤٨٠.

العســـكريّ على المدارس الثّـانويـة من خلال تنظيم الفُتُوَّة الذي كـان لـه دورٌ مُهِمٌّ في تنظيم المظاهرات المعارضة الّتي نُظِّمت فيما بعد.

وَتَقُومُ فكرة الإخوان المســـلمين في ســـوريا على أنَّ بين الأحزاب والجماعات العاملة للإصــلاح في وَطَنِنَا العربيّ الكبير، شُـعورًا مُشْـتَرَكًا بوجوب التَّحرُّر من آثار الجهل والفوضــى والضَّعف في حياة أُمَّتِنا، حتَّى تُساهم من جديدٍ في بناء الحضارة بما يعود على الإنسانيَّة بالخير والسَّـلام. ويعتقد الإخوان اعْتقادًا جازمًا أنَّ في الإسـلام كلّ عناصـر النَّهضــة المَرْجُوَّة، وأنَّه جاء بمَنْهَجٍ شـاملٍ للإصــلاح هو الّذي قَذَفَ بِأُمَّتنا في الماضــي إلى ميادين الخلود، وهو بما فيه من خصائص المرونة والتَّطوُّرِ قادرٌ على أن يحمل أُمَّتنا من جديدٍ إلى ميادين الخلود مرَّةً أخرى .

ويمكن القول أنَّ الإخوان المسلمين في سوريا لديهم طابعٌ خاصٌّ يُمَيِّزُهم عن بقيَّة الحركات الاســـلاميَّة الإخوانيَّة الأُخرى، فهي أكثر من حركة إجتماعيَّة أو جمعيَّة خيريَّة، لأنَّ تطوُّرها الدَّاخليّ الفكريّ، وِفْقًا لتعبيراتها اللَّاحقة السِّــياســيَّة والإعلاميَّة، كان باتِّجاه دفع سُــنَّة ســوريا المحرومين أو المُبْعَدِين من السُّلطة. وعام ١٩٤٥ نشروا أهدافَهم ومبادِئَهُم الّتي يبدو ومنذُ البداية أنَّها احْتفظت للجانب المســلَّح بمكانةٍ خاصَّــةٍ، وَيَظْهَرُ هذا من خلال تدريب أعضــائها على السِّــلاح منذ بداية التَّأسـيس . ولم يكن ما ميَّزهم عن الجمعيَّات الاسـلاميَّة الأُخرى هو كيفيَّة التَّنظيم الإجتماعيّ للأعضـاء فقط، بل الأهمّ من ذلك، إعتقادهم الرَّاسخ بِأنَّ الإسـلام هو القاعدة الأساسيَّة والأهمّ، لأفضلِ الطُّرُقِ في تنظيم الأمور الحياتيَّة.

أمَّا التَّعبير الأســاســيّ، فكان يُشــير إلى المنهج التَّبشــيريّ للإخوان، وَعَبَّروا عنه بكلمة "دعوة"، فغاية الإخوان كانت الدَّعوة الّتي حاولت إرســاء نفســها أمام الدَّعَوات والمبادئ والأفكار والمذاهب الأخرى، وهو ما أشــار إليه حســن البنَّا في رســالته "دَعْوَتُنا"، وشَــمِلَت الدَّعوة أيضًــا النَّشاط التَّبشيريّ، وقد أُنْشِئَ في مِصر قِسْمٌ سُمِّيَ بـ"قسم نشر الدَّعوة لتدريب الدُّعاة" .

إن شــموليَّة مطالب نظام الإســلام والرُّوح التَّبليغيَّة للإخوان المســلمين، تبدَّت من خلال التَّنظيم الَّذي سعى لشمول جميع مرافق الحياة. وبينما اسْتلهمت العقيدة أُسُسَها من الإسلام، ومن مُثُل التاريخ الإســلاميّ السَّــابقة، فقد تشــابه التَّنظيم مع الجمعيَّات الحديثة في العالم العربيّ، إلا

١- **الأحزاب السِّياسيَّة في سوريا**، منشورات دار الـ واد، دمشق، ١٩٥٤، ص ١٢.

٢- صلاح نيوف، **الإسلام السِّياسيّ في سوريا (خريطة معرفية) (الإخوان المسلمون في سوريا ممانعة الطائفة وعنف الحركة)**، الطبعة الثالثة، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الإمّارات، ٢٠١١، ص ١٣.

٢- حسن البنا، **رسالة دعوتنا**، ويكيبيديا الإخوان المسلمين، ٢٠٠٣، تاريخ الاستشارة ١١/١١/ ٢٠٢٠.
https://www.ikhwanwiki.com/index.php?title

أنَّها خرجت عن الإطار الضَّـيق الّذي يُصَـنِّفها بمعنى إتّحاد. ومن المقارنة بين العقيدة والتَّنظيم تتبدَّى الأهداف جليَّة، أي الرَّغبة المُلِحَّة للإجابة على المعضـلات المُهِمَّة المعاصـرة. وبقدر ذلك التَّوجُّه العقائديّ للماضـيّ، إلا أنَّ وجود تكتُّلاتٍ طلَّابيَّةٍ وعمَّاليَّةٍ يَدُلُّ على أنَّ اتِّهامَ مُعتقدهم بأنَّه عودةٌ للماضي، إنَّما هو مُغايرٌ للواقع [٢].

وفي العام الّذي تأسَّست فيه جماعة الإخوان المسلمين في سوريا، إنتسب الإخوان لرابطة العلماء الّتي أُسِّـسَـت في تلك الفترة، وانْتَسَـبَت إليها كلّ الجمعيَّات الاسـلاميَّة، ما عدا جمعيَّة العلماء. وقد كان تأســيس تلك الرَّابطة مُتَعَمَّدًا نظرًا لاقْتراب موعد الإنتخابات البرلمانيَّة لعام ١٩٤٧، مما يدلُّ على نشـاط الحركة السِّياسـيّ. ففي العام ١٩٤٧ فاز الإخوان بقيادة السـباعي بعدد أصوات أكبر ممَّا نالته الأحزاب الأخرى، بسبب نشاط الإخوان المتنامي، فقد قدَّمت الحركة بديلًا إسـلاميًّا لجمهورها، بِمَضْـمُونٍ سـوريّ محلّيٍّ عنوانه "الحلّ الإسـلاميّ". ويقضـي الحلّ الإسـلاميّ بِوَقْف التَّبعيَّة للأجنبيّ، ووضــع حدٍّ لتحالف الإقطاع الرِّيفي والبورجوازيَّة المدنيَّة، وتحرير العمَّال من الجهل والظُّلم وذُلِّ الفَقر، ووضــع قوانين تُحدِّد مُلكيَّات الأراضــي، وعدم حرمان العمَّال والفلاحين من ثَمَرَةِ عملهم، وإفســاح المجال للعنصـر الشَّـاب لدخول الجامعات ومعاهد التَّعليم لتحسين مستوى المعيشة، وخلق الوعي للحقيقة المعاشة [٣].

وما ميَّز إنتخابات عام ١٩٤٧ أنَّها لم تَكُنْ خاضعةً لتأثيرات الإنتداب الفرنسيّ، وَرَغم أنَّها لم تكن مثاليَّة، إلا أنَّها أَظْهَرَت سَـخَط الشَّـعب على الطَّبقة الحاكمة السَّـابقة، بسـبب تَسَـلُّطِها وبســبب المشــاكل الإجتماعيَّة المتأزِّمة، ففي الأعوام ما بين ١٩٣٤ و١٩٤٧ تشـكَّلت ثماني حكومات ولم تكن الوجوه في السُّــلطة تتبدَّل إلا نادرًا. كما أظهرت الإنتخابات دور الإخوان المسلمين الفاعل في المجتمع، وكان محمَّد المبارك [٤]، مرشَّح الإخوان الفائز عن دمشق، يتَّفق مع حسن البنَّا بأنَّ الإسلام دين ودولة، وأنَّ "تنصيب خليفة أو إمام يقوم على تنفيذ الشَّريعة أمرٌ واجب، وأنَّ وظيفة الحكومة الإسـلاميَّة حراسـة الدِّين وسـياسـة الدُّنيا" [٥]. فقد كان المبارك من

٢- يوهانس رايسنر، **الحركات الاسلاميَّة في سورية من الأربعينيات وحتى عهد الشيشكلي**، مرجع سابق، ص ١٧٣.

٢- كمال ديب، **تاريخ سوريا المعاصر من الانتداب الفرنسي إلى صيف ٢٠١١**، مرجع سابق، ص ٩٥.

٢- ولد عا م ١٩١٢في دمشق، كا ن والده عالم دين مشهور، درس الفقه والشَّريعة، وتابع دراساته في الآداب وعل م الاجتماع والأخلاق في جامعة السوربو ن، وكا ن يمارس نشاطه لدعوي في دمشق وخلال دراسته في فرنسا، توفي في العا م ١٩٨٧.

٢- فهمي جدعا ن، **الماضي في الحاضر**، الطبعةلأ ولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنا ن ١٩٩٧، ص ١٤٩.

أوائل الَّذين عبَّروا عن تَصَـوُّرهم للإصـلاحات الإجتماعيَّة مُسـتخدمًا كلمة "إشـتراكيَّة"، ومُحَدِّدًا الأُسُس الإشـتراكيَّة في ثلاث نقاط هي: "تحديد الثَّروة، الضَّـرائب التَّصـاعديَّة، وتوزيع الأراضـي الّتي لا يستفاد منها من قبل ملَّاكها" [١] . وكانت تلك المطالب أساسيَّة للإصـلاح الإقتصـاديّ، الّذي أراده الإخوان، ولإشـتراكيَّة الإسـلام الّتي أعلنوا عنها لاحقًا. وقد اسْـتُعْمِلَت كلمة اشـتراكيَّة بمعنى الحاجة إلى نوعٍ من التَّوجُّه الإجتماعيّ في الدَّولة الذي يشـــارك فيها الجميع بإحداث إصـلاحات إجتماعيَّة في كافَّة القضـايا، وذلك بناءً على أُسُـس الشَّـريعة الإسـلاميَّة، والعدالة الإجتماعيَّة هي جوهر الاشـتراكيَّة. وصـحيحٌ أنَّ السـباعي قد تحدَّث بدايةً عن الثورة، ولكنَّه لم يَعْنِ اسْتخدام السِّلاح، بل قصَدَ ثورةً فكريةً شاملةً لإصلاح المجتمع.

المطلب الثاني: تأثير الانقلابات على نشاط الحركات الاسلاميَّة

شَهِدت سوريا عدَّة إنقلابات، كان أوَّلها في شـهر آذار عام ١٩٤٩ بقيادة حسـني الزَّعيم، الَّذي كان برنامجه الإصـلاحيّ عِلمانيًّا، إصطدم ببرنامج الإخوان المسلمين. ولاحقًا مَنَع نشاطهم واعْتَقَل بعض زعمائهم، رَغْم أنَّهم أيَّدوا انْقلابه في البداية. ثمَّ تَلا ذلك انْقلاب سـامي الحِنَّاوي في الشَّـهر الثَّامن من العام نفسـه، وتَلاه أيضًـا انقلابٌ ثالثٌ خلال شـهر كانون الأوَّل بقيادة العقيد أديب الشـــيشـــكلي الّذي أقامَ نظامًا ديكتاتوريًا اسْـتمر حتىَّ العام ١٩٥٤. وبعد إنتخابات العام ١٩٥٠ إســـتطاع عددٌ من الإخوان المشـــاركة في التَّمثيل النِّيابيّ، وكان من بينهم مصـــطفى السباعي ومحمَّد المبارك عن دمشق.

وقد سـاهم الإخوان في أوَّل صـياغة علمانيَّة للدُّسـتور عام ١٩٥٠، مُكتفين بِقَبول بَنْدين يتعلَّقان بالإسـلام، الأول "دين رئيس الجمهوريَّة الإسـلام" والثَّاني "الفقه الإسـلاميّ هو المصـدر الرَّئيسـي للتَّشـريع" [٢] ، بعد أن كانوا قد قدَّمُوا مُقْتَرح يشـتمل على بنود إضـافيَّة تتعلَّق بالإسـلام لتكون من ضمن مواد الدُّستور. فبالرَّغم من شُموليَّة مطالب الإخوان المسلمين في سوريا، إلا أنَّ موقفهم من الإسـتجابة لمطالبهم كان مَرِنًا ولم يكن أُصُـوليًّا مًتَشَـدِّدًا، وذلك من أجل المصـلحة العامّة في البلاد، حيث لا يتعارض موقفهم مع تعاليم الإسـلام. "فقد تطورت طريقة العمل السِّياسـيّ للإخوان المسلمين، فَعِوَضًـا عن العبارات الدِّينيَّة المُتشدِّدة تَحَوَّلوا إلى مناورات للحفاظ

٢- يوهانس رايسنر، **الحركات الاسلاميَّة في سورية من الأربعينيات وحتى عهد الشيشكلي**، مرجع سابق، ص ٢٢٦.

٢- عبد الرحمن الحاج، **ظواهر الإسلام السِّياسيّ وتياراته في سورية**، مرجع سابق، ص ٦.

على النُّفوذ الّذي تم التَّوصُّـــــل إليه" . وقد حصـــــل انْقلابٌ ثانٍ عام ١٩٥١ على يد أديب الشيشكلي وذلك بعد اسْتقالة الحكومة.

تدهورت الأوضاع الإجتماعيَّة كثيرًا في العام ١٩٥١، وحصلت إضرابات من قِبَل موظَّفي الدَّولة بسبب سوء الأحوال، فقدَّم رئيس الحكومة خالد العظم إستقالته، ثمَّ شكَّل حسن الحكيم حكومة جديدة، ثمَّ حصلت مواجهات دامية في حمص وحلب نتيجة لتردّي الأوضاع أكثر. وفي ظلِّ هذه الأجواء، كان الإخوان المسلمين يساندون مطلب التَّغيير. ثمَّ بَلَغت الأزمة ذُروتَها في خريف عام ١٩٥١، وأدَّت إلى حلّ البرلمان، وإعلان ديكتاتوريَّة تحت حكم الشيشكلي. وتم حظر الإخوان عام ١٩٥٢ بعد قرار من قيادة الجيش يقضـــي بحلّ جميع المُنَظَّمات الحزبيَّة شـــبه العسكريَّة، كما صدر قرار بإغلاق كافة مراكز وفروع الإخوان وخَتْم أبنيتهم ومراقبة تحرُّكاتهم. وكان لهذا القرار أثرًا كبيرًا على الإخوان المسلمين في سوريا، فأصدروا بيانًا تحوَّل فيه الإخوان من جمعية إلى جماعة، وعبَّروا من خلاله عن تراجعهم عن العمل السِّياسيّ، مؤكِّدين على أنَّ الإصلاحات الإجتماعيَّة تتمّ من خلال صلاح النُّفوس . وبالفعل لم يُقَدِّم الإخوان مرشحين عن انتخابات عام ١٩٥٤، الّتي استطاع حزب البعث المشاركة فيها. أمّا عام ١٩٥٧ فقد ترشَّح السباعي ولكنَّه لم يحظَ بالفوز.

وكانت فترة عهد الوحدة بين مصر وسوريا فترة مطاردة للإخوان المسلمين في سوريا، ومع الإنفصال تمكَّنوا من إعادة تشكيل أنفسهم، فظهروا تحت قيادة عصام العطار ، وشاركوا في إنتخابات ١٩٦١، وحصلوا على عشر مقاعد في المجلس النِّيابيّ.

ولم يمضِ عامٌ إلا وحصـــل الإنقلاب السَّـــابع في دمشـــق، الذي اعْتُبِرَ "امْتدادًا وتعميمًا للإنقلاب السَّابق تحت قيادة قائد الانقلاب السَّابق، وبعد يومين حصل انْقلابٌ مضادٌ في حمص وحلب ودير الزور من قِبَل معارضـي الإنفصـال عن مصـر. وفي محاولة لتفادي الأخطار عُقِدَ مؤتمر في حمص للمصـــالحة والحفاظ على وحدة الجيش، فَقَدَّم توصـــيات مُرضـــية للطَّرفين،

٢- يوهانس رايسنر، **الحركات الاسلاميَّة في سورية من الأربعينيات وحتى عهد الشيشكلي**، مرجع سابق، ص ٤١١

٢- يوهانس رايسنر، **الحركات الاسلاميَّة في سورية من الأربعينيات وحتى عهد الشيشكلي**، مرجع سابق، ص ٢٥-٢٦.

٢- هو داعية إسلامي سوري، ولد ط م ١٩٢٧في دمشق، كا نشافعي المذهب لكنه تأثر بالمذهب الحنبلي كثيرا. استلم قيادة الإخو ن المسلمين بعد مصطفى السباعي، وانشق لاحقا عن الإخو ن المسلمين.

وعادت الحياة الطَّبيعيَّة إلى سوريا . ولكن هناك فريقٌ اسْتَمَرَّ[1] بالتخطيط من أجل إعادة الوحْدة وقام بإنقلاب ١٩٦٣ لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ سوريا المعاصر.

بعد انقلاب ١٩٦٣، إستلم حزب البعث زمام الحُكم، وكان حكمه سُلْطَوِيًّا، ولم تكن علاقته بالإخوان المسلمين جيّدة. فانْقلاب البعثيّين "كان نذير بداية مرحلةٍ مفصليَّةٍ من تاريخ سوريا، وتَغَيُّرٍ ثوريٍّ غير مسبوق، فكان من نتائجه زوال الطَّبقة السِّياسيَّة الدِّينيَّة وخاصَّة السُّنيَّة.

رغم أنَّ الطَّائفية قد لعبت دورًا كبيرًا في الانقلابَات الّتي وقعت في سوريا في الأعوام ١٩٤٩ و١٩٤٥ و١٩٥٥، إلا أنَّ حزب البعث إسْتطاع الحفاظ على حكمه بعد انقلابه عام ١٩٦٣، وذلك لأنَّه قام بقمع كل انتفاضة ذات منحىً طائفيّ. فَبَعْد انْقلاب ١٩٦٣، أصبح للعلويّين شأنٌ هامٌ في الجيش، مما أثار إتّهامات بالطَّائفيَّة، إضافةً إلى تطهير الجيش من الضُّبَّاط السُّنَّة، كما أنَّ الآلاف من أبناء الأرياف من الأقليات الدِّينيَّة، أخذوا مكان الموظَّفين السُّنَّة في مؤسَّسات القطاع العام، واشْتكى الإخوان المسلمين ضدَّ هذا الوضع بعلانية، مع اتِّهامٍ صريحٍ للنِّظام بالطائفية [2] . [1]

وكان النِّظام الحاكم إضافة إلى أسلوبه القمعيّ، صارمًا في علمانيَّته ومُعاديًا للتَّديُّن، فقد مَنَعَ الخطابات والنَّدَوات الدِّينيَّة، وتَدَخَّل في شأن تعيين رجال الدِّين، وإدارة المؤسَّسات الدِّينيَّة، وُصولًا إلى اعْتقال رجال الدِّين الّذين يُحَرِّضون ضدَّ النِّظام. كما منعوا ارْتداء الحجاب للفتيات في دمشق. وقد أشعلت هذه الممارسات مشاعر حقد لدى المُتَدَيِّنين.

المبحث الثالث: الصِّراع بين الإسلاميين والبعثيين

بعد تَسَلُّم البعث الحُكم، سُرعان ما انْدلعت أحداث نيسان ١٩٦٤، حيث تحَوَّلت إلى جهادٍ دينيٍّ مُسَلَّحٍ ضدَّ السُّلطة، لأنَّ الإخوان اعتبروا حُكم البعث الكافر، إهانة للذَّات الإلهية، وأنَّ القضاء على البعث هو تكليفٌ شرعِيٌّ للمسلمين، وطالت المواجهات جميع المدن، ولكن نظرًا للمكانة الخاصَّة الّتي تحتلّها حماة، لأنَّها مَعْقِل القِوى المُحافِظة، فقد كانت المَحَطَّة الأبرز في المواجهة.

٢- غسا ن حداد، **أوراق شامية من تاريخ سوريا المعاصر ١٩٤٦-١٩٦٦**، الطبعةالأ ولى، مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية، الأو ن، ٢٠٠١، ص ٧٠+ ١٧٥.

٢- كمال ديب، **تاريخ سوريا المعاصر من الانتداب الفرنسي إلى صيف ٢٠١١**، مرجع سابق، ص ٣٤٨ ٣٤٩

المطلب الأول: بداية الصِّراع

إنَّ أحداث ١٩٦٤ كانت متعلِّقة بالوعي الدِّيني والإجتماعيّ المُحافِظ، فقد بَدَأت الحادثة في حماة عندما قام أستاذ مدرسةٍ بِسَبِّ الله، فَطَعَنَه أحد الطلاب بسكِّينٍ وَقَتَله، فَتَدَخَّلَ الجيش وقام بقتل الطَّالب، وقام بقصف المدينة، مِمَّا أَشْعل مشاعر الأهالي. واسْتمرَّ القتال يومين، ثمَّ اضطُرَّ الإخوان المسلمون للتَّراجع "إلى مسجد السُّلطان الّذي جعلوه مستودعَ سلاحهم الرَّئيسي، فقُصِف المسجد وانْهارت المِئْذنة، وَبَلغ مجموع القتلى من الإخوان المسلمين حوالي سبعين، وجُرِحَ وأُسِرَ وهَرَبَ واخْتَفى آخرون" . وكان من بين الأسرى مّروان حديد المعروف بتشدُّدِه[1] الدِّينيّ، والَّذي يُعتَبَرُ مُؤَسِّس الأصوليَّة الإسلاميَّة السُّوريَّة، وكان يُكَفِّر البعثيين وَيُحَرِّض على وجوب قتالهم. وبعد إطلاق سراحه في العام نفسه، إستأْنَفَ نشاطه السِّياسيّ السِّريّ في الدَّعوة، وبدأ بتنظيم قوَّةٍ ضاربةٍ سِرِّيَّةٍ أَطلَقَ عليها إسم "كتائب محمد" . أمَّا قَصْف مسجد السُّلطان، فقد كان له آثارٌ كبيرةٌ، حيث أَشْعَلَ موجةً جديدةً من الإضطرابات والمُظاهرات في المُدُن الرَّئيسيَّة، واكْتَشَف حينها البعثيُّون افْتقارَهُم للشَّعبيَّة نظرًا لاتِّساع مدى المعارضة. ولاحْتواء الأزمة، تمَّ إقالة رئيس الوزراء، وتعيين صلاح الدِّين البيطار "الّذي أذاع تّعّهُّدًا بحماية الحرِّيَّات الشَّخصيَّة والعامَّة، ثمَّ جرى إعداد دستور مؤقَّت على عَجَل" .[5]

ولكن رغم الإجراءات الّتي اتُّخِذَت، فقد عادت المواجهات في العام ١٩٦٦ عندما نَشَرَ نقيبًا في الجيش، مقالًا في الجريدة، وَرَدَتْ فيه تعبيرات علمانيَّة حادَّة، مِنها "يجب أن نضع الله والدِّين والعادات في المتحف"، فتأجَّجت المشاعر الدِّينيَّة، وثار علماء دمشق واجْتمعوا في المسجد الأَمَويّ، لكنَّهم فوجئوا بدبَّابات النِّظام تقتحم المسجد وتُطلِق الرَّصاص، ممَّا أغضب السُّوريّين في المدن الأخرى، فخرجوا باحْتجاجات، وقد قاد مروان حديد الإحتجاجات مرة أخرى في حماة، فأُصدر عليه حُكْمٌ غيابيٌّ بالإعدام، مِمَّا اضطرَّه لمغادرة سوريا إلى الأردن .

وفي العام نفسه، حصل إنقلاب من نوعٍ آخرَ نتيجة التَّناحُرات داخلَ حزب البعث، وكان من نتيجته نفي المؤسِّسين التَّاريخيّين لحزب البعث من سوريا، واسْتلام صلاح جديد الحُكم، وقد جعل حافظ الأسد ذراعه اليُمنى. ولكن نتيجة الأحداث الّتي عَصَفَت في المنطقة، برزت مسألتين

٢- باتريك سيل، **الأسد الصِّراع على الشرق الأوسط**، مرجع سابق، ص ١٥٦.

٢- المرجع نفسه، ص ٢٣٥

٢- باتريك سيل، **الأسد الصِّراع على الشرق الأوسط**، مرجع سابق، ص ١٥٨.

٢- عبد الرحمن الحاج، **ظواهر الإسلام السِّياسيّ وتياراته في سورية**، مرجع سابق، ص ٨

تَنَازَعَ حولها الأسد وجديد، الأولى تتعلَّق بمشروع روجرز للسلام   الّتي لم يؤيّدها جديد، والثَّانية تتعلَّق بالفدائيّين "فبينما رأى فيهم جديد أدوات للثَّورة العربيَّة، وليس فقط محرِّرين لفلسطين، كان الأسد قد فهم أنَّ المقاتلين غير النِّظاميّين، والمُتشاجرين فيما بينهم، لن يُؤَثّروا في ميزان القوى مع "إسرائيل"، ومن الناحية العسكريَّة كانوا يُشَكِّلون عِبئًا نظرًا لكونهم يُزَوِّدون "إسرائيل" بِحُجَّة تتذرَّع بها لضرب العرب عندما تشاء"   . وبعد وفاة عبد النَّاصر، وَجَدَ الأسد "فراغًا كبيرًا في السُّلطة، فقد كانت سوريا بلا حكومة، وكان الحزب منقسمًا على نفسه، وكان الأسد وجديد يتجابهان بشكلٍ علنيّ"   . وفي العام ١٩٧٠ قام الأسد بحركته الإنقلابية بإسم الحركة التَّصحيحيَّة، وفي العام ١٩٧١ إنْتُخِبَ حافظ الأسد رئيسًا للجمهورية.

لقد أدرك الأسد باكرًا أنَّ عدَّة عوامل اقْتضت نظامًا صارمًا لِحُكم سوريا، منها خَطَر الإخوان المسلمين الّذين تمتَّعوا بجاذبيَّة شعبيَّة في صفوف الشَّعب، ونزعة السُّوريّين نحو الحزبيَّة والإنقسام والتَّناحر السِّياسيّ، وماضٍ فوضويّ وَسَعْي الجيران العرب لوضع اليد على سوريا. فرأى أنَّه لا بد من تعزيز دور المُدُن، وَكَسْب وِدّ الطَّبقة الوسطى الدِّينيَّة. فَحَرِصَ على ردّ الإعتبار لسكَّان المُدن حيث الأغلبيَّة السُّنيَّة، لذلك عندما شن حربه ضد الإخوان المسلمين في أوائل الثَّمانينات، لم يَهَب سُنَّة المدن، وخاصَّة في دمشق، لدعم الإسلاميّين. لأنَّهم رَأَوْا أنَّ مصلحتهم كانت مع اسْتقرار النِّظام وعِلمانيَّة البعث، وليس مع الإسلام الأصوليّ والإخوان المسلمين، كما أنَّ سُنَّة الأرياف قد اسْتفادوا كثيرًا من الإصلاح الزِّراعيّ، وأصبحوا داعمين للنِّظام   . وكان من نتائج تقرُّب الأسد من السُّنَّة، أنَّ النِّظام بدأ مرحلة طويلة في ارْتداء عباءة الإسلام، وتخفيف العِلمانيَّة الصَّارمة، وتَسَاهَل أيضًا مع ارْتداء الحجاب للمرأة، كما سَمَحَ ببناء المساجد والمدارس الدِّينيَّة، وفَتَحَ المجال الصَّحفي للدِّراسات الدِّينيَّة. كما أنَّ النِّظام حاول إقامة حزب إسلامي مؤيّدٍ له في التِّسعينات. ومن الشَّخصيَّات البارزة الّتي اسْتجابت لمبادرات النِّظام نذكر، محمَّد البوطي الّذي كان ضدّ منهج الإخوان المسلمون، وأحمد كفتارو الّذي كان مفتي سوريا حينها.

في العام ١٩٧٣ نُشِرَ دستورٌ جديدٌ لم ينصّ على دين الدَّولة، في حين أكَّدت الدَّساتير منذ الثَّلاثينات على أن يكون رئيس الجمهوريَّة مسلمًا. فاشْتعلت المُدُن بالتَّظاهرات والإستنكار،

٢- هي مبادرة قدمتها الولايات المتحدة الأميركية عام ١٩٧٠ لإيقاف النيران لمدة ٩٠ يوم بين مصر وإسرائيل وأن يدخل الطرفان في مفاوضات جديدة.

٢- باتريك سيل، **الأسد الصِّراع على الشرق الأوسط**، مرجع سابق، ص ٢٥٦.

٢- المرجع نفسه، ص ٢٦٦.

٢- كمال ديب، **تاريخ سوريا المعاصر من الانتداب الفرنسي إلى صيف ٢٠١١**، مرجع سابق، ص ٤١٠.

ممَّا أدَّى لتعديل المادة إلى ما كانت عليه سابقًا، مع التَّأكيد على أنَّ دين الأسد هو الإسلام. إلا أنَّ الإخوان المسلمون قد اعْتبروا أنَّ العلويّين ليسوا مسلمين، بل هراطقة. فاحْتدمت الأزمة داخل سوريا، وكان تحدِّي الإخوان المسلمين قد انْتقل إلى العلن في نهاية السَّبعينات وأوائل الثَّمانينات، حيث أخذوا من موقعهم المذهبيّ السُّنيّ يهاجمون نظام الحُكم الّذي يرأسه الأسد بأنَّه حُكْمٌ عَلَويٌّ، وأنَّ ادِّعاء النِّظام العَلْمنة ليس سوى جريمة أخرى تعكس هرطقة العلويّين وكفرهم... وكان حزب البعث حينها يُحَقِّق صعودًا غير مسبوق، وخاصَّةً في أواسط السُّنَّة، ممَّا أغْضب الإخوان، وَصَعَّدَ من عِدائهم للبعث، فلم يَخْلُ أسبوع من دون مواجهةٍ بالأيادي أو تلاسُنٍ بين الطَّرَفين [1].

كانت أحداث حماة ١٩٦٤ ودمشق ١٩٦٦، إضافةً إلى السِّياسات الّتي انتهجها الضباط البعثيين الانقلابين في احتكار السلطة وتعزيز طائفية الجيش، قد خلَّفَت أحقادًا بين الإسلاميّين والبعثيّين على وجه الخصوص. وبدا أنَّ أحداث السِّتّينات تمضي على أساس إحتقان طائفيّ سياسيّ. ولأنَّ الإخوان هم التَّنظيم الوحيد الّذي بقي فعليا في سوريا، فقد تعاظم نفوذه. وكان عصام العطَّار، يختلف عن مصطفى السباعي وقادة آخرين، في أسلوبه وقناعاته، "فهو ينتمي إلى المدرسة السَّلفيَّة الوهَّابيَّة الّتي لا تعترف بالمذاهب الفقهيَّة السُّنيَّة الأربعة الّتي تَبِعها مناصرو الحركة منذ أن أسَّسها السباعي وأغلبيَّة السُّوريّين السُّنَّة" [2]، لكنَّ العطَّار رَفَض منطقَ الجهاد المسلَّح ضدَّ البعث، ممَّا أدَّى إلى انْشقاقٍ داخل الجماعة بين مؤيِّدٍ للعُنْفِ ورافضٍ له. إلى أن جَرَت إنتخابات داخل الحركة لم يفز فيها العطار، وحصل من فاز مِن مناهضوه على اعْتراف تنظيمات الإخوان في العالم، واسْتمرَّ الإنشقاق حتَّى العام ١٩٨١. وهكذا شجَّعت القيادة الجديدة على الجهاد المسلح.

وفي العام ١٩٧٦، تجدَّدت المواجهة بين الإخوان المسلمين، وبين النِّظام السُّوري عقب التَّدخُّل السُّوري العسكري في لبنان ضدَّ القوى الفلسطينيَّة والتَّقدميَّة. وبعد أن بَرَزَت مجموعة داخل الإخوان تَتَّخذ من العنف سبيلًا للإصلاح. وتعود بدايات هذه المجموعة إلى المواجهات الّتي جرت في العام ١٩٦٤ في حماة، والّتي عمَّقَت قناعة النَّاجين من تلك المواجهات، وعلى رأسهم مروان حديد. "وتؤكد مصادر أنَّ العشرات من أعضاء الإخوان، قاموا بالتَّدريب في معسكرات فتح في أواخر السِّتّينات وعادوا لِيُشَكِّلوا نواة هذا التَّنظيم الجديد" [3]. وكان الإسلاميُّون

---

[1] ٢- كمال ديب، **تاريخ سوريا المعاصر من الانتداب الفرنسي إلى صيف ٢٠١١**، مرجع سابق، ص.ص ٥٤٠، ٥٤١.

[2] ٢- كمال ديب، **تاريخ سوريا المعاصر من الانتداب الفرنسي إلى صيف ٢٠١١**، مرجع سابق، ص ٥٤٦.

[3] ٢- نجيب الغضبان، **الحركة الاسلاميَّة السُّوريَّة وآفاق التحول الديمقراطي (الإخوان المسلمون في سوريا ممانعة الطائفة وعنف الحركة)**، الطبعة الثالثة، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الإمّارات، ٢٠١١، ص ٤٠

بعد أحداث السِتّينات "قد حصَّنوا هيكليَّتهم التَّنظيميَّة ونَشَطوا في تكوين الخلايا وتخزين السِّلاح، وَخَلْق شبَكة واسعة من العناصر الّتي اسْتَعْمَلت أسماء حركيَّة تتدرَّب على اسْتعمال السَّلاح، وخوْض المعارك في الأحياء الدِّينيَّة، كما أصبحت علاقاتهم الخارجيَّة ومصادر تمويلهم قويَّة ومُتعدِّدة" [٢] . فبعد نفي مروان حديد منذ سوريا، ومغادرته إلى الأردن، قا بتأسيس "الطَّليعة المُقاتِلة لحزب الله" لقتال الإسرائيليّين، ولكن بعد تفكُّك الطَّليعة وانْتقال أعضاؤها إلى سوريا، صار اسْمها "الطَّليعة المقاتلة للإخوان المسلمين". وقد حاول حديد فتح جبهة الجولان لكنَّه لم يَسْتَطع بسبب موقف السُّلطة الرَّافض. وبعد أزمة الدُّستور عام ١٩٧٣، حاول حديد الإتِّصال بالعلماء وتأليبهم على النِّظام، لكنَّ الإخوان المسلمين عارضوه بشدَّة، "وكانت جماعة حديد تعمل على هامش حركة الإخوان وليس جزءًا من تنظيمهم، وإن كان حديد يتمتَّع بصلاتٍ جيِّدةٍ مع قادةِ الإخوان بعد إزاحة العطَّار" ، وفي العام ١٩٧٥ أُلْقِيَ القبض عليه، وَسُجِن ثم توفِّي نتيجة إضرابه عن الطَّعام، وكان شهيدًا ملهمًا لِعُنف تنظيم الطَّليعة فيما بعد [٦] .

وبعد وفاته قامت مجموعات من الطَّليعة باغْتيالاتٍ اسْتهدفت بعثيِّين وعلويِّين، وقد انْتَسب عددٌ من الإخوان إلى الطَّليعة المقاتلة، الأمر الَذي عَنَى اعْتبار الطَّليعة جزء من الإخوان. ثمَّ حصلت حوارات ووساطات مع الأسد، أدَّت إلى إعلانه التَّمييز بين جناحٍ عنيفٍ وآخر سِلمِيٍّ في حركة الإخوان. وكان المجاهدون في الطَّليعة دائمًا يشيرون إلى العلويِّين بأنَّهم "الكفرة النُّصيريِّين المارقين عن ملَّة الإسلام"، كما أعلنوا أنَّ المجاهدين يخوضون أشرف المعارك ضدَّ الإلحاد العلويِّ الحاكم في سوريا، وَوَصَفوا صراعهم ضدَّ النِّظام على أنَّه بين الأغلبيَّة المسلمة السُّنيَّة المكبوتة والأقليَّة النُّصيريَّة الكافرة. وبعد ثلاث سنوات، وقعت حادثة مدرسة المَدْفعيَّة في حلب عام ١٩٧٩ عندما أُغْتيل ما لا يقل عن ٣٢ طالبًا عسكريًّا كان معظمهم من العلويِّين، وأظهرت هذه الحادثة تغلغل النَّاشطين السُّنَّة في الجيش [٢٧] . "لِتَبْدأَ بعدها الحملة ضدَّ المسؤولين الحزبيِّين البعثيِّين، ومكاتب الحزب، ومخافر الشُّرطة، والسّيَّارات والثُّكنات العسكريَّة والمعامل، وغيرها من الأهداف الّتي استطاع المقاتلون مهاجمتها" [٢٨] . وقد اتَّهم النِّظام الإخوان بهذه الحوادث، وكان مناخ التَّوتُّر الطَّائفيّ والسِّياسيّ حادًّا، إضافةً إلى تحوُّل خطاب الإخوان منذ أواسط السَّبعينات

٢- كمال ديب، **تاريخ سوريا المعاصر من الانتداب الفرنسي إلى صيف ٢٠١١**، مرجع سابق، ص ٤٥ ۶

٢- المرجع نفسه، ص ٤٨ ۶

٢- عبد الرحمن الحاج، **ظواهر الإسلام السِّياسيّ وتياراته في سورية**، مرجع سابق، ص ١١.

٢- نيقولاوس فان دام، **الصِّراع على السلطة في سوريا**، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ١٣٠+ ١٣١.

٢- باتريك سيل، **الأسد الصِّراع على الشرق الأوسط**، مرجع سابق، ص ٢٦ ۶

باتِّجاه خطابٍ جهاديّ، قد وفَّر وّسَطًا مُلائمًا لانْتقال الإسلاميِّين الشَّباب باتِّجاه خطاب العنف، وكان هذا التَّحوُّل قد أدَّى إلى شـــقّ حركة الإخوان، ولم يُحَلّ الإنقســـام إلا بتأســـيس "الجبهة الاسلاميَّة لإنقاذ سوريا"[٢٩].

كـان حـافظ الأســـد كـان قد مَيَّزَ بين الطَّليعـة والإخوان، وأفرج عن أفرادٍ من الإخوان المســلمين عام ١٩٨٠، لكنَّ حادثةً قد غيَّرت مجرى الأمور، وهي محاولة إغتياله، فَنَسْــبها إلى الإخوان قد دمَّرت نتائج الحوار. وذلك بعد أن تأسَّســت الجبهة الإســلاميَّة في ســوريا "للإطاحة بالنِّظام وإقامة حكم الدَّولة تحت راية الإسلام"[٣]. وبدأت حملة جديدة من الاغتيالات والتَّفجيرات موجَّهةً ضـــدَّ البعثيِّين. "وفي الفترة الّتي تلت تكوين الجبهة، الّتي تكوَّنت من تحالف جماعات سُـنِّيَّة دينيَّة معارضـــة، تزايدت أعمال العنف ونجحت الجبهة في نقل معركتها إلى دمشـق، عن طريق قذف المؤسَّـسـات الحكوميَّة بالمتفجِّرات. وفي تلك الفترة، عاد التَّوافق بين قيادات الإخوان وعصــام العطَّار ضِــمن إطار الجبهة الّتي أَصْـدَرَت بيانًا عَكَسَ المحتوى الطَّائفيّ لتلك الحقبة، وممَّا جاء فيها، أنَّه لن تكون هناك هدنة إلا بانْهيار النِّظام. فكان البيان بمنزلة إعلانٍ رســـميٍّ عن تحوُّل حركة الإخوان إلى الأُصـــوليَّة والعنف، وكان يَتَضـــمَّن تحوُّلًا باتِّجاه فكرة الدَّولة الاســـلاميَّة، الّتي لا مكان فيها للأقليَّات الدِّينيَّة إلا باعْتبارهم رعايا، كما تضـــمَّن تكفيرًا دينيًّا للعلويِّين، أي أنَّه أصــبح يسـتنجد بالخطاب الدِّيني العَقَديّ في المعركة السِّـياسـيَّة في محاولة تحشيدٍ شعبيّ واسعٍ ضدَّ نظام الأسد[٣١].

وهكذا وجد الأســد تبريرًا لتصــفية الإخوان، وأصــدر مرســومًا يقضـــي بأنَّ الإنتماء إلى الإخوان، أو الاشــتراك معهم، أو التَّرويج لآرائهم، يُعدُّ جريمة عقوبتها الإعدام. ثمَّ حصــلت عدَّة مجازر بحقهِّم في حماة، وحلب، وجســـر الشُّـــغور، وكان أهمّها مجزرة تدمر[٢] الّتي قُدِّرَ عدد

٢- عبد الرحمن الحاج، **ظواهر الإسلام السِّياسيّ وتياراته في سورية**، مرجع سابق، ص ١٣.

٢- كمال ديب، **تاريخ سوريا المعاصر من الانتداب الفرنسي إلى صيف ٢٠١١**، مرجع سابق، ص ٥٦٠.

٢- نيقولوس فان دام، **الصِّراع على السلطة في سوريا**، مرجع سابق، انظر ص ١٥٥.

٢- حسين عمارة، **ملقب "بجزَّار حماة" وموَلع بالصيد وصودرت ممتلكاته في فرنسا... من هو رفعت الأسد؟**، فرانس ٢٤، ٢٠٠٠، تاريخ الدخول: ٢٥ + ٢٠٢٢.

https://www.france24.com/ar/20200617-%

بعد محاولة اغتيال الرئيس حافظ الأسد، أمر شقيقه رفعت الأسد عناصره من سرايا الدفاع باقتحام سجن تدمر وقتل المعتقلين فيه، فتوجه نحو ٨٠ عنصر إلى السجن وأعدموا المئات منهم رميا بالرصاص والقنابل المتفجرة ويقدر عدد الضحايا ١٢٠٠ قتيل.

ضـحاياها حوالي ١٢٠٠ قتيل. ومن بعد تلك المجازر، إنتقلت قيادة الإخوان المسـلمين السُّـوريَّة إلى بريطانيا ليصبح مقرّها في لندن.

بقيت المواجهات الطَّائفيَّة بين مجاهدي الإخوان ونظام البعث مشتعلةً لتصلَ عام ١٩٨٢ في حماة، الّتي مَثَّلَت الرَّفض السُّـنِّي لدولة البعث منذ ١٩٦٣، إلى أقصـاها، كما أظهرت مدى سيطرة الإسلاميّين عليها. فاعْتبر النِّظام الحاكِم أنَّ معركة حماة ستكون الحاسمة، وخصَّص لها كلّ الإمكانات العسكريَّة، وكانت المعركة أدمى مكاشفة شهدها تاريخ سوريا الحديث، مُحِيَت فيها أحياءٌ كاملة، كما مُحِيَ ثُلث وسط المدينة الأثريّ. واسْتمرَّت المعارك على مدى شهر تقريبًا، إلى أن انْتهت بهزيمة ساحقة للإسلاميّين خلَّفت آلاف القتلى والمفقودين والمُهَجَّرين.

وبعد القمع الدَّمويّ في حماة، نادى سـعيد حوَّى الّذي كان من قياديِّي جماعة الإخوان، بإعادة بناء الحركة في البلاد وفقًا لما وَصَفَه بالرَّبَّانيَّة، وهو مصطلحٌ مرادفٌ للصُّوفِية الّتي تجمع بين الرُّوحِ والعلم. وَوِفقًا لحوَّى، كان على الحركة الاسـلاميَّة أن تبتعد عن العنف السِّـياسـيّ في ذلك الوقت، وَتُرَكِّزَ فقط على مواجهة المِزاج العلمانيّ من خلال التَّعليم الدِّينيّ، والإعتماد على شبكة غير نظاميَّة من رجال الدين. ولكنَّ توجُّه حوَّى لم يكن ميَّالًا للاستسلام، فمفهومه للتَّعليم الرَّبانيّ؛ قد تضـمَّن ضـميرًا سـياسـيًّا وإجتماعيًّا نَشَـأ جنبًا إلى جنب مع العلوم الشَّـرعية وتزكية النفس. وقد اسْـتلهم حوَّى نموذج التَّعليم عبر شـبكة رجال دينٍ من الشَّـيخ الدِّمشـقي عبد الكريم الرِّفاعي[٣] [٣] [٢].

وكان سـعيد حوَّى يُنَظِّرُ لحركةٍ إسـلاميَّةٍ عالميَّةٍ واحدةٍ تدمج كلّ التَّنظيمات الإسـلاميَّة والحركات المنتشرة في العالم الإسلاميّ، في تنظيمٍ واحدٍ مع احْتفاظها بأساسها التَّنظيميّ. بحيث تُعَبِّئُ الطاَّقات للجهاد ضـدَّ الأنظمةِ الّتي تريد اسْـتئصـال الإسـلام دون غيرها، وتَنْهض بمَهَمَّة الدَّعوة الاسـلاميَّة فيه، والعمل من أجلِ أمنِ العالم، إنطلاقًا من أنَّ الأمَّة جزءٌ من أَمْنِ العالم. وكان حوَّى متأثِّرًا بأبي الأعلى المودودي، الّذي الْتقى به أكثرَ من مرَّة، وقد لعبت كتابات حوَّى دورًا مهمًا في انْتشـار الفكر الجهاديّ في صـفوف الإخوان، وهو الفكر الذي مهَّد لانْتقال قواعد الإخوان إلى الطَّليعة المقاتلة، وذلك رغم أنَه لم يمارس عملًا جهاديًّا قطّ[٤].

٢- هو عالم سوري متصوف، ولد في دمشق عام ١٩٠١، تنقل في العديد من المعاهد الشرعية، لم يدعُ للجهاد ضد النظام بل اعتمد طريقة تصوفية خاصة به، توفي عام ١٩٧٣.

٢- عبد الرحمن الحاج، **من الطليعة المقاتلة إلى قاعدة الجهاد العالمي**، الطبعة الثالثة، الإخوان المسلمون في سوريا ممانعة الطائفة وعنف الحركة، مجموعة باحثين، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الإمّارات، ٢٠١١، ص ١٧٨.

لقد كان سـعيد حوَّى من أبرز مفكرِّي الإخوان في سـوريا، وقد آمَنَ بضـرورة التَّصَـوُّف لمواجهة الماديَّة الّتي طغَت على المجتمع السُّـوري. ورأى أنَّ التَّربية الّتي يُقَدِّمها التَّصـوَّف، يُمْكِنها مواجهة هذه الظَّاهرة. كما اعْتبر أنَّ السَّـلَف هم المرجعيَّة العُليا في العقيدة والسُّـلوك للإصـلاحيّين، وهي لا تضـمُّ فقط العلماء، بل أيضًـا الصُّـوفيَّة. ولكنَّ الفارق بين نهج حوَّى والطُّرق الصُّـوفيَّة يكمن في أنَّ التَّربية الرُّوحيَّة عند حوَّى هي مرحلة مُمَهِّدة للنِّزاع المسلَّح ضـدَّ نظام البعث، أمَّا الصُّـوفية، فتَعْتَبِر أنَّ كلّ الأمور تصـلح بصـلاح النُّفوس [٥]. كما ويعتبر حوَّى أنَّ مجتمعات العالم الإسـلاميّ فاسـقة، ومحكومة في الغالب بمُرْتَدّين أو منافقين أو كافرين، وعلى حدِّ تعبيره، إنْحَسر الإسـلام عن الحياة انْحسارًا تامًّا تقريبًا. وهكذا ينتسب تفكيره إلى نمط التَّكفير أكثر من نمط الدَّعوة التَّقليديّ. فيَعْتَبِرُ حوَّى أنَّ مهمَّة حركة الإخوان لا تقوم على الدَّعوة بما تشـتمل عليه من معنى الهداية وإصـلاح الفرد بطرق الموعظة الحسـنة، بل على الجهاد بما يشتمل على التَّطهير والإستئصال بلا شفقةٍ أو رحمة، فهذه المفاهيم تُهَيْمن على خطابه الجهاديّ وتَحْكم نظامَ تفكيره التَّكفيري [٦] [٣].

وعلى إثر أحداث حماة ١٩٨٢، تمَّ تأسـيس "التَّحالف الوطنيّ لتحرير سـوريا" والّذي تكوَّن من عددٍ من الجماعات المعارضـة، بما فيهم الإخوان المسـلمون، وبعثيّين سـوريّين موالون لنظام البعث ببغداد. ولكن بقي هذا التَّحالف ضعيفًا، ثمَّ تغيَّر اسْمه عام ١٩٩٠، ليُصبِحَ اسْمه "الجبهة الوطنيَّة لإنقاذ سوريا".

أمَّا تنظيم الطَّليعة، فلم يبقَ منه سوى قلة مبعثرة في العراق وأوروبا، وقد استهوته الجهاديَّة الأفغانيَّة. ممَّا أدى إلى انفصالٍ بين بقايا التَّنظيم، وبين الإخوان المسلمين الّذين حمَّلوه مسؤولية توريطهم في الأحداث، كما حمَّلهم التَّنظيم مسـؤوليَّة فشـل الجهاد في سـوريا. ولم يعد للإخوان تأثيرٌ على الأرض السُّوريَّة، كما أنَّ السُّوريّين السُّنَّة أنفسهم، حمَّلوهم مسؤوليَّة ما حدث، فخسر الإخوان المسلمون شعبيَّتهم.

وفي هذه الأجواء، تبنَّت قيادة الإخوان في الخارج خيار الثَّورة الإسـلاميَّة، وأصـدرت "بيان الثَّورة الإسـلاميَّة في سـوريا ومنهاجها"، ويتبيَّن من قراءة هذه الوثيقة، أنَّ النِّظام السِّـياسـيّ

٢- عبد الصمد بلحاج، **الصوفيون والإخوان المسلمون في سورية... البوطي ومدرسته (الإسلام النائم التصوف في بلاد الشام)**، الطبعة الأولى، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الإمّارات، ٢٠١٣، ص ٤٣٠ ٤٣١

٢- محمَّد جمال باروت، **يثرب الجديدة الحركات الاسلاميَّة الراهنة**، الطبعة الأولى، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ١٩٩٤، ص ٦٨ + ١٦٩.

الإسـلاميّ البديل، يُمْكِن توصـيفه باخْتصـار، بأنَّه منهاجٌ ليبراليٌّ يقترب كثيرًا من مناهج الأحزاب القوميَّة واليساريَّة المُعارضة[٣٧].

وفي إنتخابات الإخوان المسـلمين لعام ١٩٨٦، حصـل انْشـقاقٌ داخل الجماعة، عندما لم يعترف عدنان سعد الدِّين بصحَّة النَّتائج الّتي فاز فيها عبد الفتَّاح أبو غدّة بفارقٍ بسيط. فانْشقَّت الجماعة بين هذين الجناحين، واسْتمرَّ هذا الإنشقاق حتى العام ١٩٩٢[٣٨]. وكان التَّحدي الأكبر للإخوان السـوريّين في تلك الفترة، هو الصُّـمود في ظلّ معاناة إنسـانيَّة كبيرة. ومع نهاية التّسـعينات، بدأت قيادة الإخوان تُغَيِّر من خِطابها في مواجهة النِّظام، وذلك بالتَّركيز على التَّصعيد السِّياسيّ والإعلاميّ السِّلميّ ضدَّه، مع إبداء اسْتعدادٍ للحوار. وتراجعَ الإخوان المسلمون في سـوريا في تلك الفترة، عن الخطاب الثَّوريّ الجهاديّ، وكان الحديث عن دولة إسـلاميَّة شـبه مُنعدم.

بعد وفاة الرَّئيس حافظ الأسد في العام ٢٠٠٠، وبعد اسْتلام نجله الحُكم، إسْتعادَ الإخوان محاولاتهم لإنهاء حالة العداء بين الجماعة والنِّظام، وأَصْـدَرَت الجماعة عام ٢٠٠١ مشـروع ميثاق شـرفٍ وطنيّ للعمل السِّـياسـيّ، يُبَلورُ الخطَّ السِّـياسـيّ الجديد للجماعة، ويُمَثِّل فِراقًا مع خطاب الثَّمانينات الثَّوريّ الجهاديّ[٣٩].

وبعد اسـتلام بشّـار الأسـد الحُكم، كان من الضَّـروري إجراء إصـلاحات كبيرة بعد انْتشـار الفسـاد والعراقيل على التِّجارة، وتراجع النَّشـاط الإقتصـاديّ، والقيود على الحريَّات، وغياب الكفاءات في القطاع الخاصّ. ولكنَّ المُعضِلة أمام النِّظام كانت، إمَّا إطلاق تغيير وإصلاح غير واضـح المعالم يُهَيِّئ الطَّريق لظهور قِوى إجتماعيَّة جديدة تُطيح بالنِّظام، وإمَّا إصـلاحٌ تدريجيّ بطيء، قد يواجِهُ صعوبات داخليَّة، ولكنَّه يُؤَمِّن الإستقرار. فاعْتمد الرَّئيس خيار تجربة الأسلوبين بدءًا بالأوَّل، الَّذي عُرِف بربيع دمشق، ورافَقَته موجةَ تفاؤل، وانْفراجٍ في العامَيْن الأوَّلين. وقد قام بالإفراج عن عددٍ كبيرٍ من السُّجناء السِّياسيّين، بمن فيهم سجناء من الإخوان المسلمين، وأُطْلِقَت الحُرِّيَّات. ولكنَّ خطوطًا حمراء بَقِيَت، مثلَ الحقّ في المعارضـة الإسـلاميَّة، الّتي يُمَثّلها خاصَّـة الإخوان المسلمون.

٢- محمَّد جمال باروت، **الأحزاب والحركات والجماعات الاسلاميَّة**، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، دمشق، ٢٠٠٠، ص ٢٩٤.

٢- نجيب الغضبان، **الحركة الاسلاميَّة السُّوريَّة وآفاق التحول الديمقراطي**، مرجع سابق، ص ٤٤

٢- المرجع نفسه، ص ٤٥

وفي العام ٢٠٠١ صَدَر بيان في دمشق كوثيقة تأسيسيَّة لإحياء لِجان المجتمع المدنيّ، وَقَّعَ عليه أَلْف مثقَّفٍ سُوريٍّ كان من بينِهم شخصيَّات من الإخوان المسلمين. ثمَّ نَشرَت حركة الإخوان في العام نفسه "ميثاق الشَّرف الوَطَنيّ للعمل السِّياسيّ" من لندن لوضع إطار تعاونٍ مع قِوى معارِضـــة أُخرى، ولِفَتحِ صـــفحةٍ جديدةٍ مع النِّظام. وفي العام ٢٠٠٢ عَقَدَ الإخوان مؤتمرًا وطنيًّا في لندن دَعَوْا إليه ممثِّلين من جميع الاتِّجاهات السِّياسيَّة في سوريا لوضعِ برنامجٍ مُشتركٍ للعمل الوطنيّ، لكنَّ المشاركة اقْتصرَت على مُناصِري الإخوان وأصدقائهم. وَهكذا، وَبَعد أن بَلَغ عدد المنتديات واللِّجان العشرات، وَعَدَدَ الشَّخصيَّات المُنْضويةِ فيها المئات، وبَعَد تتالي البيانات المُعارِضـــة، شَعَرت السُّلطة بالقلق، وقد كانت المعارضـــة السُّوريَّة مُنْقسـمة، ومُتَوزِّعة المُيول والأهداف ٢ ٤ ٥ .

وفي هذا الإطار أَعْلَن الإخوانُ عن برنامجهم السِّـــياســـيّ الجديد عام ٢٠٠٤، من خلال "المشروع السِّياسيّ لسوريا المستقبل"، وأجرَوْا فيه تَحَوُّلاتٍ جذريَّةٍ في رؤْيتهم السِّياسيَّة الّتي كانت في خطابهم الجهاديّ في السَّـبعينات. فقد بَنَوا برنامَجَهم على مبدأ التَّجديد والإصـــلاح الدِّينيّ، وتَقَدَّموا خُطُواتٍ واســـعةٍ عندما أَعلنوا في برنامجهم، أنَّهم لا يريدون دولةً دينيَّة، بل دولةً مدنيَّةً حديثةً على أساس التَّداولِ السِّلميّ للسُّلْطة، وعلى أساس التَّعدُّديَّة السِّياسيَّة ١ . ولكن ليس من المُســتغرب أن يتضــمَّن مشــروع الإخوان مثل هذه الأمور، لأنَّ المؤسِّــس لحركة الإخوان في سوريا، مصطفى السباعي، لطالما مارس السِّياسة بتلك الرُّوحيَّة. "وقد اعترف برنامج الإخوان المســلمون الجديد، بالمســاواة بين كلّ السُّــوريّين، بِغضِ النَّظر عن دياناتهم، على أســاسٍ من المواطنة، كما احْتفظ البرنامج بنبرةٍ إســلاميَّةٍ واضــحة، عندما دعا إلى أسْـلمة مُتَدرِّجة للقانون، وعندما أقرَّ بأنَّ الأحزاب غير الإســلاميَّة، يجب أن تكون متاحةً شـريطة أن لا تتعارض مع ما تُقِيمه الشَّريعة بالنص" . وبعد المؤتمر الّذي عقده[٢] حزب البعث عام ٢٠٠٥، تبدَّدَ أمل جماعة الإخوان بالعودة والمصـالحة، بعد أن أُذيع بأنَّ حزب البعث قد وَضَـعَ خطوطًا حمراء فيما يتعلَّق بعودَتِهم أو التَّعامل معهم.

٢- كمال ديب، **تاريخ سوريا المعاصر من الانتداب الفرنسي إلى صيف ٢٠١١**، مرجع سابق، ص ٧٢٤ ٧٣٨.

٢- عبد الرحمن الحاج، **اتجاهات الإسلام السِّياسيّ في سورية–التحول الدمقراطي في سوريا والخبرة الإسبانية**، الطبعةلأ ولى، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسا ن،مصر، ٢٠٠٩،ص ١٣٣.

٢- توماس بيريه، **مكونات الإسلام السِّياسيّ في سورية: المصلحون السياسيون العلماء والديمقراطية**، ترجمة عومرية سلطاني، مكتبة الإسكندرية، وحدة الدراسات المستقبلية، مصر، ٢٠١٢،ص ١٠٩.

كان "المشروع السِّياسيّ لسوريا المستقبل" قد لاقى تجاوبًا من القِوَى السِّياسيَّة المعارِضة الأُخرى في سوريا، ولعلَّ أهمّ تطوُّر حصل في ذلك الوقت قد تَمَثَّل في اسْتعداد الحركات والأحزاب داخل سوريا، للمطالبة بأن يشمل الإخوان في أي تحرُّك سياسيّ، عن طريق بناء نظامٍ سياسيٍّ تعدُّدي. لكنَّ النِّظام القديم–الجديد لبشَّار الأسد، لم يُبْدِ تجاوبًا حقيقيًّا مع أيٍّ من هذه الطُّروحات، ممَّا دفع بالإخوان للإنتقال من مرحلة المطالبة بالإصلاح، إلى مرحلة المطالبة بالتَّغيير الشَّامل[٢]. ثمَّ شارك الإخوان بعد ذّلك في تأسيس "جبهة الخلاص الوطنيّ" مع عبد الحليم خدَّام، نائب حافظ الأسد الّذي انْشقَّ عن النِّظام في أواخر ٢٠٠٥. وطَرَحت جبهة الخلاص الوطنيّ، برنامجاً عمليًّا للتَّغيير، يتمثَّل في إيجاد حكومةٍ إنتقاليَّةٍ تُلغي دستور عام ١٩٧٣، وتُلغي كلّ القوانين الإستثنائية، وتُمَهِّد لعقد مؤتمرٍ تأسيسيٍّ لصياغة دستورٍ جديدٍ يُرَسِّخ قواعد نظامٍ ديمقراطيٍّ تَعَدُّديٍّ مدنيّ. وعام ٢٠٠٩ قرَّرَت جماعة الإخوان تعليقَ نشاطِها المُعارِض، مُتَوَقِّعةً أن تكون حكومة بشار الأسد مُنْفَتِحةً على حلٍّ تفاوضيٍّ من شأنِه أن يسمح لها بالعودة إلى سوريا. ولكن بعد انْتخابات ٢٠١١ داخل الجماعة، إنْتَهَج مراقب الجماعة العام، علي صدر الدين البيانوني، وبعض حلفائِه الحلبيّين خطًّا مستقلًّا، وانفصل شبابٌ عدَّة لتأسيس تنظيمٍ خاصٍّ بهم. وفي العام ٢٠١٢، تمَّ التَّوصُّل إلى اتِّفاقٍ لتقاسُمِ السُّلطةِ الدَّاخليَّة، وبدأت سيطرة جناح حماة داخل الجماعة، كمؤشِّرٍ على التَّحول نحو مواقف أكثر تشدُّدًا[٤].

لقد بقيت جماعة الإخوان محظورة، وبقيت معارِضة للنِّظام من الخارج، في لندن. في حين ظَهَرت تنظيمات إسلاميَّة صُغرى، كَحَركة "جُند الشَّام" الّتي قامت ببعض أعمال العنف. وفي تلك الأوضاع، إعتبرَ البعضُ أنَّ انتخاباتٍ حرَّةٍ ستحصل، وسَتُحدِث مواجهةً بين حزب البعث والإسلاميّين في سوريا، لكن ذلك لم يحصل، فقد خافت الدَّولة السُّوريَّة من مسيرة إصلاحات سريعة قد تؤدي إلى نتائج سلبيَّة. فَوَعَدَ النِّظام مرارًا بالإلتزام بمشروع الإصلاح الَّذي بدأه، ووعد بأن سوريا تستطيع أن تخطوَ نحو نظامٍ ديمقراطيٍّ علمانيٍّ بمسيرةٍ هادئة، وحتّى وإن اسْتغرق النَّهج الإصلاحيّ فترةً من الزَّمن. ولكنَّ مرور عشر سنوات دون تحقيق تقدُّمٍ جوهريٍّ، أدَّى إلى انْفجار الوضع الشَّعبيّ بشكلٍ غيرَ مسبوقٍ في ربيع ٢٠١١[٥].

وَمِنَ الشَّخصيات المهمَّة الّتي برزت عام ٢٠٠٤، كان أبو مصعب السُّوري، الّذي تَتَلْمَذَ على يد مروان حديد، وكان عُضوًا في القيادة العسكريَّة العُليا لتنظيم الإخوان المسلمين الّتي

٢- نجيب الغضبان، **الحركة الاسلاميَّة السُّوريَّة وآفاق التحول الديمقراطي**، مرجع سابق، ص ٤٥

٢- رين الميلع، **الإسلام السِّياسيّ والإرهاب في سورية نموذج مقارن بين الإخوان والنصرة وداعش**، بحث اعد لنيل دبلوم في الشؤون الدوليّة والدبلوماسية، الأكاديمية السُّوريَّة الدوليّة للتدريب والتطوير، ٢٠١٧، ص ١٥.

٢- كمال ديب، **تاريخ سوريا المعاصر من الانتداب الفرنسي إلى صيف ٢٠١١**، مرجع سابق، ص ٧٣٩.

تشـكَّلت في بغداد، بعد فراره من سـوريا. لكنَّ أبو مصـعب السُّـوري، إنفصـل عنها وذهب إلى أفغانســـتان، والْتقى عبد الله عزَّام وأســـامة بن لادن، وفي العام ١٩٩٢، بدأ بالعمل مع تنظيم القاعدة. ثمَّ برز كأحد مُنَظِّري التَّيار السَّـلفيّ الجهاديّ في العالم، كمَا أثَّر في سـلفيّين جهاديِّين على امْتداد مَناطقَ جغرافيَّةٍ متباعدة. وكان له كُتُبٌ وُصِـفَت على أنَّها مَنهجًا لِبناء شـخصـيَّة مقاتلٍ إرهابيّ. وقد تحوَّلَت كتُبه إلى مراجع في عمليَّات التَّجنيدِ الذَّاتيّ لدى الجماعات الجهاديَّة. وكان أبو مصـعب السُّوري قد نظر إلى التَّجربة الجهاديَّة في سوريا، كنموذجٍ للفَشَل الَّذي يجب أن تتعلَّم الحركات السَّـلفيَّة الجهاديَّة منها كي لا يتكرَّر. وبالتَّالي، فقد قدَّم نظريَّةً لآليَّات الجهاد في مناطق مختلفةٍ في العالم، ومنها سوريا. وقد أثَّرَ أيضًا في تصاعد جماعاتٍ رافضةٍ للإنخراط في أيّ عمليَّة سـياسـيَّةٍ لا يكون العنف هو الآليَّة الأسـاسـيَّة للتَّغيير فيها. وبَعْدَ حُصـولِه على الجنسيَّة الإسبانيَّة، سافرَ إلى عدَّة دولٍ أوروبيَّة، وأسَّس في لُندن مركزَ دراساتِ صراعاتِ العالمِ الإســـلاميّ. وعام ١٩٩٨، عاد إلى أفغانســـتان مبايعًا زعيم حركة طالبان، واتُّهِمَ عام ٢٠٠١ بالمشـــاركةِ في أحداث ١١ أيلول. ثمَّ في العام ٢٠٠٣ اِتُّهِم بالضُّـــلوعِ في إنفجاراتِ مدريد، وقد عَلَّق على هذين الإتِّهامين بالقولِ بأنَّ الدِّفاعَ فريضةُ عَيْنٍ على المسلم[٦].

وكان أبو مصـعب السُّـوري أَحد اللَّاعبين الأسـاسـيّين في السَّـاحة العِراقيَّةِ بعد الاحتلال الأميركيّ، حيثُ أثَّرَت أفكاره بشـكلٍ كبيرٍ في صـفوفِ الإسـلاميّين المتشـدِّدين في سـوريا، مِمَّا دعاهم إلى الذَّهاب للجهاد في سوريا، خُصوصًا بعد تسهيل الدَّولة السُّوريَّة لحركةِ عُبُورِ المُقاتلينَ لتحرير العراق، مع العِلم بأنَّ جزءًا كبيرًا من المقاتلين لم يذهبوا كإســلاميّين بل كقوميّين. إلا أنَّ الإســلاميّين الذين عَبَروا وعادوا، كان لهم دورٌ مهمٌّ في تصــاعد السَّـلفيَّة الجهاديَّة في ســوريا لاحقًا. "فقد عاد التَّيار الجهاديّ في ســوريا إلى البروز إثْرَ غزْوِ العراق عام ٢٠٠٣، وانْضـــمامِ كثيرٍ من السُّوريّين إلى المقاومة العراقيَّة حيث تأثَّروا بالفكر السَّلفيّ الجهاديّ، وعادوا إلى سوريا، خاصَّــةً في العام ٢٠٠٦، حيث نَشَـبَت صِـدامات متفرِّقة بينهم وبين الأمن السُّـوري". وكان قد حَصَـــل في العام ٢٠٠٤ هجومٌ على مبنىً غيرَ مســكونٍ للأمم المتَّحدةِ في ســوريا، واتَّهَمَت السُّـــلُطات التَّكفيريّين بشـــنِّه، "وَبَرَزَ من هذا التَّيار الجهاديّ الجديد، محمود غول أغاســـي بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١، وهو خطيبُ جُمُعَةٍ معروفٍ في حلب، قام بتنظيم الجهاديّين السوريّين

٢- رضوان زيادة، **الإخوان المسلمون في سوريا الدين والدَّولة والديمقراطية (الإخوان المسلمون في سوريا ممانعة الطائفة وعنف الحركة)**، الطبعة الثالثة، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الإمّارات، ٢٠١١، ص ٦٣-٦٥.

إلى العراقِ بعدَ غزْوِه، مُعلِنًا في حوارٍ صـــحافيٍّ عن رغبته في قيامِ دولةٍ إســـلاميَّةٍ في ســـوريا، ولكنَّ حياتَه انْتَهت في العام ٢٠٠٧، عندما اغْتيل وهو خارجٌ من أحد مساجدِ حلب" .

المطلب الثاني: الإسلام المعتدل

لقد كان هناك مقابل الإسلام الأصوليّ في سوريا، الإسلام المعتدل أيضًا، ولعلَّ الأخير يمكن التَعبيرَ عنه من خلال الطُّرُق الصُّوفيَّة الّتي انْتشَرَت بشكلٍ كبيرٍ في بلادِ الشَّامِ قَبْل تقسيمها، وكان لها أثرًا مهمًّا في سوريا بعد التَّقسيم. ولا يَخفى أنَّ صِراعًا نشب بين السَّلفيَّة الّتي تعتمد فكر ابن تيميَّة الّذي اعْتَبَر أنَّ الطُّرقَ الصُّوفيَّة ما هي سوى بِدَعٍ تدلُّ على كُفْرِ صاحبِها، وبيْن الصُّوفيَّة الّتي دافعت عن نفسها بشتَّى الطُّرقِ السِّلميَّة. ولكن بالعودة إلى المشهد السُّوري في ظل حكم البعث، ونظرًا للأغلبيَّة السَّاحقةِ السُّنيَّة، وبعد المواجهات العنيفة الّتي نَشَبَت بين النِّظام والحركات الاسلاميَّة الّتي اتَّخذت طابعًا أصوليًّا في خطاباتها الأخيرة، كان لا بد من إيجاد بديلٍ يُمَثِّل السُّنَّة في سوريا، ولا بد لهذا البديل أن لا يتعارض بسياساته مع السُّلطة. ومن هنا فقد كان التَّقَرُّب من المجموعات الصُّوفيَّة، الحلّ الأمثل نظرًا لِما تحمله في عقيدتها من سلمٍ وتجنُّبٍ للفتن السِّياسيَّة.

قلنا بأنَّ للتَّصوُّف دورٌ هامٌ في سوريا، فمراكز التَّصَوُّف في حلب وحماة ودمشق، وبخاصَّة أثناء الحُكم العثمانيّ، تدلُّ على جُذورِهِ الرُّوحيَّة والسِّياسيَّة. وتُعْتَبَر المدرسة الدِّمشقيَّة أُولى المدارس الّتي أُنْشِأَت في بلاد الشَّام واتَّخَذَت من المساجد رُكنًا لها، والّتي وضعت منهجًا دراسيًّا جديدًا يتلاءمُ معَ طبيعةِ التَّصوُّفِ في بلاد الشَّام . أمّا أهمّ التَّيارات الصُّوفيَّة في سوريا فهي الّتي تعتمد الطُّرُق التَّالية: الطَّريقة النَّقشبنديَّة، وهي تُوجَد في معظم المُدُن السُّوريَّة، وخصوصًا في دمشق وحمص وحلب واللّاذقية، مؤسِّسها هو محمَّد بهاء الدِّين النَّقشبندي الّذي تُوفِّي عام ١٣٨٩، وتقوم هذه الطَّريقة على تصحيح العقائد، ودوام العبادة، ودوام الحضور مع الحقّ، ومِن مشايخ هذه الطَّريقة الشَّيخ أحمد كفتارو. ويوجد الطَّريقة الخَلَوتيَّة الّتي تعود لمؤسسها عمر خلوتي، وكانت ذا شأنٍ كبيرٍ في دمشق، ولكن لم يكن تأثيرها السِّياسيّ كبيرًا. وأيضًا هناك الطَّريقة القادريَّة الّتي تُنْسَبُ إلى الشَّيخ عبد القادر الجيلاني، وهي تَتَقَيَّد بالكتاب والسُّنَّة والفقه الحنبليّ، ويرى شيوخها أنَّ التَّصوُّف بعيدٌ عن السِّياسةِ لأنَّ الصُّوفيّ مُتعلِّقٌ بالله، ولا يتعلَّق

٢- هشا م عليو ن وفادي الغوش، **البوطي الدَّعوة والجهاد والإسلام السياسي**، الطبعةلأ ولى، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بير وت، ٢٠١٢، ص ٨٠ - ٨١.

٢- عبد الحكيم قاسم، **المذاهب الصوفية ومدارسها**، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي، مصر، ١٩٩٩، ص ١٥٩.

بالأغيار. ومن الطُّرق أيضًـــا الطَّريقة المَوْلويَّة الّتي تعود إلى جلال الدِّين الرُّومي، ويُعرف أتباعها بالدَّراويش. وتوجد الطَّريقة الرِّفاعيَّة وتُنسَـب إلى الشَّـيخ أحمد الرِّفاعيّ، الّذي تُوُفيَّ عام ١١٨٢م، وقد دخلت طريقته إلى دمشـق بحدود العشـرينات من القرن الحالي، وانْتشـرَت طريقته بشـكلٍ كبيرٍ في دمشـق، وكانت تُساعدُ حركات التَّحرر الوطنيَّ ضـدَّ الإستعمار، كما دعَمَت جهاد الفلسطينيِّين ضـدَّ اليهودِ بجمعِ التَّبرُّعات وإرسال المُتطوِّعين. أمَّا الطَّريقة الشَّـاذليَّة فترجِع نِسبتها إلى الشَّيخ عبد القادر الجيلاني [٤]. وإضافةً إلى طرقٍ أُخرى انْتشرت في سوريا لا يَتَّسِع المجال لذكرِها، نَذكُر أيضًـا الطَّريقة الكَلتاويَّة الّتي أسَّسَها الشَّـيخ محمَّد النَّبهان، وأسَّس معهدًا لمُريديها في حلب، هو أَشْبَهُ بمعاهد الإعداد الحزبيّ والسِّياسيّ.

ولكن في بدايات القرن العشـرين، ومع ظهور الحركة السَّـلفيَّة الإصـلاحيَّة الّتي صـاغت فكرة الإحياء، ومناهضة الإستعمار، وأنظمة الحكم المستورَدَة، لم يَعُدْ التَّصَوُّف الّذي يُمَثِّل التَّديُّن الشَّـــعبيَّ ومصـــالح الدَّولة العثمانيَّة والحكومات الوطنيَّة المُتعاقبة، المرجع الرُّوحيّ الوحيد للمتديِّنين، وقد عارَضَــت السَّــلفيَّة الإصـــلاحيَّة التَّصـــوُّف بِشِـــدَّة. ومع ظهور حركة الإخوان المسلمين في سوريا صـارت الصُّـوفيَّة تواجهُ تحدِّياتٍ فكريَّةٍ وسياسيَّةٍ كبيرة. وقد اتَّسمت علاقة الإخوان والطُّرُق الصُّـوفيَّة بالإتِّصـال الرُّوحيّ، والانفصـال السِّـياسـيّ، فهي تتأرجح بين قَبول الإخوان بدورٍ روحيٍّ للطُّرُق الصُّوفيَّة، وبين رَفْضٍ لحضورها الاجتماعيّ والسياسيّ. وبعد اسْتلام حزب البعث الحكم عام ١٩٦٣، إختلف منهج الإخوان عن منهج الصُّـــوفيَّة الّتي اسْـــتجابَت لتحدِّيات البعث عبر التَّربية الرُّوحيَّة، وازْداد نشاطها في المساجد في السِّتِّينات والسَّبعينات تحت قيادة عبد الكريم الرِّفاعي، وكان أساس هذه الإستجابة، تَقْوِية الهويَّة السُّنيَّة للسُّوريِّين عن طريق تلقين العلوم الإسـلاميَّة، وعن طريق الأَوْراد الصُّـوفيَّة خصـوصًـا. وهنا يُمكن الإسـتشـهاد بحالة الشَّـيخ النَّقْشَـبنديّ أحمد كفتارو، الّذي حاوَلَ التَّخفيف مِن عِداءِ البَعث للدِّين، عن طريق التَّبَنِّي الرَّسـميّ لأطروحاتٍ قوميَّةٍ، كالوَحدة العربيَّة، والِّدفاعِ عن إسـلامٍ متسـامحٍ وَمُتَنَوِّر [٥]. وقد أَدْرَك

٢- عمار نزال، **الطرق الصوفية في الأزمة السُّوريَّة وحدة الجذور واختلافات المصير (الإسلام النائم التصوف في بلاد الشام)**، الطبعة الأولى، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الإمّارات، ٢٠١٣، ص ٤٦٧- ٤٧٢

٢- عبد الصمد بلحاج، **الصوفيون والإخوان المسلمون في سورية... البوطي ومدرسته**، ص٤٢٥- ٤٣٣

الرَّئيس حافظ الأسد، أنَّ الفُرصَـةَ السِّياسيَّة الموجودة في التَّديُّن، وخصوصًـا في إسلامٍ صوفيٍّ معتدل، يعطيه شرعيَّةَ عَدَمِ محاربةِ الدِّين، من خلال التَّقَرُّبِ مِن أمثال الشَّيخ كفتارو .

إنَّ اخْتيار الإخوان المواجهة المسلَّحة، جَعَلَ الصُّـوفيَّةَ تنفصـلُ عنها نهائيًّا، وصـحيحٌ أنَّ سـعيد حوَّى قد اسْتلهَمَ نَموذج الشَّـيخ الدِّمشـقيّ عبد الكريم الرِّفاعي، لكنَّ نظرةَ الشَّـيخ الرِّفاعيّ، الّذي كان من المُتَصَـوِّفين، كانت تقليديَّة. وَرَغْمَ ذلك، فَقَدْ نَجَح في إنشـاء حركةٍ تجديديَّةٍ غيَّرَت في المشـهد الإسـلاميّ في دمشـق لاحقًا. وقد كان الشَّـيخ الرِّفاعيّ من الطَّبقة الوُسـطى، وأرادَ تأسـيس جمعيَّةٍ دَعَوِيَّةٍ تربويَّةٍ بدلًا من المدارس النِّظاميَّة. فأسَّـس لحلقاتٍ عديدةٍ تتَّخذ من المسـاجد مقرًّا لها، وكان يُشَـجِّع الشَّـباب على الإنخراط في الدِّراسـات العصـريَّة، لأنَّهم عندما يتخرَّجون، سَيُقَدِّمون النَّموذج الوَرِع للمجتمع. وَأَطْلَقَ على جماعته اسْم زيد، نِسبةً إلى مسجد زيد بن ثابت الأنصـاريّ، الّذي كان يَخطِب فيه في دمشـق. لقد أَكَّدَ الشَّـيخ الرِّفاعيّ باسْـتمرارٍ على أهميَّة المسجد كأَساسٍ للدَّعوةِ الاسلاميَّة. فَمَعَ انْتشار العلمانيَّة، كان من المهمّ ألا يكون المسجد مكانًا للعبادةِ فقط، بل أيضًا للحياة الاجتماعيَّة، بِحيْث تتحوَّل المساجد إلى حَجَرِ أساسٍ لمجتمعٍ إسـلاميٍّ بديل. وَرَغم أنَّ الرِّفاعي كان متصـوِّفًا انْتسـب إلى الطَّريقة النَّقشـبَنديَّة، إلا أنَّه لم يَنْقُل هذا الطَّريق إلى مريديه، بل اكْتفى بتقديم القُدوةِ الصَّـالحةِ لهم، والّتي يجب تقليدها. وقد كانت جماعة زيدٍ أُفُقيًّا في شكل شبكةٍ من المساجدِ يتبادل القائمون عليها احْترامَ شخصيَّة الشَّيخ، أمَّا رأْسيًّا، فكانت على شَكْل تنظيماتٍ هرميَّةٍ غير رسميَّةٍ قويَّة التَّنظيم.

وبعد وفاة الشَّـيخ، إسْـتمرَّت حركته الاجتماعيَّة الّتي مثَّلت مصـدرًا لِهويَّةٍ جماعيَّةٍ قويَّةٍ لِأَتْباعه. وبِفَضْـل هيكلها غير الرَّسـميّ، لَم تُعانِ جماعة زيدٍ من انْقلاب حزب البعث عام ١٩٦٣، ولم تتأثَّر بقرار حظر الأحزاب. وسُرعان ما أصـبحت شـبكة المسـاجد التَّابعة للجماعة هي الأكبر في المدينة، وتمكَّنَت من جَذْب المتعلِّمين والشَّـبابِ من الطَّبقة الوُسـطى أكثرَ فأكثر. وكـان أحد عوامل نجـاح الجمـاعـة في عمليَّة الجَذْبِ هذه، يعودُ إلى الحَظْرِ الَّذي فُرِضَ على جماعة الإخوان المسـلمين عام ١٩٦٣، لأنَّ الأخيرةَ قد اعْتادَت مخاطبة الطَّبقة نفسـها. وعندما قامت جماعة مروان حديد، "الطَّليعة المقاتلة"، بِشَنِّ هجماتٍ إرهابيَّةٍ ثُمَّ اصْطدَمت بشكلٍ مباشرٍ مع النِّظام، إنْضـمَّ الكثير من جماعة زيد إليْها، فكان مصـيرهم القتل أو الأسـر. ورَغم ذلك، فلم تؤقِف الجماعة أنشطَتَها، بل جمَّدَتها في تلك الفترة، ويعود الفَضْـل في ذلك إلى القادة المُتَقَدِّمين

٢- **القبيسات التنظيم النسائي الصوفي**، موقع الراصد، سلسلة الإلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة، العدد ٣٣، ٢٠٠٦.

https://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=5473

في السِّنِّ من أَئِمَّة وخطباء مساجد دمشق، الّذين لم يجدِ النِّظام حافزًا لإخلائهم. وفي منتصف التِّسعينات، بدَأَت الحركة باستعادة قُوَّتها بعد تخفيف القمع السِّياسيّ على النَّشاطات الإسلاميَّة. وفي العام الذي يليه، عادت قُوَّة الجماعة كما كانت في السَّبعينات، وتَردَّد الشَّباب بأعدادٍ كبيرةٍ مَجددًّا. ولكن هذه المرة، كان تدريس الفكر ممنوعًا في الحلقات الدِّينيَّة، فاعْتمد الشُّيوخ على توزيع كتبٍ لمفكِّرين سياسيِّين إسلاميّين معتدلين، مثل البوطي والنّورسي وأبو الحسن النَّدَوي، لعددٍ من الأتباع المُؤهَّلين للتَّعامل مع هذه الكتب. ولكنَّ عصر الإنترنت، مَنَح رجال الدِّين أداةً أكثر تأثيرًا، فقد أنشأوا موقع "صدى زيد" الَّذي لم يقتصر نَشاطَه على نَشر كُتُبٍ لمُفكّرين إسلاميّين، بل أيضًا نَشَر مؤلَّفاتٍ لقادةِ الجماعةِ ومشاركاتِ الكوادر، وأيضًا موضوعاتٍ فكريَّةٍ مختلفة؛ وكان ذلك تِطَوُّرٌ هامٌ في مجال الحركة الدِّينيَّةِ في سوريا. كما اسْتطاعت الجماعة التَّقرُّب من النِّظام من خلال إنشاء مشاريع خيريَّةٍ تُضافُ إلى مشاريعها السَّابقة[٢].

على الرَّغم من قول مشايخ الطُّرُق الصُّوفيَّة المعاصرين بأن لا علاقة بينهم وبين السِّياسة، إلا أنَّ مشاركتهم في الإنتخابات النِّيابيَّة ونجاحَ ممثّليهم فيها في دمشق وحلب، يُثْبِت تعاونَهم معَ حكمِ البعث. فالعلاقة بين الحركات الصُّوفيَّة والسِّياسة هي علاقةٌ جدليَّة، والأهمّ فيها حالة التَّباين السِّلمي. فالصُّوفيَّة نَشَأَت في التَّاريخ الإسلاميّ كحركةٍ إنعزاليَّةٍ فرديَّة، لكنَّ بُلوغ الحركة الصُّوفيَّة إلى مرحلةِ الوجودِ الإجتماعيّ الشَّعبيّ المؤثِّر، جَعَلَ السُّلطَةَ السِّياسيَّة تَتَوَجَّهُ إليها للتَّقرُّب منها، لكي يكون شيوخها سندًا لها.

فَبَعد أن أَبْعدَ نظامُ البعث حركات الإسلام السِّياسيّ، وَجَدَ في الحركات الصُّوفيَّة بديلًا لملء الفراغ الدِّينيّ، فَتَقَرَّب من مشايخ الصُّوفيَّة، ممَّا أدَّى إلى عِداءٍ من نَوْعٍ جديدٍ بيْن الصُّوفيَّةِ وحركات الإسلام السَّياسيّ، وبالأخصّ الإخوان المسلمين. ففي الوقت الّذي حُظِرَت فيه الجماعة، كان مشايخ الصُّوفيَّة ومُريديهم يملِكون كاملَ الحُرِّيَّةِ بتَنَقُّلاتِهم. وقد اعْتُبِرَ أنَّ ظهور المفتي أحمد كفتارو في مناسباتٍ كثيرةٍ بقرب الرَّئيس السُّوري، هو ظُهورٌ سياسيٌّ أكثرَ مِنه دينيّ. ولعلَّ سبب رضا الحركات الصُّوفيَّة عن الوضع القائم بالتَّقرُّب من النِّظامِ يعود إلى أنَّها وَجَدَت فرصتها الدَّعويَّة الّتي تسمح لها بِحُرِّية الحركة، خصوصًا وأنَّ منهَجَها يعتمد على العمل الدَّعويّ التَّربويّ والأخلاقيّ والتَّعبُّديّ، وهي تتبنَّى رؤيةَ رفض الخروج على الحاكم، كما تتبنَّى فكرة تجنُّب واعْتِزال الفِتَن السِّياسيَّة.

٢- أرنو لافـ ن، **حركة إسلامية في ظل نظام عسكري (جماعة زيد الدمشقية أنموذجًا)(الإخوان المسلمون في سوريا ممانعة الطائفة وعنف الحركة)**، ترجمة محمَّد عبد الؤ فـ الطبعة الثالثة، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الإمّارات، ٢٠١١، انظر ص ٤٥ + ١٥٤.

وَأَبْرز هذه الجماعات في سـوريا تتمثَّل بجماعة أبو النُّور (الكفتاريُّون)، والتَّيار الأشـعريّ الّذي يُمَثِّله الدُّكتور سعيد رمضـان البوطي، وأيضًـا الجماعة النَّسَويَّة البارزة بإسم القُبَيْسات الّتي تأسَّـست على يد منيرة القبيسـي بإلهامٍ من طريقة الشَّـيخ أحمد كفتارو النَّقشـبَنْديَّة، وهي جماعةٌ تهتمُّ بِنَشـر العِلمِ الشَّـرعيّ والوعْي الرُّوحيّ بين النِّسـاء. والواقع أنَّ تأثير هذه القيادات قد تجاوز الحدود السُّـوريَّة، وأصـبح لبعضـها فروعٌ في دولٍ أُخرى، وأصـبح لهم منهجيَّة متميِّزة في الدَّعوة والتَّنظيم وبعض الإجتهادات العَقَدِيَّة[٥-٣] .

أراد النِّظامُ إسْـلامًا نمطيًّا يقوم على التَّديُّن الفرديّ والشَّـعبيّ الصَّـامت، أمَّا أهمّ الحركات الصُّـوفيَّة الّتي سَـمَحَ لها النِّظام بالعمل، فكانت جماعة أبو النُّور الّتي تأسَّـسـت على يد محمَّد أمين كفتارو[٥-٢] الّذي اعْتمد الطَّريقة النَّقَشْبَنْديَّة، مؤسِّسًا دعوته في جامعْ أبو النُّور، وكان أسلوبه تربويًّا يَسـاعد المسـلم على تزكية النَّفس وتطهير القلب وتقوية الإرادة. وكان نجله الشَّـيخ أحمد كفتارو الّذي نَشَـأَ مُتَشَـبِّعًا بتربيةٍ صـوفيَّة، وقد عَمِل كمُدَرِّسٍ دينيّ في دار الفتوى، وأَسَّـس معهد الأنصـار الثَّانويّ عام ١٩٤٩، وَعُيِّنَ مفتي دمشق للشَّافعيَّة عام ١٩٥١، ثمَّ أَسَّس جمعيَّة خيريَّة في العام الّذي يليه، بِما يُعَزِّز دوره الإجتماعيّ والمؤسَّساتيّ[٥] .

إنْتُخِبَ الشَّـيخ أحمد كفتارو مفتيًا عامًّا للجمهوريَّة العربيَّة السُّـوريَّة عام ١٩٦٤، وقد سَـمَحَ له موقعه بتعزيز البُنْيَةِ المؤسَّسيَّة لجماعته. وعام ١٩٧١، أَنْشَأَ مُجمَّع أبو النُّور، الَّذي ضمَّ فيه لأوَّل مرَّة التَّعليم الجامعيَّ للذُّكور والإناث. "ومع النِّصـــفِ الثَّاني من عقد الثَّمانينات، بَرَزَ أتْباع الشَّـــيخ كفتارو، كجماعةٍ متمايزةٍ في ظلِّ الفراغِ الإســـلاميّ الحركيّ النَّاتِجِ عن حظْر الإخوان المسلمين، فاسْتفادت مؤسَّسَات الشَّيخ من هذه الظُّروف وعمِلت على ملءِ الفراغ، وَبَلَغَت عشرات الأُلوف عبر الخرِّيجين"[٥] . لقد نجحت هذه الجماعة[٦] بتكوين جماعةٍ قياديَّةٍ وانْتشـــْرت في كثيرٍ من المناطق، وأهمُّها دمشـــق وحلب، لكنَّ ذلك لم يمنع وجود طُرُقٍ صـــوفيَّةٍ أخرى. ومع وفاة

٥٢- عبد الصمد بلحاج، **الصوفيون والإخوان المسلمون في سورية... البوطي ومدرسته**، ص٤٤٩.

٥٢- هو فقيه ومفسر، متصوف، ولد عام ١٨٧٥في قرية كرمة الكردية، أسَّس نواة إصلاحية في زمنه قوامها العلم الشرعي والطريقة النقشبندية في جامع أبو النور في دمشق، كانت طريقته في الدَّعوة تقوم على الدَّعوة عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة، وأحياء القلب بذكر الله، وتزكية النفس. توفي عام ١٩٣٨.

٥٢- عبد الرحمن الحاج، **الدَّولة والجماعة التطلعات السِّياسيَّة للجماعات الدينية في سوريا ٢٠٠٠-٢٠١٠**، مركز التواصل والأبحاث الاستراتيجية، تركيا، ٢٠١٠، ص ٢٨.

٥٢- عبد الغني عماد، **الجماعات الصوفية والاسلاميَّة الأنماط الجديدة للتدين في سوريا (الإسلام النائم التصوف في بلاد الشام)**، الطبعة الأولى، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الإمارات، ٢٠١٣، ص ٥٠٥.

الشَّـــــيخ كفتارو عام ٢٠٠٤، نَشَـــبَت خلافات بين قياديِّي الجماعة ممَّا أدَّى إلى تَفَكُّكِها. لكنَّ قياداتها التَّقليديَّة حافظت على منهج الشَّيخ بالتَّعامُل الإيجابيّ مع الحكومة.

وإلى جانب كفتارو كان الدُّكتور محمَّد سعيد رمضـان البوطي الشَّخصـيَّة الأبرز الّتي[٧] عرَفها الجمهور السُّـــوري، والّذي كان على خصـــومةٍ مع الإســـلام الحركيّ[٨]، باعْتبارِ مفهومِ الجهاد هو بالحقيقة دعوة، وقد اعْتبر أنَّ الخروج على الحاكم هو خروجٌ على مبادئ الإســـــلام. وقد كان البوطي من أهمِّ ممثِّلي التَّيار الوَسَــطِيّ في ســـوريا في أواســط الثَّمانينات، وهو التَّيارُ الَّذي يقف في الخَطِّ الوَسَطِ بين السَّلفيَّة والصُّوفيَّة، فَرَفَضَ ممارسات الصُّوفيَّة وسلوكيَّاتها، كما رَفَضَ تشــدُّد السَّـــلفيَّة في إنكار البِدع وتضــــليل الآخر، مع المحافظة على الفَهْمِ الأُصـــوليّ للإسلام. وقد كان البوطي على تفاهمٍ مع المؤسَّسة الحاكمة في سوريا، وبِمُوجبه مُنِحَ حُريَّةً كبيرةً في العمل والدَّعوة وممارســة الأنشـطة الاســلاميَّة. وقد ظَهَرَ في جميع المناسـبات الّتي تتطلب وجود ممثِّلٍ للتَّيار الإسلاميّ، كما تم تخصيص برنامجٍ أسبوعيٍّ له في التِّلفزيون السُّوري. وكذلك كان خطيبًا بليغًا يُلقي دروسًا أُسبوعيَّةً في بعض مساجد دمشق، فضْلًا عن خطبة صلاة الجمعة في مسـجد الرِّفاعي، وكان له مؤلَّفات كثيرة تعالج مسـائل إسـلاميَّةٍ مختلفةٍ برؤيةٍ معاصـرة. وقد عُرِف البوطي بخصــــومته الفكريَّة العنيفة مع التَّيار السَّـــلَفيّ[٩]، فقد حَمَلَ بِشِـــدَّة على ما يراه انْحرافًا عَقَدِيًا أو فقهيًا في التَّيار السَّـلفي بمختلف اتِّجاهاته. ويتَّخذ البوطي موقفًا أكثر حدَّة حين يَعْتَبِرُ أنَّ أكثر كتب الفكر الإســلاميّ، من تأليف المُتلاعبين بالإســلام، والمُتربِّصــين به، "إذ أنَّ جُلَّ الَّذين ينصرفون اليوم إلى دراسة القضايا والمشكلات الاسلاميَّة، يسلكون إليها سبيل قراءاتٍ سطحيَّةٍ متنوِّعة، ثم يعودون إلى دراساتهم بأفكارٍ ذاتيَّةٍ تبنُّوها وَتَصَوُّراتٍ رَكَنوا إليها بِقَطْعِ النَّظرِ عن مدى مُطابقتِها لِحقائقِ الإسلام الّتي دَلَّت عليها نصوصه"[١٠].

وَحَوْل رَأْيِه بالجهاد، فقد اعْتبر أنَّ التَّيار الجهاديّ، لم يُدْرِك المغزى الشَّرعيّ لهذه الشَّـعيرة من شـعائر الإسـلام، بحيث جاءت الأفعال غير متطابقةٍ مع النُّصـوص الأصـليَّةِ ومضـامينها

٢- عالم سوري متخصص في العلو م الاسلاميَّة، ولد في قرية جليكا الّتي تقع بين حـ ود سوريا والعراق وتركيا عـ م ١٩٢٩، كردي الأصل. حاز على لقب شخصية العالم الإسلامي عـ م ٢٠٠٤ وكا ن يمثل التوجه المحافظ على مذاهب أهل السنة الأربعة، وكا ن أشعريًا، توفي عـ م ٢٠١٣.

٢- أي الإلا م الذي يدعو إلى تغيير الدّ ولة الحاكمة إلى د ولة إسلامية تطبق شريعة الإلا م

٢- هشا م عليو ن وفادي الغوش، **البوطي الدَّعوة والجهاد والإسلام السياسي**، الطبعة الأ ولى، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بير وت، ٢٠١٢، ص ٧١ - ٧٢.

٢- البوطي، **الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه؟**، الطبعة الأ ولى، دار الفكر، سوريا، ١٩٩٣، ص ١٢.

الأساسيَّة. فالجهاد "الّذي شَرَّعه الله لِمَنْع الفساد في الأرض ولحماية رواق السِّلم، لم يُسَخَّر يومًا للإجبار على اعْتناق مُعْتَقدٍ في مكان معتقدٍ آخر" [٦]. وهو يَعْتَبِر أنَّ الجهاد بالدَّعوة إلى الله هو أساسُ الجهاد، وهو الَّذي اسْتغرقَ من حياة الرَّسول الفترة الأطول، وهو الجِهادُ المستمرّ في كلّ الظُّروف والأحوال. كما يرى أنَّ الجهاد القتاليّ، إنَّما هو فِرعٌ من الجهاد، مُحَدَّد بظروفٍ خاصَّــةٍ ومُقَيَّد بشروطٍ معيَّنةٍ مِنْ تَكَوُّن المجتمع الإسلاميّ [٦]. ويقول البوطي "فالجهاد ٱلقتاليّ الَّذي شُرِّعَ لدى اسْتقرار المسلمين في المدينة، إنما شُرِّع دفاعًا عن هذه الحقوق الثَّلاث: الأرض الّتي أورثهم الله إيَّاها، والجماعة المسـلمة الّتي تَرْسُــخُ فوق تلك الأرض، والنِّظام السُّـلطويّ الّذي أعطى تلك الجماعة القوَّة والفاعليَّة" [٦٣].

ويرى البوطي أنَّ الإشكال القائم في فَهْمِ الجهاد اليوم، إنَّما يقوم في الأساس على إشكالٍ في الدَّعوة، فالدَّعوة الّتي تفهمها وتمارســها أكثر الجماعات الاســلاميَّة "تتمثَّل في أنشــطةٍ في مناقشـاتٍ تدور بينهم حول المُستجدِّ مِن أوضــاع المسلمين، والمشكلات الّتي تطوف بهم، وفي تحليل وتقويم واقع الحكومات والأنظمة القائمة في بلادهم خاصَّــة، وفي البلاد الاســلاميَّة عامَّة، ثمَّ في رسم الخُططِ الّتي تتكفَّل بترسيخ وجودٍ أفضل، وأكثرَ قوَّةٍ لهم، على طريق السَّعي للوصول إلى مناطق الحكم والنُّفوذ، ثمَّ في التَّحرُّك التَّعاونيّ المنظَّم لتنفيذ هذه الخطط بالسُّبل الممكنة". فهذه الأنشطة الّتي يُسَمِّيها أنشطة حركية، لا علاقة لها بالدَّعوة إلى الله.

وَيَأْخُذُ البوطي على حركات الإسـلام السِّياسـيّ الّتي برزت كقوَّةٍ مؤثِّرةٍ في النِّصـف الثَّاني من القرن العشـرين في سـوريا، وفي كثيرٍ من البلاد العربيَّة، إذ بسـببها أصـبح الكثير من النَّاس يعتقدون أنَّ الإسـلام ما هو إلا أنظمة وشـرائع فوقيَّة. والسَّـبب في ذلك الاعتقاد، أنَّ الإسـلاميّين الحزبيِّين إنَّما يُرَكِّزون في الإســـلام عند الحديث عنـه، على أنظمتـه وأحكـامـه الإجتمـاعيَّة والاقتصــــاديَّة التَّطبيقيَّة ويُوَجِّهون طاقاتهم كلّها إلى العمل على إزاحة الأنظمة والأحكام القائمة بالمقاومة والعنف، فَتُرَسِّــخ هذه التَّصــرُّفات، أنَّ الإســلام هو مجموعة القوانين القاضــية بإقامة الحدود. واعْتبر البوطي أنَّ الدَّعوة إلى تزكية النَّفس جاءت قبل الحديث عن الأحكام والأنظمة والتَّعريف بها والدَّعوة إليها. والحكمة من هذه الأســبقيَّة أنَّ الإنســان لا يتهيَّأ لقبول شــرائع الله

٢- البوطي، **السلم في الإسلام مصدره وضماناته**، جامعة دمشق، كلية الشَّريعة، مجلة دراسات إسلامية، العدد ١٥، ٢٠٠٩.

٢- هشا م عليو ن وفادي الغوش، **البوطي الدَّعوة والجهاد والإسلام السياسي**، الطبعةلأ ولى، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيـ وت، ٢٠١٢،ص ١٠٧+١٠٨.

٢- البوطي، **الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه؟**، مرجع سابق، ص ٧٩.

٢- المرجع نفسه، ص ٤٣

وأحكامه والتَّقيُّد بها، إلا بعد أن يتيَّقن بأنَّ هذه الشَّـــريعة آتية من عند الله، فالأهمّ هو الإســـلام الإعتقاديّ والتَّربويّ. كما تصـــدَّى البوطي لمقولات الجماعات الجهاديَّة المعاصـــرة الّتي تتوسَّـل العنف لإحداث التَّغيير بالقوَّة، فتتَّخذ من بعض الفتاوى ســـبيلًا لتحقيق أغراضـــها، مثل تكفير الحكَّام وأعوانهم توطئةً للخروج عليهم، واستخدام السِّلاح ضدَّهم [٥].

وبذلك فقد عُرف البوطي باتِّجاهه المحافظ في المؤســـســـة الدِّينيَّة، وقد عُيِّن في العام ٢٠٠٨ كداعيةٍ ومديرٍ للجامع الأمويّ "كما عُيِّن على رأس اللَّجنة المكلَّفة بإصـــلاح برامج المدارس الدِّينيَّة، وكرئيسٍ لمعهدين عالِيَيْن أنْشَـأَتْهما الدَّولة لتدريب العلماء" [٦]. ومن خلال تَقَبُّل النِّظام للبوطي، نلاحظ أنَّ النِّظام، يُفضِّـل التَّعامل مع علماء محافظين وموالين له، عِوَضًـا عن الإصـلاحيِّين المعارضـين. وفي أوائل التِّسعينات أُسِّسَت "معاهد الأسد للقرآن الكريم في سوريا" وَأَراد النِّظام من خلالها توجيه رسـالةٍ إلى المسـلمين، بأنَّه لا يُعارض الدِّين الإسـلاميّ، والدَّعوة السِّلمية، على الرَّغم من علمانيَّة الدَّولة.

المطلب الثالث: إرهاصات الأزمة السُّوريَّة ٢٠١١

منذ إعلان استقلال سوريا، توجَّهت الأنظار الإقليميَّة والدُّوليّة إليها طمعًا بها، وذلك نظرًا للموقع الجيو-سياسـيّ المُميَّز الّذي تحتلّه، ونظرًا لثّرواتها الطَّبيعية المتنوِّعة أيضًـا، ممَّا يجعلها محطَّ أنظار الكثيرين. وكانت محاولة عبد النَّاصـر أُوْلى المحاولات الّتي استطاعت النَّجاح فيه بشكل مؤقَّت، وذلك عندما انْضمَّت سوريا إلى الجمهوريَّة العربيَّة المُتَّحِدة بقيادة عبد الناصر منذ ١٩٥٨ وحتّى ١٩٦١. ثمَّ تواصَـلَت المحاولات من قِبَلِ الأُردن والعراق، إلا أنَّ سـوريا في النِّهاية اسْـتقرَّت تحت حكم البعث، وأصـبحت قوَّة إقليميَّة لا يُسـتهان بها. وكان من عوامل قُوَّتها أنَّها تميَّزت باسْتقلاليتها الإقتصـاديَّة، إذ توجَّهت نحو اقْتصـادٍ اشتراكيٍّ مُوَجَّه، ونحو القوميَّة العربيَّة، ونحو نظام الحزب الواحد. أمام هذا المشـهد، وأمام التَّطوُّرات الّتي عصـفت بالمنطقة منذ العام ٢٠٠٩، إنفجر الوضع الدَّاخليّ في سوريا في ربيع ٢٠١١، إنفجارًا رافَقَه دعمًا إقليميًا ودوليًّا.

ونعود قليلاً إلى المواجهات العنيفة الّتي حصـلت بين السُّـلطة الحاكمة وبين الإسـلاميّين، خصوصًا في حماة، والّتي أثَّرَت على الطَّبقة الّتي كانت حاضنة لتلك الحركات الاسلاميَّة، وهي الطَّبقة الوسطى، بشكلٍ سلبيّ. كما أنَّ تساهل الدَّولة السُّوريَّة منذ منتصف التِّسعينات بالأمور

٢- هشا م عليو ن وفادي الغوش، **البوطي الدَّعوة والجهاد والإسلام السياسي**، ص ٢٤ + ١٣٣.

٢- توماس بيريه، **مكونات الإسلام السِّياسيّ في سورية: المصلحون السياسيون العلماء والديمقراطية**، مرجع سابق، ص ٢٥.

المتعلّقة بالعمل الدّعويّ الإسلاميّ، قد أدّى إلى اسْتغلال تلك الطّبقة عبر نشر توجيهاتٍ معاديةٍ للسُّلطة، ومُحَرّضِـةً ضدّها بانْتظار اللّحظة المناسبة للإنقضاض عليها. ولا شكَّ بأنَّ تمويل تلك الجهات الإسـلاميَّة المحرّضـة، كان يسـتند إلى الدَّعم الخارجيّ، الّذي يجد من مصـلحته تدمير سوريا.

ولا يخفى أنَّ الولايات المتَّحدة الأميركيَّة كانت قد هاجمت الأنظمة الاســتبداديَّة، وتحدَّثت عن دعم الإصلاح في الشَّرق الأوسط قبل أحداث أيلول ٢٠٠١، وأيضًا قبل غزوها للعراق، كما تناولت تغيير وجه منطقة الشَّـرق الأوسـط. وكانت الولايات المتَّحدة الأميركيَّة أيضًـا قد أَعْرَبت أكثر من مرَّةٍ عن اسْتيائها من سياسات سوريا الدَّاعمة للفصائل الفلسطينيَّة، والدَّاعمة لحزب الله في لبنان، والّتي تقف إلى صـفّ إيران، والّتي تتدخَّل في العراق، وذلك كلّه يقع ضـدَّ المصـالح الأميركيّة في المنطقة. وليس ببعيدٍ عن السِّياسة الأميركيَّة، التَّدخُّل في سوريا من خلال اسْتغلال جماعاتٍ عانت من النِّظام، وإن كانت تلك الجماعات أُصُوليَّة. ولا نغفل هنا عن مشاركة أطرافٍ أُخرى لها مصـالح وأطماع، إن كان بثروات سـوريا، أم بالتَّخلُّص من سـياسـاتها. فقد كان للدُّول الخليجيَّة دورًا سياسيًا ولوجستيًا وماليًا وإعلاميًا مباشرًا وغير مباشر، وسرّي وعلني، للسَّيطرة على سوريا ووضعها إلى جانبها ضمن المعادلة الدُّوليّة[٧] .

لقد مرَّت سـوريا بأزماتٍ عديدةٍ في تاريخها المعاصـر، لكنَّ أيًّا منها لم يكن بمنزلة الحدث السُّوري في ربيع ٢٠١١، فقد تعرَّض المجتمع إلى "خضَّـةٍ عنيفةٍ هو زلزال أو انْفجار بكلّ معنى الكلمة، تحت تأثير العنف والدَّمار، والإنقســـام الطائفيّ، والمداخلات الدُّوليّة الخارجيَّة المتعدّدة الأشكال والوجوه"[٨] . إذ بعد ثورات تونس ومصـر، والإطاحة بحكَّام تلك البلاد، خرجت مظاهرة في دمشق أمام وزارة الدَّاخليَّة، قُمِعَت من قِبَل رجال الأمن. وكان بالإمكان أن تنتهي هذه الحركة مثل سابقاتها دون شيء يُذكر الآن.

إنَّ الثورات الّتي بدأت في تونس ومصر، واسْتطاعت الإطاحة بالسُّلطة من خلال الضَّغط الشَّعبيّ، لم تَرْدَع المعارضين من السُّوريّين من الإستمرار باحْتجاجاتهم الّتي كانت بدايةً لصراعٍ طويل الأمد في سـوريا. وبالطَّبع كان للإعلام تأثيرٌ كبيرٌ في ذلك الحدث. وحيث انْقسم الإعلام بين موالٍ أو معارضٍ للنِّظام، فقد قام الإعلام الموالي بنشـــر أخبار تُظْهِر عنف المظاهرات،

٢- ويليا مينوغ، ديفد ستبينز، براين فريدريك، عمر الشاهري، **امتداد الصِّراع في سورية: تقييم للعوامل الّتي تساعد وتمنع انتشار العنف**، مؤسسة راند، كاليفورنيا، ٢٠١٤، ص ١.

٢- بدرظ ن علي، **الصِّراع الاجتماعيالسياسي في سياق الثورةالحرب...(عوامل السلم الأهلي والنزاع الأهلي في سوريا)**، مركز المجتمع المدني والديمقراطية، سوريا، ٢٠١٣، ص ٨٦

وعدم سلميَّتها. أمَّا الإعلام المعارض، فقد نَشَرَ بالمقابل وسائلَ وحشيَّة، تعامَل بها النِّظام مع الإحتجاجات السِّلميَّة. وبالطَّبع مع مرور الوقت، إنزلقت الإضطرابات لتتحوَّل إلى نوعٍ من الحرب الأهليَّة، ومع احْتدام الصِّراع من خلال المواجهة مع الجماعات التَّكفيريَّة، إختلف مضمون المشاهد الإعلاميَّة، لكنَّ الجوهر بقي ذاته. وتجدر الإشارة إلى أهمية نوع ثالثٍ من الإعلام، كان له أثرٌ بالغٌ في تأجيج المشاعر الدِّينية دعمًا للجهات المعارضة، وهو الإعلام الدِّينيّ، فقد انْتشرت القنوات الدِّينيَّة الفضائيَّة "انتْشارًا واسعًا، وقد أدَّت دورًا كبيرًا عبر التَّأثير على الفقراء والطَّبقات المُهَمَّشة الّتي أصبحت لاحقًا وقود الحرب" [٩]. ولا يخفى أنَّ تمويل القنوات الدِّينيَّة المذكورة، يحتاج إلى دعمٍ كبيرٍ لا تملكه الحركات الاسلاميَّة السُّوريَّة ما لم يلَق مساعدة من جهاتٍ خارجيَّة.

ولكنَّ المعارضة السُّوريَّة لا تتوقف على الحركات الاسلاميَّة فقط، فهناك حركات عِلمانيَّة كانت تُطالب عبر حركات المجتمع المدني، الّتي تأسَّست بعد اسْتلام بشَّار الأسد، بمجموعة إصلاحاتٍ كبيرةٍ وبإجراء إنتخابات حُرَّة، كما أنَّ بعضها شارك الإخوان المسلمين طروحاتهم ابْتداءَ من العام ٢٠٠٤. إلا أنَّ مجريات الأحداث بعد اندلاع الأزمة السُّوريَّة، كان بارزًا فيها أَسْلَمَة الثَّورة، والمقصود بِأَسْلَمَة الثَّورة "يتخطَّى دَوْرَ التَّدُيُّن في قرار المشاركين بالخروج يومًا بعد يوم، إلى تشكيل أيديولوجيا ناظمة لمعارف النَّسَق الإجتماعي الثَّوري (أي أسباب الثَّورة، تاريخها، تصوّرها ورموزها)، فإن سيرورة تشكيل هذه الأيديولوجيا بدأت قبل الثَّورة بِعَقْدٍ أو أكثر، واسْتمرَّت خلالها بخطىً حثيثة، وَأَصْبحت واضحة مع العام ٢٠١٣" [١٠]. ويَعْتَقد المؤمنين بهذه الأيْديولوجيا المتمثِّلة بالإسلام السياسيّ، بأنَّه يجب تطبيق الشَّريعة الاسلاميَّة في دولة إسلاميَّةٍ ولو باسِتخدام القوَّة كما كان مُطَبَّقًا في عهد النَّبيّ محمَّد منذ ١٤٠٠ عام. وهذه الأفكار قد بدأ بالتَّنظير لها أبو الأعلى المودودي في القرن التَّاسع عشر، وتُرجِمت بشكلٍ عَمَلِيٍّ في أوضح أشكاله في القرن الواحد والعشرين، وتحديدًا في سوريا.

إذًا، كان جو التَّديُّن الإسلامي السِّياسيّ الملتزم هو المسيطر على السَّاحات خلال المظاهرات، مع شِبْه غيابٍ للمعارضةِ العلمانيَّة الّتي كانت تُطالب بالدِّيمقراطيَّة والتَّعدديَّة والإنتخابات الحرَّة. ومع نهاية عام ٢٠١١، لم تَعُد الثَّورة سِلْمِيَّة، وفي ذلك الوقت تَشَكَّل "الجيش السُّوري الحر" وظهر إلى الإعلام بطريقةٍ "مليئةٍ بالرُّموز المُوجَّهة إلى المشاهدين، سواء كانوا

---

[٩] ناريط ن عامر، **سوريا: فيما يؤجج سلمها ويطفئ عنفها...عوامل السلم الأهلي والنزاع الأهلي في سوريا**، مركز المجتمع المدني والديمقراطية في سوريا، ٢٠١٣،ص ٦٧

[١٠] أحمد نظير الأتاسي، **التدين الإسلامي والثورة السُّوريَّة من منظور نفسي-اجتماعي: التدين الإسلامي في سوريا** ٢، معهد العالم للدراسات، ٢٠١٧، ص ٢

سـوريّين معارِضـين أو داعمين من دولٍ مختلفة... الرّسـالة موجَّهة للمشـاهدين المعارضـين وللجيش السُّوري الرسمي، نتشابه باللِّباس والعِدَّة والمِهَنِيَّة لكنَّنا نختلف بالشَّرعية، وإن كنَّا فئةً صغيرةً وقليلةَ العِتاد فإنَّنا سنغلِب الفئةَ الكبيرة بإذن الله" . وبالطَّبع يتمُّ تبرير القتل أثناء الجهاد بالإستشهاد، من خلال آياتٍ قرآنيَّةٍ وأحاديث عن السَّلف الصَّالح، تُحَبِّب المُقاتل بأن يُقْتَل. وجديرٌ بالذِّكر، أنَّ كلَّ المشاهد الّتي كانت تُقَدَّم عن الجهاديِّين، كانت تُقَدَّم بصورةٍ تُوحي باسْتعادة نَمَط حياة السَّلف الصَّالح، من لباسٍ وشَعْرٍ طويلٍ ولِحيَةٍ شعثاءَ، وحملٍ للسَّيف أو السِّكين، ومن كلامٍ بالفُصحى، إضافةً إلى أمورٍ أُخرى. وقد كان لقناةِ الجزيرة الإخباريَّة التَّابعة لدولة قطر، دورًا في نَقْل هذه الصُّوَرِ الّتي إذا دلَّت على شيء، إنَّما تدلُّ على تحفيز الوعي الشَّعبيّ السُّوريّ بالعودة إلى الماضي، وتحقيق التَّديُّن الإسلاميّ السِّياسيّ المُلتزم.

لذلك يمكن القول، إن السُّلطة السِّياسيَّة في سوريا قد تأثَّرت بالصِّراع على السُّلطة من جهة، وبالطَّائفيَّة والمذهبيَّة والأصوليَّة الإسلاميَّة من جهةٍ أُخرى، حيث رأى الّذين تزعّموا الحركات السِّياسيَّة الاسلاميَّة، أنَّ العلويّين ليسوا بمسلمين، وكفَّروهم، وبالتَّالي اسْتباحوا دَمَهم ومالهم وأعراضهم، ووقفوا في جبهةٍ ضدَّ حزب البعث، الّذي اعْتمد بشكلٍ أساسيٍّ على المسلمين السُّنَّة المعتدلين، الّذين يَسكنون المدن، ولهم مصالح مع النِّظام، كما وَقَفَ بقوَّةٍ بوجه الحركات السِّياسيَّة الاسلاميَّة الّتي مارست العنف ضدَّ النِّظام.

تحت وطأة تلك الظُّروف، صار المواطن السُّوري يَحرِصُ على مصلحته الشَّخصيَّة، ويَعْتَبر نفسه غير معنيًّا بالعمل السِّياسيّ، إضافةً إلى نظرته للسُّلطة القائمة كَمُسَلَّمةٍ أبديَّة. وقد اسْتمرَّ الأمر على هذا الحال، إلى أن بدأَت أحداث "الرَّبيع العربيّ، الّتي وَجَدَت المعارضة السُّوريَّة من خلالها الطريقة الأفضل للتَّعبير عن معارضتها للوضع القائم في سوريا، ورَغم تعدُّد خلفيَّات المجموعات المعارِضة، إلا أنَّ المعارضة الّتي تحمل طابع "الاسلاميَّة" هي الّتي احتلَّت مركز الصَّدارة في مشهد الإنقلاب.

٢- أحمد نظير الأتاسي، **التدين الإسلامي والثورة السُّوريَّة من منظور نفسي-اجتماعي: التدين الإسلامي في سوريا** ٢، مرجع سابق، ص.ص ٨ ٩.

القسم الثاني: حركات الإسلام السِّياسيّ والصِّراع في سوريا

كانت قضيَّة جعْل الشَّريعة الاسلاميَّة المَصدر الرَّئيسيّ للتَّشريع، مِن أبرز المسائل الّتي دارت حولَها حوارات، بهدف إدراجها ضمن دساتير البلاد الّتي أطاحت فيها الثَّورات بأنظمة الحكم السَّابقة، ولكن لم يُطَبَّق هذا الأمر بِحُجَّة أنَّ الشَّريعة ليست قانونًا، ولا تتعلَّق الشَّريعة بنظامٍ سياسيّ، إنَّما هي متحقِّقة في المجتمع الإسلاميّ. ونجدُ في وثيقة الإخوان المسلمين في سوريا، المُعَنْونَة "عهد وميثاق" الّتي أُعْلِنَت في آذار ٢٠١٢، أنَّها لم تُشَدِّد على أن تكون الشَّريعة مصدرًا أساسيًّا للتَّشريع، وكانت رُؤاهم لا تُعارض الرُّؤية الدِّيمقراطيَّة. ولكن لم يكن للإخوان المسلمين أيّ حضورٍ بارزٍ خلال الأزمة السُّوريَّة. أمَّا السَّلفيّين، فقد كان لهم موقِفًا رافضًا لذلك الخِطاب، فمبدأ الدِّيمقراطيَّة يُعطي الشَّعب حقّ التَّشريع، في حين يجب أن يَعود التَّشريع إلى الله وحده. كما ويوجد بعض السَّلفيّين في سوريا الّذين تَقَبَّلوا مسائل مثل المشاركة في الإنتخابات، أو الدُّخول في تحالفاتٍ وِفقًا لمبدأ "المُضْطَرّ" وليس اقْتناعًا بتلك الممارسات، لأنَّ السِّياسة عند السَّلفيّين هي وسيلةٌ وليست غاية. ولكن لم يكن للإخوان المسلمين أيّ حضورٍ بارزٍ في الأزمة السُّوريَّة.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ بلدًا من بُلدان ثورات "الرَّبيع العربيّ" لم يحظَ بما حظيت به سوريا من تسليط أضواءٍ إعلاميَّةٍ عليها، حيث شَكَّل العمل الإعلاميّ، إحدى الرَّكائز الهامَّة في إستراتيجيَّة التَّنظيمات الاسلاميَّة الأكثرَ حضورًا. كما وتجدر الإشارة أيضًا إلى حجم التَّدخُّلات الخارجيَّة الّتي حصلت، والّتي أدَّت إلى دخول أطراف فاعلين جُدُد. ومع مرور السُّنون، تحوَّلت وتبدَّلَت المواقف الدُّوليَّة والإقليميَّة من التَّنظيمات الاسلاميَّة في سوريا، وذلك في سبيل إيجاد تسويةٍ مُلائمةٍ لِحَلِّ الأزمة القائمة.

سنعالج في هذا القسم فَصلين، نتطرَّق في أوَّل فصلٍ منه إلى دور أبرز فصائل الإسلام السِّياسيّ، الّتي كان لها دورًا فاعلًا في الأزمة السُّوريَّة سياسيًّا وعسكريًّا. ومن ثَمَّ سنُلقي الضَّوء على الدَّور الَّذي لَعِبَته وسائل الإعلام، خلال الأزمة، وكيفيَّة تأثير إعلام التَّنظيمات الجهاديَّة فيها. أمَّا في الفصل الثاني، فسنتناول المواقف والتَّدخُّلات الخارجيَّة في الأزمة السُّوريَّة، إضافةً إلى مستقبل التَّسوية السِّياسيَّة.

الفصل الثالث: دور التَّيارات والفصائل الاسلاميَّة في الحرب السُّوريَّة (سياسيًّا، عسكريًّا، إعلاميًّا)

مع صــعود الإســلاميّين المُتشـدِّدين، المُتأثِّرين بفكر أبي الأعلى المَوْدودي وسـيِّد قطب، الَّذَين وَصَلَت السَّلفيَّة الجهاديَّة معهما إلى ذروتها في صياغتها الجديدة، وذلك بعد التَّفاعل بين التَّيارين الوهَّابيّ والقِطبيّ، "مِمَّا أدَّى إلى ظهورِ معادلةٍ تُمَثِّل مُثَلَّث الصِّــراع العَقَدِيْ–العَمَلِيّ، وهي: كُفر الأنظمة، وجاهليَّة المجتمع، والجهاد ســبيلًا وحيدًا للتَّغيير" [٢]. فمع ظُهُور أولئك الإســلاميِّين، إعْتبروا أنَّ المجتمع السُّــوري مجتمعٌ جاهليّ، وأنَّهم هم الفئة النَّاجية، وغيرهم دون ذلك، وأنَّ الجهاد واجبٌ عينيٌّ لتحرير المجتمع من جاهليَّته. فَتَميَّزت معهم السَّلفيَّة الجهاديَّة عن غيرها من السَّلفيَّات، بإعلانِها الواضــح، بأنَّ الطَّريق الوحيد للتَّغيير يكمن في الجهاد المُسلَّح، رافضـةً أيَّ طريقٍ آخرٍ لإقامة نظام الخلافة الاسلاميَّة. فما هي أبرز التَّنظيمات الإسلاميَّة الّتي شــاركت في الأزمة السُّــوريَّة؟ وكيف أثَّرَت في الأحداث منذ بدايتها على الصُّــعُد السِّــياســيَّة والعسكريَّة والإعلاميَّة؟

المبحث الأول: فصائل الإسلام السِّياسيّ والحرب في سوريا: الخلفيَّة الفكريَّة، التَّنظيم السِّياسيّ والعسكريّ

قَبْل الخوض في فصـائل الإسـلام السِّـياسـيّ الّتي شـاركت في الحرب السُّـوريَّة، لا بُدَّ من المرور بدايةً على تنظيم القاعدة، وما أصابه بعد مقتل مُؤَسِّسِه أُسامة بن لادن عام ٢٠١١، أي تزامنًا مع انْدلاع ثورات "الرَّبيع العربيّ"، فمعظم أســماء الجماعات الجهاديَّة الّتي سَــتَرِدُ لاحقًا، هي من مُتَفرعَّات تنظيم القاعدة.

أَسَّــسَ أســامة بن لادن عام ١٩٨٩، تنظيم القاعدة مُتأثِّرًا بأفكار عبد الله عزَّام الجهاديَّة، وتمَّ إنشاء القاعدة "بِوصفها منظمةٌ رسميَّةٌ مُكَرَّسةٌ للجهاد لِنُصرة الإسلام في أنحاء العالم، وكان ذلك نقطةَ تَحَوُّلٍ للحركةِ السَّـلفيَّة الجهاديَّة، فقد رُبِطَت أَهْدافًا عالميَّة مع أهدافٍ وطنيَّةٍ لِمُنظَّماتٍ محليَّة" [٢]. والغاية من ذلك بحسب القائمين على تنظيم القاعدة، هي إعادة الإسلام الحقيقيّ إلى

٢– محمَّد مرتضى، **صناعة التوحش**، مرجع سابق، ص ٢٥.

٢– كاثرين زيمرمان، **تنظيم القاعدة عدو أميركا الأصلي**، ترجمة وليد زكريا، معهد المشاريع الأميركية، ٢٠١٧، ص ١٨.

https://www.criticalthreats.org/wp-content/uploads/2017/07/Zimmerman_Americas-Real-Enemy-The-Salafi-Jihadi-Movement.pdf

العالم الإســـــلاميّ، وَيَلعب تنظيم القاعدة دَوْرَه من خلال "شَـــنِّ هجماتٍ خارجيَّةٍ لإجبار الدُّول الغربيَّة، وبِصــورةٍ رئيسةٍ الولايات المتَّحدة الأميركيَّة، على الإنسحاب من أراضـي المسلمين" . واسْـتطاع التَّنظيم أن يحصِـد دَعْمًا شـعبيًّا كبيرًا في فترةٍ زمنيَّةٍ قليلة، ولكن منذ العام ٢٠٠١ أي منذ هجمات ١١ أيلول، وتزامُنًا مع الغزو الأميركيّ لأفغانســـــتان، بدأ التَّأييدُ الشَّـــعبيّ لتنظيم القاعدة يخفت، ممَّا أدَّى إلى نقصٍ في موارد التَّنظيم التَّمويليَّة.

لقد كانت أوَّلَ رسـالةٍ وجَّهَتْها القاعدة بعد وفاة بن لادن، "لا تُكَلِّف إلا نَفْسَـكْ"، وهي دَعْوةٌ للجهاد الفَرديّ، يكون الرِّهان فيها على الأفراد قبل أن يكون الرِّهان على التَّنظيم. ثُمَّ صَـدَرَ بيانُ القاعدةِ بِتَوْلِيَةِ الظَّواهري القيادة، إلا أنَّ خِلافات نَشَـــبَت داخل التَّنظيم، كانت بداياتها قبل مقتل بن لادن، وذلك منذ العام ٢٠٠٤، عندما عَارَضَ الأخير الممارســـــات الإجراميَّة الّتي كان يقوم بها فرع التَّنظيم العراقيّ بقيادة أبو مصـعب الزّرقاويّ، فلم يَكُن هناك إجماعٌ على بيعة الظَّواهريّ عام ٢٠١١. وكانت الإستخبارات المركزيَّة الأميركيَّة قد كَشَفَت من خلال تقارير صـحافيَّة، عن رسائل عُثِرت في منزل بن لادن، تُشير إلى حجم الخِلافات والإنشقاقات الكبير داخل التَّنظيم . اذًا إسـتمرت الإنشـقاقات إلى أن أصـبحت عَلَنِيَّةً بعد مقتل الزَّرقاوي الّذي كان قد بدأ بتأسـيس دولة العراق الاسلاميَّة وفقًا لتعليمات تنظيم القاعدة، وفي العام ٢٠٠٦ تمَّ الإعلان عن قيام دولة العراق الاسلاميَّة، ولكن لم يكن الإعلان مُنضَويًا تحت مظلَّة تنظيم القاعدة، وقد اسْتلم أبو حمزة المهاجر مكان الزَّرقاويّ، مُمْتَنِعًا عن مبايعة بن لادن، وبعد المُهاجِر إسْـــــتلم قيادة دولة العراق الاسلاميَّة، أبو بكر البغدادي في العام ٢٠١٠، الّذي لم يُبايع بن لادن أيضًا . وهذا يعني بأنَّ تنظيم الدَّولة الاسلاميَّة في العراق لم يَعُدْ تابعًا لتنظيم القاعدة.

وبَعْد الإنتفاضـــــات الشَّـــعبية في بعض البلاد العربيَّة عام ٢٠١٠، وجد تنظيم القاعدة فرصته بالعودة والمشاركة بإسقاط الأنظمة، ولكن بإستراتيجيَّة جديدة تَتَقَبَّل ضمَّ حركاتٍ علمانيَّةٍ وديمقراطيَّة. وَبَدَأَ التَّنظيم يعمل تحت مُسَـمَّياتٍ جديدةٍ مثل "أنصـار الشَّـريعة"، "أنصـار الدِّين" و"جبهة النُّصـرة". أمَّا جبهة النُّصـرة، فهي فرع القاعدة في سوريا، وقد ساعدت في تأسيس لجانٍ شـرعيَّةٍ في المناطق الّتي سـيطرت عليها المعارضــة السُّـوريَّة أثناء الحرب السُّـوريَّة، وقد مَثَّلَت إضـافةً إلى أعضـاء جبهة النُّصرة، فصـائل محليَّةً سوريَّة . فبعد أن شهد الصِّراع على السَّاحة

٢- كاثرين زيمرط ن، **تنظيم القاعدة عدو أميركا الأصلي**، مرجع سابق، ص ٢٣.

٢- محمَّد مرتضى، **صناعة التوحش**، مرجع سابق، انظر ص ٥٣ + ١٥٨.

٢- تشارلز ليستر، **التنافس الجهادي: الدَّولة الاسلاميَّة تتحدى تنظيم القاعدة**، دراسة تحليلية صادرة عن مركز رد وكنجز لا وحة، رقم ١٦، كانو ن الثاني ٢٠١٦، ص ٤

٢- كاثرين زيمرط ن، **تنظيم القاعدة عدو أميركا الأصلي**، مرجع سابق، ص ٣٤

السُّـوريَّة تغيُّراتٍ في مسـارها باتِّجاه الكفاح المُسَـلَّح، توافَرَت مُعطياتٌ تسـمح بدخول الجماعات الجهاديَّة المتشـدِّدة على خطِّ الصِّـراع، وتُعطي شرعيةً لوجودها ضـمن صـفوف المحتجِّين ضـدَّ السُّـلطة. ومِن أبرز تلك المعطيات، تحريضُ المحتجِّين على حمل السِّـلاح، إضـافةً إلى البيئة الدُّوليَّة الّتي غضَّت الطَّرْفَ عن هذا التَّوجُّه في مسار الصِّراع السِّياسيّ. وتَزَامَنَ ذلك مع دعواتٍ لإعلان الجهاد منذ بداية العام ٢٠١٢، إســـتغلَّتها الجماعات السَّـــلفيَّة والجهاديَّة كي تَظْهَرَ وَتَقْوَى . وسنذكر فيما يلي سياساتُ أبرز تلك الجماعات. [٧] [٢]

المطلب الأول: التَّنظيمات الّتي برزت من عام٢٠١١ حتَّى عام ٢٠١٢

مُنذ انْدلاع الشَّـرارةِ الأولى للإنتفاضـــات الشَّـعبية في سـوريا، بدأت التَّنظيمات بِالتَّجمُّع، وتَحَوَّلت إلى معارضةٍ مسلَّحة، ومن ثمَّ أصبح بعضها فيما بعد تنظيماتٌ إرهابيَّة.

1- حركة أحرار الشَّام أُولَى حركات المعارضة السُّوريَّة

تُعتَبَر حركة أحرار الشَّام، من أقدم الجماعات المُسَلَّحة الّتي عَمِلت في سوريا منذ انْطلاق الأزمة فيها، حيث أُعْلِنَ عن تأسـيســها في تشــرين الثَّاني ٢٠١١. وعلى الرَّغم من أن الحركة وجَّهَت إنْتقادات متفرِّقة نحو تنظيم القاعدة، إلا أنَّها تحالَفَت مع جبهة النُّصـــرة، كما أنَّها انْتقدت داعش، وَدَخَلَت في قتالٍ معه في أكثر من مناســـبة، إلا أنَّ ذلك لم يمنعها من التَّعامل معه في إدارة المعابر الّتي كانت تُسَـيْطِر عليها للحصـول على المال في إدلب، وخاصَّـةً المُشـتركة مع تركيًا. وَتَتَبَنَّى هذه الحركة الفكر السَّـلفيّ كمرجعيَّةٍ لها. وقد نَشَـأَت عن طريق الإتِّحاد بين أربع فصـائل إسـلاميَّةٍ سوريَّةٍ هي "كتائب أحرار الشَّـام" و"حركة الفجر الاسـلاميَّة" و"جماعة الطَّليعة الاسـلاميَّة" و"كتائب الإيمان المُقاتلة". وعلى الرَّغم مِن أنَّها أكَّدَت اسْـتقلاليَّتَها، لكنَّها لم تسـتطع إخفاء ارْتباطاتها الإقليميَّة المُتَشَّـعِّبة بين تركيّا وقطر. أمَّا مؤسِّـس الحركة، فهو حسَّـان عبود، المُلَقَّب بأبو عبد الله الحَمَوِيّ، وقد كانت الحركة في بدايتها تَنْشُـــطُ في المجال الدَّعَوِيّ وَنَشْـــر الفِكر السَّـلفيْ. ثُمَّ عمِلت على التَّوسُّـع تدريجيًّا، ما جَعَلَها تُسَيْطر على مسـاحاتٍ شـاسـعة، في محافظات إدلب وحلب وحماة. إلا أنَّها ما لَبِثَت أن اصْـطدمت بتنظيم داعش. ولكنَّها عادت إلى الواجهة بعد التَّحالُف مع قوى مسلَّحة أُخرى، شكَّلَت من خلالها "جيش الفتح الإسلاميّ" .

٢- حمزة المصطفى، **جبهة النصرة لأهل الشام: من التأسيس إلى الانقسام"، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات**، مجلة سياسيّات عربية، العدد ٥، نوفمبر ٢٠١٣، ص ٦٧.

٢- محمَّد مرتضى، **صناعة التوحش**، مرجع سابق، ص ٨٤+ ١٨٦.

وكان موقف الحركة في العام ٢٠١٣ من إعلان البغدادي عن الدَّولة الاسـلاميَّة، بأنَّ هذه الخُطوة تُمَثِّلُ ابْتعادًا عن أولويَّة إسقاط النِّظام السُّوريّ، الّتي لا شيء بعد الإيمان أوجب منها ولا شــيء يُقَدَّمُ عليها. وكان هذا الموقف بدايةَ خِلافٍ جذريٍّ بين "أحرار الشَّــام" و"داعش". واتَّخَذَت الحركة بعد ذلك منحىً أكثر إنفتاحا. ففي أيَّار ٢٠١٤، قامت بإطلاق "ميثاقِ الشَّـــرف الثَّوريّ" الّذي وقَّعَت عليه مجموعةٌ من الفصـــائل المُعارضـــة المُقاتلة ضِـدَّ النِّظام في سـوريا، وَعُدَّ هذا الميثاق نقلةً مهمَّة، وتمَّ وَضْــــع خطَّة مُوحَّدة للتَّغيير وإســـقاط النِّظام، ونادى بإقامة دولة العدل والقـانون والحُريَّـات والأمن للمجتمع السُّــــوريّ بِنَسِـــيجـه الإجتمـاعيّ المُتَنوِّع، واحْترام حقوق الإنسـان[٢]. وقد لَخَّصَـت حركة أحرار الشَّـام أهدافها بأمرين: إسـقاطُ النِّظام الأسَدِيّ في سـوريا إسقاطًا كاملًا، وبناء دولةٍ إسلاميَّة.

وعلى الرغم من إنكارها لوجود مســلَّحين أجانب في صـــفوفها، إلا أنَّ العديد من التَّقارير المَيْدانيَّة أَكَّدت وجود أعدادٍ لا بأس بها في صفوف الحركة. وَتُشير تقاريرَ إلى أنَّ طبيعة الحركة جَعَلَتْها تَحْظَى بِدَعْمٍ وتمويلِ عددٍ كبيرٍ من الأثرياء الحاضـــنين للفكر السَّـــلفيّ. كما واشْـــتملت إســتراتيجيَّة الحركة العســكريَّة على مهاجمة القِطَع العســكريَّة الغنيَّة واغْتنام أسـلحتها. وقد مثَّل السَّطْو على أماكن المخصَّصـات الماليَّة، وعلى بعض المصـارف السُّوريَّة، أحد موارد الحركة. إضـافة إلى سياسـة السَّيطرة على المعابر الحدوديَّة الّتي اعْتمَدَتْها كمصـدرٍ أسـاسيٍّ من مصـادر التَّمويل. ويُضــــاف إلى ذلك، التَّبرُّعات الّتي قدَّمَتْها لها بعض الهيئات، مثل الهيئة الشَّـــعبيَّة الكويتيَّة، إضــــافةً إلى دعمٍ قَطَرِيٍّ وتُركيّ، فضــلًا عن الحصـــول على دعم "صـــندوق الإغاثة والمساعدات الإنسانيَّة". وعلى الصَّعيد العسكريّ، خاضت الحركة العديد من المعارك كــ"معركة القادســـيَّة الثَّانيَّة" الّتي اسْـــتهدَفت مطار تفتناز العســـكريّ في آب ٢٠١٢، وفي كانون الثَّاني ٢٠١٢ تَمَكَّنَت الحركة بمشـاركة عناصـر من "جبهة النُّصـرة" و"لواء صـقور الشَّـام" من السَّـيطرة على مطار تفتناز العسكريّ بالكامل. وقد كانت حركة أحرار الشَّـام تُعلن باسْـتمرار، بأنَّها تسـعى لإقامة دولةٍ إســلاميَّة، وأنَّ أسـلوبها للتَّغيير في سـوريا هو القوَّة والسِّــلاح حصـرًا، ولم تَعْترِف بجدوى التَّغيير بغير القوَّة، وهو عَيْنُ ما يتبنَّاه الفكر السَّلفيّ الجهاديّ[١].

٢- إعداد الدراسات الاجتماعية، **الحركات السَّلفيَّة والقتالية ١**، **"حركة أحرار الشام، التحولات الهيكلية والسياسية الراهنة"**، الطبعة الأولى، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، لبنان، العدد الخامس، كانون الأول ٢٠١٧، ص ٢-٣

٢- محمَّد مرتضى، **صناعة التوحش**، مرجع سابق، ص ٨٦-١٨٨.

2- حركة نور الدّين الزّنكي

تنتمي الحركة رسميًّا إلى الجيش السُّوري الحرّ، وقد بَدَأَت نواتها بالظُّهور المسلَّح في بلدة "قبتان الجبل"، الواقعة في ريف حلب الغربيّ، في تشـرين الثَّاني من العام ٢٠١١، وعُرفت بدايةً بمجموعة "توفيق شـهاب الدّين"، نِسْـبَةً إلى مؤسِّـسـها السَّـلفيّ المعروف بميوله التَّكفيريَّة. وَتُعَدُّ الحركة من أوائل المُنضـمِّين لمجلس قيادة الثَّورة السُّـوريَّة، كمَّا أنَّها من أوائل الفصـائل المسلَّحة حصـولًا على السِّـلاح ما جعلها الأكثر تسليحًا في مدينة حلب . وبعد انْضـمام المجموعة[٢] إلى عدَّة جماعاتٍ مسـلَّحة، تَحَوَّلت في أيار ٢٠١٤ إلى حركة مسـلَّحة ذات بُنْيَةٍ تنظيميَّةٍ قويَّةٍ ومُسْـتقلَّة، وأَعْلَنَت عن تغيير اسْـمها في بيانٍ رسـميٍّ إلى "حركة نور الدِّين الزّنكي". وَحَوْلَ مصـادر تمويلها، فَقَدْ رجَّح مراقبون، أنَّ الحركة تحصـل على دعمٍ ماليٍّ من الولايات المتَّحدة الأميركيَّة ومن تركيَّا ، فالحركة تملك علاقات[٢] وثيقة مع تركيّا، وقد وسَّـعَت علاقاتها مع مقاتلين تركمان من شـمال مدينة حلب، واندمجت مع مجموعةٍ محليَّةٍ من التُّركمان السُّـوريّين، وقامت سريعًا بتنصيب قائدٍ تُركمانيٍّ عليها في الخامس عشر من شهر تشرين الثَّاني من العام ٢٠١٥ .

تتألَّف حركة "نور الدِّين الزّنكي" من قائدٍ عامٍّ ومجلس شُورى، ومن قائدٍ عسكريٍّ ومسؤولٍ أمنيٍّ وشُـرْطَةٍ ورئيسِ مكتبٍ سـياسـيٍّ وشـرعيٍّ خاصّ، وقادةٍ مَيْدانيّين، ومكاتب وأجهزة أخرى عسـكريَّة ومدنيَّة، كما هو حال الفصـائل المسلَّحة الأُخرى الأسـاسـيَّة . وإضـافةً إلى العمل العسـكريّ للحركة، فقد اهْتمَّت بالعمل المدنيّ أيضًـا، على نحوٍ خاصٍّ ومُنَظَّم، فأَنْشَـأت مكاتب للإعتناء بالأمور المدنيَّة في المناطق الخاضـعة لسـيطرتها، إضـافةً إلى مَهمَّاتٍ مثل الأَمْنِ والقضـاء، كما أَنْشَـأَت منذ تأسيسـها مكتبًا إقتصـاديًّا يُعْنَى بِجَلْبِ التَّمويل لها من المُتبرّعين في الدَّاخل والخارج، من أجل شـراء السِّـلاح، وَدَفْع رواتب المُجَنَّدين، وتوفير المصـالح اللَّازمة

٢- إرم نيوز، **من هي جماعة نور الدين زنكي المتهمة بذبح طفل في حلب؟**، تاريخ النشر: ٩/٧/٢٠١٦. https://www.eremnews.com/news/arab-world/528807.

٢- بوابة الحركات الاسلاميَّة، **"نور الدين زنكي الإرهابية... تتمركز في حلب وتتلقى دعم اميركي تركي"**، تاريخ النشر: السبت ٦/٨/٢٠١٦. https://www.islamist-movements.com/36706.

٢- معهد دراسات الحرب (ISW)، **فصائل المعارضة السُّوريَّة المسلحة**، مركز إدراك للدراسات والاستشارات، تاريخ النشر: ٣/١/٢/٢٠١٦. https://idraksy.net/syrian-armed-opposition-forces-aleppo/

٢- إعداد الدراسات الاجتماعية، **الحركات السَّلفيَّة والقتالية ٦**، **"حركة نور الدين زنكي: الاعتدال المزيف"**، الطبعة الأولى، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، لبنان، العدد السادس، شباط ٢٠١٨، ص ٢.

لمناطقها المُحَرَّرة . وَيُحَدِّد قادة الحركة أهدافها العامَّة بإسقاط النِّظام، وتفكيك الأجهزة الأمنيَّة، وإخراج الميليشيات والقوات الأجنبيَّة من سوريا، وَرَفْضِ التَّقسيم والمُحاصَصة، ووحدة السُّوريّين كَشَعْب، والإقرار بأنَّ الشَّعب السُّوري هو الوحيد المعنيّ بمستقبل سوريا، وبِشَكْل الدَّولة ودستورها وقوانينها .

لقد خاضت جميع الحركات السَّلفيَّة الجهاديَّة في سوريا، سواء الّتي ذكرناها أو غيرها الّتي لم يتَّسع المجال لذكرها، خاضت معارك ضاريةُ مع الجيش السُّوريّ النِّظاميّ وحُلفائِه في المناطق الّتي كانت تُسيطر عليها. وكانت لدى كلٍّ منها بُنيةً تنظيميَّةً هرميَّةً خاصَّةً بها، ولكنَّها كانت مُتَشابهة من حيث التَّركيب. ومِن أهمِّ المسائل الّتي ركَّزت عليها، هي التَّكفير والهجرة والخلافة وإقامة دولة إسلاميَّة تحكم من خلال الشَّريعة الاسلاميَّة. وقد اشْتركت الحركات هذه، بالعمليَّات المُنَافِيَةِ للقوانين، مثل الإبتزاز وفرضِ الخُوَّات وتهديد وإخافة المدنيّين وإذلالهم ومنعهم من الخروج من الأماكن المعرَّضة للخطر، واسْتعمال مواد سامَّة، وتحضير الأطفال والنِّساء كإنتحاريّين للقيام بالعمليَّات الإرهابيَّة، إضافةً إلى ارْتكاب المجازر والتَّنكيل والتَّعذيب، عدا عن عمليَّات التَّهريب والإستيلاء على المؤسَّسات، وعلى الموارد الطَّبيعيَّة في المناطق الّتي سيطرت عليها أو "حرَّرتها" على حدِّ تعبيرها. وكذلك لا يخفى اعْتماد هذه الحركات على مصادر تمويلٍ خارجيَّة، فمنها مَن أَعْلَنَ عن ذلك دون الإفصاح عن الجهات المانحة، مثل حركة نور الدِّين الزّنكي، ومنها من لم يُعلِن بتاتًا، وَيُصِرُّ على أنَّ تمويله يعتمد على متبرِّعين محليّين، وأيضًا على العمليات الّتي تقوم بها. وكثيرًا ما كان يحصل انْدماجٌ بين عددٍ من الفصائل، ومن ثَمَّ انْفصالٌ بينها، وذلك بسبب خِلافاتٍ داخليَّةٍ أغلبها كانت حَوْل تعارض الأيْديولوجيَّات، وحوْل تولِّي القيادة ومركز القرار. وكذلك كان ينشقُّ العديد من المقاتلين من فصائل معيَّنة، لِيَنْضمُّوا إلى فصائل أُخرى، لأسبابٍ عديدةٍ، منها ما هو مادّيّ ومنها ما هو أيديولوجيّ. ورَغم أنَّ الكثير من الفصائل كانت تتصادَمُ في معارك عنيفة، إلا أنَّها كانت تتعاون فيما بينها عندما تقتضي المصلحة ذلك. كما كانت الفصائل بغالبيَّتِها في حالة عِداء مع تنظيم داعش، أمَّا الّتي كانت على وفاق مع التَّنظيم، فقد كانت جزءًا منه ولو تحت مُسَمَّياتٍ أُخرى.

٢- الجزيرة، **كتائب نور الدين الزنكي**، تاريخ النشر: ٤ ٢ ٧ ٢٠١٦، على الرابط:
https://www.aljazeera.net/encyclopedia/movementsandparties/2016/7/24/.

٢- **مقابلة أجراها موقع سوريتنا مع عضو المكتب السِّياسيّ لحركة نور الدين الزنكي بسام مصطفى حجي**، تاريخ النشر: ٨ ٢ ١١ ٢٠١٧. https://our-syria.com/.

3- جبهة النُّصرة لأهل الشام

يعود إسم "جبهة النصـرة لأهل الشـام"، إلى ما أورده أبو مصـعب السُّوري عندما قَدَّم في كتابه، "أهل السُّــنَّة في الشَّــام في مواجهة النَّصــيريَّة والصَّــليبيَّة واليهود"، رؤيته لِمَا يَعْتَبِره كُفْر النِّظام السُّوري بقوله "مِنَ الشَّام المُباركة في مطلع السِّتِّينيَّات كانت بداية انْطلاق الجهاد، وفيها ازْدهرت في الثَّمانينَّات، وإلَيْها تعود اليوم، إن شاء الله، فالنُّصرة النُّصرة يا إخوة الجهاد" . وقد جاء إعلان جبهة النُّصـــرة في بداية العام ٢٠١٢، من قِبَلِ أبو محمَّد الجولانيّ، المســؤول العام عن الجبهة، مُتَجَنِّبًا إعلان التَّبعيَّة لتنظيم القاعدة أو أيّ تنظيمٍ جِهاديٍّ آخر، إذ أَعْلَنَ عن تشكيل جبهة النُّصـــرة لأهل الشَّــام في ســاحات الجهاد، وكانت الجبهة بدايةً عبارة عن ســرايا جهاديَّة تجتمع حول فكرة الجهاد والدَّعوة في ســـوريا، وهدفها مقاومة قوات النِّظام. لذا فقد كانت الجبهة تُطَوِّر البُنْيَة التَّنظيميَّة لهذه السَّــرايا المتشـــابهة في الفكر وفي الأيديولوجيا، وأرادت من خلالها اسْتِقطاب عناصرَ جُدُد لتشكيل جبهة عريضة تكون مقصد المجاهدين في سوريا.

إلا أنَّ المؤسَّس الفعليّ لجبهة النُّصرة، هو أبو بكر البغداديّ، زعيم تنظيم الدَّولة الاسلاميَّة في العراق التَّابع لتنظيم القاعدة، وقد ظَهَرَت تبايُنات الجبهة إلى العلن في ربيع ٢٠١٣، عندما ظهر شريطٌ مُسَجَّلٌ لأبي بكر البغداديّ، مٌعْلِنًا انْدماج "جبهة النُّصرة لأهل الشَّام" و "دولة العراق الاسلاميَّة"، وتأسيس "الدَّولة الاسلاميَّة في العراق والشَّام" أي ما عرف بــــ"داعش"، داعيًا، أي البغداديّ، كلَّ الحركات الجهاديَّة في العراق والشَّــام إلى التَّخلِّي عن أســمائها والإنصـــهار في "داعش". كما أَعْلَنَ فتح الباب أمام الفصائل والعشائر في بلاد الشَّام، للإجتماع على تحكيم شرع الله، وعدم ترك السِّلاح حتى يَحْكُم الشرع. وما كان من الجولاني سوى نَفْي هذا الإعلان ومطالبة البغداديّ ببيعة الظَّواهريّ، فقد كانت النُّصـــرة تأخذ على البغدادي أمورًا عِدَّة، منها: التَّوسُّــع في التَّكفير، واسْــتباحة دماء من خالَفَهم، والإســتهتار بحياة المدنيّين في أثناء العمليَّات وغيرها . أمَّا زعيم القاعدة الظَّواهري، فقدِ انْتقد إعلان البغدادي عن تنظيم داعش مؤكِّدًا أنَّ جبهة النُّصـــرة هي فرع التَّنظيم في سوريا، وأنَّ الجولاني يبقى أميرًا على الجبهة لمدَّة عام، والبغدادي يبقى أميرًا على الدَّولة الاســلاميَّة في العراق لمدَّة عام، ليُصـــار فيما بعد تجديد الإمارة له، أو اخْتيار أمير

٢- **مقابلة أجراها موقع سوريتنا مع عضو المكتب السِّياسيّ لحركة نور الدين الزنكي بسام مصطفى حجي،** مرجع سابق، ص ٦٨.

٢- جمال السويدي، **السراب**، الطبعة الأولى، مركز الإمّارات للدراسات والبحوث، الإمّارات، ٢٠١٥، ص ٤٨٧-٤٨٨

آخر . لكنَّ البغدادي لم يَسْتَجِبْ لأمر الظَّواهري، فوصلت الْخِلافات بين الجولاني والبغدادي حدَّ الصِّدام المُسَلَّح. وفي شباط ٢٠١٤ أَصْدَرَتْ القيادة العامَّة لتنظيم القاعدة بيانًا نَأَتْ فيه بِنفسها عن "داعش"، وذلك بقولها: "الدَّولة الاسلاميَّة في العراق والشَّام ليست فرعًا من جماعة تنظيم القاعدة، وليست لنا أيَّة علاقة مؤسَّسيَّة معها، كما أنَّ التَّنظيم ليس مسؤولًا عن تصرُّفاتها" [٢] . فَتَوَزَّع الجهاديُّون بين مؤيِّدٍ للبغدادي، وغالبيتهم من المهاجرين [٢] غير السُّوريِّين، وبين مُؤَيِّدٍ للجولاني وغالبيتهم من السوريين.

تتبنَّى جبهة النُّصرة التَّوجُّه السَّلفيّ التَّكفيريّ، هي مجموعة مُسلَّحة قتاليَّة مُتَمَرِّدة، هدفها إسقاط نظام الرَّئيس بشار الأسد، والدَّعوة لإقامة حكومةٍ إسلاميَّةٍ مكانه، وهي تَرى أنَّ الظُّروف لا تتوافر في الوقت الرَّاهن لإقامةِ دولةٍ دينيَّةٍ جديدةٍ دون دعْمٍ من جماعات إسلاميَّة أُخرى. وقد أَوْضَحَت النُّصرة موقِفها من تأسيس إمارةٍ إسلاميَّةٍ بعد أن سُرِّبَ كلامٌ للجولانيّ في تمّوز ٢٠١٤، قال فيه" "قد حان الأوان أيَّها الأحبَّة لنُقيم إمارةً إسلاميَّةً على أرضِ الشَّام، وذلك لتحكيم شرعه ونشر نهجه وإنَّ مفتاح هذه الإمارة بأيديكم" [٩] . غير أنَّ النُّصرة عادت وأصدرت بعد أيَّامٍ بيانًا وُصِفَ بالتَّوضيحيّ، أكَّدت فيه صِحَّة الكلمة المُسرَّبة، بإضافة "إنَّنا نسعى لإقامة إمارةٍ إسلاميَّةٍ وِفق السُّنَنِ الشَّرعيَّة المُعْتَبَرة، ولَم نُعْلِن عن إقامتها إلا في اليوم الّذي يُوافقها فيه المجاهدون الصَّادقون والعلماء الرَّبَّانيُّون... إنَّ إعلان الإمارة كان لِمَنْع الآخرين من قَطْفِ ثِمار المجاهدين وإقامة مشاريع علمانيَّةْ وغيرها" [٩٤] .

وتُعْتَبر جبهة النُّصرة من أقوى الفصائل في سوريا، وقد نَجَحَت في الحصول على تقدير ودعم العديد من الجماعات المُتَمَرِّدة، فَضْلًا عن قادةٍ وعناصرَ في الجيش السُّوريّ الحرّ. وقد حَاوَلَتْ منذ بدايتها فَرْضَ قوانين دينيَّةٍ في مناطقها. أمَّا مُقاتلوها، فَهُم على درجةٍ عاليةٍ من التَّدريب والتَّسليح، وكان على الرَّاغب بالإنضمام إلى النُّصرة، أن يَتَقَيَّد بشروطٍ مثل اجْتياز الدَّورات الشَّرعيَّة الّتي يُقيمُها شَرْعِيُّو النُّصرة وشيوخها، وهي عبارةٌ عن دروسٍ دينيَّةٍ في السَّلفيَّة

٢- قناة العالم، الظواهري يلغي تنظيم د ولة العراق والشا م" (داعش)، ٢٠١٣ ١١ ٨
https://www.alalamtv.net/news/.

٢- محمَّد مرتضى، **صناعة التوحش**، مرجع سابق، ص ١٦٦.

٢- أي المسلمين الذين هاجر وا من بلادهم للالتحاق بالد ولة الاسلاميَّة، طلبا للجهاد.

٢- إعداد الدراسات الاجتماعية، **الحركات السَّلفيَّة والقتالية ٣ (جبهة النصرة: من القاعدة إلى فتح الشام)**، الطبعة الأولى، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، لبنان، العدد الثالث، شباط ٢٠١٧، ص ٨ ٩.

٢- عبدالله سيف، **القاعدة في سوريا: من الدَّولة إلى الخلافة**، الجمهورية، ٨آب ٢٠١٤
https://www.aljumhuriya.net/ar/30108.

الجهاديَّة[٢]. وقد تَشَــجَّع الشَّــباب إلىْ ترك ألْوِيَتهم والإلتحاق بالنُّصْــرة، نَظَرًا للتَّعويض الماديّ الجيّدِ الّذي تُوَفِّره لهم مقارنةً مع باقي الفصائل، وأيضًـا بسبب عدم انْقطاع الدَّعم العسكريّ عن النُّصـرة. وكان ٣٠% من مقاتلي النُّصـرة أجانب من بلادٍ مُختلفة. ووفقًا لتوماس هيغهايمر، "إنَّ الكثيرين قد ذهبوا في الآونـة الأخيرة إلى القتال في أفغانسـتان وباكسـتان والعراق واليمن والصُّـومال، لكنَّ أعداد من سافروا إلى سوريا مثَّلَ أكبر حشدٍ من المُقاتلين الإسلاميّين الأجانب في التَّاريخ"[٢]. وقامت عدَّة جماعات بإعْلان انْضــمامها للنُّصــرة بمْن فيها "جيش المهاجرين والأنصار" الّذي يّتْبَع لـ"إمارة القوقاز الاسلاميَّة" وأغلبيَّة مُقاتليه من الأجانب.

لقد كانت النُّصــرة تحظى منذ بداية نشـوئها بتمويلٍ جيّدٍ من التَّنظيم الإسـلاميّ الجهاديّ الدُّوليّ، وكذلك من الجهات المانحة الّتي تدعم القاعدة. إذ لا يمكن لأيّ تنظيمٍ سياسـيّ عسكريٍّ أن يسـتمرَّ بدون مصـادر ذاتيَّة وخارجيَّة للتَّمويل والدَّعم. وَقَبْلَ أن تنفصـل النُّصـرة عن تنظيم الدَّولة في العراق، كانت تستفيد من نصف ميزانية التَّنظيم التَّشغيليَّة، لكنَّها مع الوقت، أَخَذَت في الإعتماد على التَّمويل الذَّاتي، من خلال السَّـيطرة على المواقع والمؤسَّـسـات الّتي تُعَدُّ مصـادرَ تمويلٍ أسـاسـيَّة، كالنِّفط والمصـانع والمؤسَّـسـات الإنتاجيَّة والخَدَميَّة والحُقُول الزِّراعيَّة والمعابرَ الحدوديَّة، إضافةً إلى الحصول على فِدْيَةٍ مقابل الرَّهائن والمخطوفين، وكذلك المُنْشآت والمَعَدَّات والآليَّات العسـكريَّة الّتي تمكَّنَت من السَّـيطرة عليها. كما حَظِيَت النُّصـرة بدعمٍ ماديّ كبيرٍ من بعض الدُّوَلِ الخليجيَّة، وبخاصَّـــة من دولة قطر، مُضــــافًا إلى ما تتلقَّاه من الكثير من أثرياء ســـلفيّين خليجيّين يُقيمون في الخليج أو خارجه، ويدعمون التَّيار السَّـــلفيّ[٧]. ولا يّخفى الدَّور الكبير الّذي لعبته تركيّا في دعم النُّصـرة على مدى الأعوام الأربعة الأولى من نّشْـأتها، عسكريًّا وسياسيًّا ولوجستيًّا، ولاسيَّما تمرير الأسلحة الثَّقيلة، وعبور النِّفط والمواد التَّموينيَّة عبر حدودها

٢– عارف حاج يوسف، **خريطة الفصائل المسلحة في حلب**، الجمهورية، ٦ ٣ ٢٠١٥
https://www.aljumhuriya.net

٢– توماس هيغهايمر، **كم عدد المقاتلين الاجانب الذين ذهبوا إلى القتال في سوريا**، bbc news، ٢ ٨ ٢٠١٥.
https://www.bbc.com/arabic/worldnews/2015/08/150802_syria_foreign_fighters

٢– إعداد الدراسات الاجتماعية، **الحركات السَّلفيَّة والقتالية ٣ (جبهة النصرة: من القاعدة إلى فتح الشام)**، مرجع سابق، ص ٩ ١.

البرِيَّة، وتسـهيل عبور الشُّـبَّان القادمين من دولٍ خارجيَّةٍ للإلتحاق بالنُّصـرة، وأيضًـا توفير أماكن وَمَقَرَّات إقامة أو إستراحة لِقيادتها . [٨] [٩]

ومنذ مطلع العام ٢٠١٤، بَدَأَت جبهة النُّصــــرة بِفَرْض نفوذها في محـافظـة درعا على الحدود الأُردنيَّة، فقد كانت خطَّة الجولاني، بأن يُقيمَ أربعَ إماراتٍ كجزءٍ من إمارةٍ واحدة، إثْنين في المنطقة الشّماليَّة إدلب وحلب، وواحدة في المنطقة الجنوبيَّة درعا، وواحدة في المنطقة الغربيَّة الغوطة. وذلك دون الإقتراب من المنطقة الشرقيَّة في إعلانٍ يبدو أنَّه تسليمُ المنطقة لداعش الّتي كانت تُقاتِل النُّصــرة في دير الزُّور حينها. وقد نَشُـطَت النُّصــرة في إحدى عشـر محافظة، من أصل أربعة عشر محافظةٍ سوريَّة، وبخاصَّـة في إدلب وحلب ودير الزُّور. كما اسْتطاعت النُّصرة السَّيْطرة على الأراضـي الواقعة في محافظة إدلب، إلى جانب فصـائل أخرى، كما سيطرت على بعض الأراضــي في محافظة القنيطرة. ومنذ البداية، إسـتهدَفَت في عمليَّاتها القتاليَّة والإنتحاريَّة بشَّـار الأسد وحلفاؤه، مثل إيران وروسيا وحزب الله. وقد عَمِلَت على ضـرب مصـادر قوَّة النِّظام البَشَـريَّة والماديَّة، وتشـتيت القوَّة العسـكريَّة للجيش السُّـوري، والقِوى المُسَـلَّحة الأُخرى، وإرهاب السُّكَّان المدنيّين وتهديدهم، كما ارْتكبت العديد من المجازر . [٩]

كما نَفَّذَت جبهة النُّصــــرة عمليَّات تطهيرٍ عِرْقيٍّ ودينيّ، وقامت بعمليَّات خطفِ واحتجازِ رهائن واسْـتيلاءٍ على مُمتلكات، فقد قامت الجبهة بخطف مجموعة من الرَّاهبات في دير معلولا، وقامت بخطف صــــحافي أميركيّ، وأيضًــــا خَطَفَت وحدة من الجنود اللُّبنانيّين، وجنود من قوات حفظ السَّــلام التَّابعة للأمم المتَّحدة، إضــــافة إلى عمليَّات خطفٍ أُخرى. وَيُظْهِرُ التَّقرير العالميّ لمنظمة هيومن رايتس ووتش الخاص بســـوريا، "أنَّ الجماعات الاســــلاميَّة المتطرِّفة مثل جبهة النُّصرة وداعش، إرتكبت انْتهاكات مستمرَّة لِحقوق الإنسان، بما فيها الخطف والإستهداف المتعمَّد للمدنيّين" . [٣]

وَحَوْل بُنْيَة جبهة النُّصرة التَّنظيميَّة، فقد كانت متماسكة نظرًا للإجراءات المُشَدَّدة في قبول العناصر، ونظرًا للمفاهيم الدِّينيَّة ذات البعد السَّلَفيّ المتشِّدد، والقُدُرات الماليَّة والتَّسليحيَّة العالية،

٢- **أردوغان مسؤول عن الدمار في سوريا والعراق وليبيا**، موقع حزب البعث العربي الاشتراكي، ٤ \ ١٢ \ ٢٠١٦، http://albaathmedia.sy/2016/12/04.

٢- إعداد الدراسات الاجتماعية، **الحركات السَّلفيَّة** والقتالية ٣ (جبهة النصرة: من القاعدة إلى فتح الشا م)، مرجع سابق، ص ١٠.

٣- **دمهم ما زال هنا-عمليات الإعدام واطلاق النار العشوائي واتخاذ الرهائن من قبل قوات المعارضة في ريف اللاذقية**، تقرير أعدته "منظمة هيومن رايتس و وتش، ١١ \ ١٠ \ ٢٠١٣، على الرابط: https://www.hrw.org/ar/report/2013/10/11/256480.

مقارنةً بِغيرها من الفصـــائل في ســوريا. ولكنَّ إعلان تنظيم داعش على مســاحة جغرافيَّةٍ كبيرةٍ وغنيَّةٍ بالثَّروات، جعل منها المنافس الأكبر لجبهة النُّصرة، حيث يَمِيلُ الشَّباب المُتَشَرِّب لمفاهيم التَّكفير، والمُتَحَفِّز للقتال، إلى الإلتحاق بدولةٍ تَسودها الشَّريعة [1].

ولكنَّ تطوُّرًا طرأ على جبهة النُّصـــرة في تموز ٢٠١٦، عندما أَعْلَن الجولاني عن حلِّ الجبهة، وفكِّ ارْتباطها بتنظيم القاعدة، وتشكيل فصيلٍ جديدٍ يُسَمَّى "جبهة فتح الشَّام" لن تكون له علاقة بأيِّ جهةٍ خارجيَّة. وبحســـب الجولاني، فقد جاء الإعلان بهدف تحقيق أمرين؛ الأول تقريب المســافات بين الفصــائل وحماية الثَّورة السُّـوريَّة، والثَّاني دَفع ذرائع المجتمع الدُّوليّ. وقد أرادَت الجبهة من خلال هذا الإعلان، زيادة المُجَنَّدين والحاضِـــنة الإجتماعيَّة، حيث يوجد بين الشـعَّب من لا يُوافق على سياسـة القاعدة من اسْـتهدافِ الغرب وأميركا [2]. ويرى أحد المُحَلِّلين أنَّ هذا الإعلان، إنِّما هو نتيجة ضـــغط الدُّول الّتي تدعم جبهة النُّصـــرة، وتحديدًا دول الخليج وتركيّا، فالدَّاعمون يريدون تبرئة أنفســـهم من تهمة الإرهاب، وتهمة دعم جماعةٍ تنتمي لتنظيم القاعدة في سوريا. وبحسب وجهة النَّظر هذه، فإن التَّغيير الحاصـل هو تغييرٌ في الإسـم وليس تغييرًا في الجوهر [3]. ولأنَّ ممارسـات الجبهة بإسمها الجديد لم تختلف عن الممارسات السَّابقة، فقد أُدْرِجَت من جديدٍ على لائحة الإرهاب في العام ٢٠١٧. وفي كانون الثَّاني، من العام نفسـه، أَعادَت الجبهة ترتيب أولويَّاتها، وانْدمجت مع جماعاتٍ سلفيَّةٍ جهاديَّةٍ أُخرى، لِتُشَكِّلَ "هيئة تحرير الشَّام".

المطلب الثاني: التَّنظيمات الّتي برزت بعد عام ٢٠١٣

لم تتوقَّف التَّنظيمات الإرهابيَّة من الدُّخول إلى سوريا، وحتّى بعد سنتين من الحرب الدَّائرة فيها، برزت العديد من التَّنظيمات الّتي نَشَأَت من رحم التَّطرُّف الموجود في سوريا، مدعومًا من بعض الدُّول الإقليميَّة.

٣- إعداد الدراسات الاجتماعية، **الحركات السَّلفيَّة والقتالية ٣ (جبهة النصرة: من القاعدة إلى فتح الشام)**، مرجع سابق، ص ١٣.

٣- **لماذا غيرت النصرة اسمها إلى فتح الشام؟ من برنامج ما وراء الخبر**، قناة الجزيرة، ٨ ٢ ٧ ٢٠١٦، على الرابط:

.https://www.aljazeera.net/programs/behindthenews/2016/7/28

٣- صبرا المنصر، **ما هي أسباب انفصال جبهة النصرة عن تنظيم القاعدة؟ الشرق الأوسط**، ٩ ٢ ٧ ٢٠١٦، على الرابط:

.https://www.france24.com/ar/20160729

1- دخول تنظيم داعش إلى سوريا عام ٢٠١٢

لم يَدْخُل تنظيم الدَّولة الإسلاميَّة في العراق والشَّام، والذي يُعرَف اختصـارًا بتنظيم داعش، السَّاحة السُّوريَّة إلا بعد أكثر من سنةٍ على بدء الأزمة، وهو لم يدخل مناطقَ ويحتلَّها من خلال معركةٍ خاضــها، بل دخل مناطق إمَّا كانت تُسـيطر عليها المعارضـــة المسـلَّحة، من خلال الإتِّصـال بها وإقناعها أو دفعها لمبايعته، كما حصــل في الحسـكة والبوكمال، حيث يُرَكِّز على عامل الإنشـقاقات من داخل الأطراف الأُخرى، إمَّا بواســطة التَّهديد، أو بواســطة الإغراءات الماليَّة. أو من خلال شـراء الضُّـباط وزعماء العشـائر لتسـليمه هذه المناطق دون قتال، وهذا ما حصل بالضَّبط في مدينة الرِّقة[٤].

وقد بدأ تاريخ الدَّولة الاسـلاميَّة منذ أواخر التِّسـعينات، حين شَـكَّل أبو مصـعب الزَّرقاوي تنظيمًا سمَّاه "جماعة التَّوحيد والجهاد" في العراق ، واعْتَمدت الجماعة على ٱلهجمات بالعُبُوات النَّاسفة باسْتخدام الإنتحاريِّين الَّذين يقودون الشَّاحنات المفخَّخة، أو عن طريق تفجير السَّيارات المفخَّخة عن بُعْد. وفي العام ٢٠٠٤، إنضمَّ الزَّرقاوي إلى تنظيم القاعدة، وغيَّر اسْم جماعته إلى "تنظيم القاعدة في بلاد الرَّافدين"، وَأَعْلَن في العام ٢٠٠٥ عن تشكيل "مجلس شورى المجاهدين"، وهو المجلس الَّذي انْبثق من تنظيم القاعدة بهدف توحيد العمل ضدَّ الاحتلال الأميركيّ، وليكون نواة الدَّولة الاسلاميَّة.

ثمَّ أَعلن الزَّرقاوي عن قُرب إعلان قيام دولة الخلافة في العراق. وبعد مقتله عام ٢٠٠٦، أَعلن عن بَدِيله أبي حمزة المهاجر، الَّذي عُيِّنَ من قِبَل تنظيم القاعدة، وأُعلَن عن تشــكيل تنظيمٍ عسكريٍّ يختصـر كلَّ تلك التَّنظيمات، ويجمع كلَّ التَّشكيلات الأُصوليَّة المُنتشرة على الأراضـي العراقية، إضافةً إلى أنَّه يُظْهِرُ أهدافها عبر تنظيمٍ هو "دولة العراق الاسلاميَّة"، بزعامة أبي عمر البغدادي[٣]. وفي العام ٢٠١٠ قُتل الْبغدادي والمهاجر من قِبَل القوات الأميركيَّة لِيَسْـتَلِم زعامة التَّنظيم أبي بكر البغداديّ، الَّذي كان رمزًا للسَّلفيَّة الجهاديَّة. ولم يقتصـر هدف الدَّولة الاسلاميَّة على دحر الأميركيِّين فقط، بل أيضًا على تأسيس دولةٍ إسلاميَّة، فعلى حدِّ تعبيرِ الظَّواهري، إنَّها

٣- محمَّد مرتضى، **صناعة التوحش**، مرجع سابق، ص ٢٥٢.

٣- مصطفى الأمين، **تنظيم القاعدة في العراق**، موقع بوابة الحركات الاسلاميَّة، تاريخ النشر: ٢ ٢ ٢ ٢٠٢٠. https://www.islamist-movements.com/2602.

٣- جمال السويدي، **السراب**، مرجع سابق، ص ٥٠٤-٥٠٥.

طليعةُ تأسيسِ خلافةٍ سَتُطَبِّقُ الحُكمَ الإسلاميّ في منطقةٍ أوسع . وقد اتَّخذت ممارسات الدّولة الاسلاميَّة مسارًا دمويًا واضحًا مع أبي بكر البغدادي. ولم تقتصر على اسْتهداف الأميركيِّين، بل أيضًا اسْتهدفت جميع أجهزة الأمن العراقيَّة، والمدنيِّين من الشِّيعة واليزيديِّين والمسيحيِّين، وجميع الأطراف الّتي لا توافقهم طروحاتهم [٨] .

بعد اسْــتلام أبي بكر البغدادي للقيادة، وبعد إعلانه عن تأســيس الدَّولة الاســلاميَّة في العراق والشَّـام، وعقبَ نُشوب خلافاتٍ بينه وبين جبهة النُّصـرة، ثم انْفصـاله عن تنظيم القاعدة. أَعْلَن البغدادي نَفْسَــه خليفة المســلمين جميعًا. ولكنَّه لم يَحِدْ عن أهداف التَّنظيم وفلسـفته الدِّينيَّة وسُـــلُوكه عند التَّعرُّض للهجوم. فمنذ العام ٢٠٠٤، نَقَلَت التَّقارير الإعلاميَّة عن الزَّرقاوي قوله بأنَّ هدفه كان دحر الأميركيّين من العراق لتأســيس حكومة إســلاميَّة، وبعدئذٍ تحرير البلاد المجاورة [٣] . وفي العام ٢٠٠٨، أَعْلَن[٩] التَّنظيم عن هدفه بإعادة تأسـيس الخلافة الرَّاشـدة، وشـبَّه كبار مسؤولي التَّنظيم دولتهم بتلك الّتي أقامها محمَّد في المدينة، مُبَرِّرين عمليات النَّهب والإكراه الّتي مارســها التَّنظيم في هذا الســياق، ومُعلِنين عن أنَّ الدَّولة الاســلاميَّة في العراق كانت نواة أشياء كبيرة ستأتي، وقالوا بأنَّ العراق سيكون جسر الوصـول إلى القُدس. وقد نَظَرَ التَّنظيم إلى الجهاد العنيف بصفته واجبًا أخلاقيًّا، وَوَجَّهَ اهْتمامًا خاصًّا لقتل الشِّيعة [٠] .

وقد اضـطرَّت داعش إلى إعادة تأسيس نفسـها كمكوّنٍ في الصِّراع في سوريا. وبُغية تأكيد ذاتها، بدأت قوات داعش الحديثة المتمركزة في سـوريا، والمؤلَّفة إلى حدٍّ كبيرٍ من مقاتلين أجانب سابقين في صفوف جبهة النُّصرة، بالتَّمدُّد بشكل عُدوانيٍّ في شمال وشرق سوريا، ممَّا أَدَّى إلى ولادة معارضةٍ لها. فبينما تَقَاسمت جبهة النُّصرة السُّلطة والحُكم؛ طالبت داعش بالسَّيطرة الكاملة على المجتمع... واعْتبارًا من العام ٢٠١٣ [١] ، ومن خلال الإســتفادة مْن وســائل التَّواصــل الإجتماعيّ، أَمَّنَت داعش لنفســها طاقة متجددة لقضــيَّتها الهادفة إلى السَّــيطرة على الأراضــي

٣- هـ وارد شاتز، ايرين جونسون، **الدَّولة الاسلاميَّة الّتي عرفناها**، مؤسسة راند، ٢٠١٦، ص ٦، على الرابط: https://www.rand.org/pubs/research_reports/RR1267.html.

٣- محمَّد مرتضى، **صناعة التوحش**، مرجع سابق، ص ٢٥٠.

3 - The Irish Times, **The Al-Zarqawi beliefs: "Allah has permitted us to repay them in kind"**, 24\9\2004. https://www.irishtimes.com/news/the-al-zarqawi-beliefs-allah-has-permitted-us-to-repay-them-in-kind-1.1158951

٣- هـ وارد شاتز، ايرين جونسون، **الدَّولة الاسلاميَّة الّتي عرفناها**، مرجع سابق، انظر ص ٧

3 - Brian Michael Jenkins, **The Dynamics of Syria's Civil War**. Santa Monica, CA: RAND Corporation, 2014. https://www.rand.org/pubs/perspectives/PE115.html

وإقامة دولةٍ إسـلاميَّة . وفي العام ٢٠١٤، قامتْ مجموعاتٌ معارضـةٌ مناهضـةٌ لداعش، وفي مقدِّمتها "جبهة النُّصـرة" و"جيش المجاهدين" و"الجبهة الاسـلاميَّة" و"جبهة ثُوَّار سـوريا"، فضـلًا عن تشـكيلات الجيش الحرّ وقوى المجتمع المحليّ ، بشـنِّ عمليَّاتٍ ضـدَّها أَجْبَرَتها على الإنسـحاب شـرْقًا باتِّجاه الرِّقة، إلا أنَّ داعش قامت لاحقًا بشـنِّ هجومٍ مضـادٍّ في محافظة دير الزُّور شرق سوريا، وعزَّزَت سيطرتها عليها. وقد ركَّز التَّنظيم عمله على المناطق الحدوديَّة مع العراق أولًا، وخاصَّةً المناطق الغنيَّة بالنِّفط .

تُعْتَبَر داعش لاعبًا ثوريًّا تتلخَّص كامل طريقة عمله بكونه يسـتهدف التَّغيير السِّـياسـيّ والإجتماعيّ الجذريّ ، ويُعَدُّ هذا التَّنظيم خليطًا بين السَّـلفيَّة الجهاديَّة والطَّائفيَّة، في أقْتَمِ صُـوَرِها، حيثُ يـأْخُذ بـالحـاكميَّـة والتَّكفير والتَّغيير الجـذريّ اعْتمـادًا على العُنف، ويرفض الدِّيمقراطيَّة كبديلٍ للحُكم الإسلاميّ. وذلك تأثُّرًا بفكر سيِّد قطب، وإعادة اسْتدعاء فكر ابن تيميَّة والمودودي، عبر قراءة موجَّهةٍ للنَّصِّ الدِّينيّ تَنْظُر من خلالها إلى الأفراد والمجتمعات والدُّول من منظور صـحَّة العقيدة فقط، وإقامة التَّوحيد والعبوديَّة الحقَّة لله تعالى، بهدف إعادة أَسْـلَمَتِهِم بِوَصْـفِهِم خارجين عن الإسـلام، بحسـب رؤيتها، من دون أيِّ اهْتمام يُذْكَر بما هو دون ذلك من مسـتوياتٍ ومصـادرَ فقهيَّةٍ وشـرعيَّة . وترى التَّنظيمات الجهاديَّة السَّـلفيَّة في تبنِّيها للحقبة النَّبويَّة وما تلاها من خلافةٍ راشدةٍ وقياسِ المرحلة الحاليَّة عليها، والَّتي يَقْصُرُها سيِّد قطب على العهديْن الأوَّلين، ترى أنَّ ما أحاط بمرحلة الإسـلام في المدينة وما تلاها هو الأقرب للعصـر الَّذي تعيش فيه الآن، وأنَّ العنف، أو الجهاد بحسـب مفهومها، هما الوسـيلة لإعادة أَسْـلَمَتِها وتأسيسها من جديدٍ على القواعد نفسها، الَّتي أُسِّسَت عليها دولة المدينة .

٣- تشارلز ليستر، **تحديد معالم الدَّولة الاسلاميَّة-دراسة تحليلية**، مركز بروكنجز، الدوحة، رقم ١٦، ٢٠١٤، ص ١٠-١١.

٣- **أهي سياسات المالكي وحساباته الخاطئة أم أنها الدَّولة الاسلاميَّة في العراق والشام؟-ورقة تقدير موقف**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، تاريخ النشر: ٥\١١\٦\٢٠١٤، ص ٤-٥.
https://www.dohainstitute.org/ar/PoliticalStudies//Pages/Crisis_in_Iraq_Is_It_al-Malikis_Policies_and_Miscalculations_or_Is_It_ISIS.aspx

3 - Erica Bradi, **An analysis of Patterns of Change Arising from the Syrian Conflict: Islamic Terrorism, Refugee Flows and Political Destabilization in Europe,** access date: 1-10-2022: https://cvir.st-andrews.ac.uk/articles/10.15664/jtr.1298/print/

3 - Stathis Kalyvas, **The Logic of violence in the Islamic State war",** The Washington post, 7\7\2014. https://www.washingtonpost.com/news/monkey-cage/wp/2014/07/07/the-logic-of-violence-in-islamic-states-war/?arc404=true

٣- جمال السويدي، **السراب**، مرجع سابق، ص ٤١٥.

٣- **ما هو تنظيم داعش؟ مسيرته منذ الانشقاق عن القاعدة وحتى إعلان دولة الخلافة**، موقع لبنان الجديد، تاريخ النشر: على الرابط: https://www.newlebanon.info/lebanon-now/148255.

فالخلافة هي من النِّقاط المحوريَّة في تفكير داعش وجميع التَّنظيمات الّتي تحمل فكرًا سلفيًّا. كما أَوْلى تنظيم داعش أهميةً للتَّعليم، مُصَدِّرًا مناهج تعليميَّة جديدة في المناطق الّتي تخضع لسيطرته. وذلك بعد تخريج دفعات من المعلمين الّذين خضعوا للدَّورات الشَّرعيَّة، وكان محتوى المناهج الجديدة يتماشى مع قوانين التَّنظيم وتشريعاته، مثلًا يُرَكِّزُ على تعليم الأطفال الجهاد ومعنى القتال .

إنَّ الأركان الخمسة الأساسيَّة في تنظيم الدَّولة الاسلاميَّة في العراق، على حدِّ قول أحد أعضاء التَّنظيم، وهي الأمن والشَّريعة والقوات العسكريَّة والإدارة والإعلام، كانت جوهريَّةً في العمليَّات الّتي نَفَّذَها التَّنظيم . فمِن حيث الهيكليَّة التَّنظيْميَّة، يُعْتَبَرُ أمير "الدَّولة الاسلاميَّة" هو الخليفة وأمير المؤمنين بعد إعلانه الخلافة، وهو صاحب الأمر والنَّهي في جميع القرارات، وللخليفة نائبٌ لا يتمُّ الإعلان عن اسْمه غالبًا، مثل معظم أسماء من يتولّوا المراكز القياديَّة . وللتَّنظيم مجلس قيادة يسمِّيه البعض مجلس شورى، وهو عبارة عن رؤساء المجالس السِّتَّة، العسكريّ والأمنيّ والشرعيّ والماليّ والإداريّ والإعلاميّ . وفيما يخصُّ التَّجنيد، فيجْب أن يخضع المُجنَّدون الجُدُد لأسابيع عدَّة من التَّدريب الشَّرعيّ والعسكريّ، ويُرَكِّزُ هذا النَّوع من التَّدريبات عادةً على اسْتخدام المُسَدَّسات والبنادق الهجوميَّة، والقذائف الصَّاروخيَّة وقذائف المورتر أحيانًا. وفي بعض الأحيان، يتلقَّى المُجَنَّدون مزيدًا من التَّدريب على أسلحةٍ أكثر تطوُّرًا. وعند الإنتهاء من هذه الفترة، يتمُّ تعيين المُجنَّدين الجُدُد عادةً في نوبات حراسةٍ لأسابيع عدَّة قبل تسليمهم عمليَّات عسكريَّة في الخطوط الأماميَّة .

أما الإستراتيجيَّة الماليَّة الّتي اتَّبَعَتْها الدَّولة الاسلاميَّة، فهي تقوم بتمويل نفسها بشكلٍ شبه كاملٍ منذ العام ٢٠٠٥. وتَرَكَّزت سياستها على جمع الأموال محليًّا، بدلًا من التَّركيز على التَّبرُّعات. فوفقًا لقاعدة بيانات وزارة الدِّفاع الأميركيَّة، لم يَبْلغ التَّمويل الخارجيّ لتنظيم القاعدة في العراق ومجلس شورى المجاهدين ودولة العراق الاسلاميَّة بين العامين ٢٠٠٥ و٢٠١٠ أكثر من ٥% من إجماليّ دخل هذه المجموعات . فكانت المصادر الرَّئيسيَّة عديدة لدخل التَّنظيم،

٣- محمَّد مرتضى، **صناعة التوحش**، مرجع سابق، ص ٢٧٣.

3 – Analysis of the State of ISI, https://ctc.usma.edu/harmony-program/analysis-of-the-state-of-isi-original-language-2.

3 -U.S government, **Homeland security and governmental affairs united states senate,** 2016, p. 5

٣- محمَّد مرتضى، **صناعة التوحش**، مرجع سابق، ص ٢٧٧-٢٨١.

٣- تشارلز ليستر، **تحديد معالم الدَّولة الاسلاميَّة**، مرجع سابق، ص ١٤.

3 - Hannah allam, **records show how irsqi extremists withstood U.S. anti-terror efforts**, 24\6\2014. https://www.adn.com/nation-world/article/records-show-how-iraqi-extremists-withstood-us-anti-terror-efforts/2014/06/23 .

هي: حَمَلات التَّبرُّع والمُدَّخرات الشَّخصيَّة، تجارة النّفط والغاز، بيع البضائع المسروقة، الإبتزاز، التَّهريب، الضَّرائب والغنائم والجزية، الخطف من أجل الفدية، إقتحام المصارف، تجارة الأعضاء البشــريَّة والمافيات، المســروقات، بيع الآثار . وبحلول العام ٢٠١٤، قدَّر محلِّلون في مجال الطَّاقة، أنَّ المجموعة تقوم ببيع ما يصـــل إلى ســـبعين ألف برميلٍ من النّفط يوميًّا من ســـوريا والعراق . وقد عّزَّزَت قدرة الدَّولة الاســـلاميَّة على تقديم صـــوْرة ثرائِها ونجاحها، في تجنيد مقاتلين جُدُد على المُستَوَيَيْن المحليّ والخارجيّ على حد سواء. ويقول جزءٌ من الّذين تحوَّلوا إلى داعش، أنَّهم تأثَّروا بِقُوَّتِه العسكريَّة، وَمُرونته، والوِفرة الماليَّة لديه، بينما لم تَكُن تنظيماتهم السَّابقة بقادرة على توفير رواتبهم البســيطة على نحوٍ مُنْتظم، رغم ما كانت تســتلمه من مســاعداتٍ أجنبيَّة .

2- نشأة جيش الإسلام عام ٢٠١٣

بعد صــعود تنظيم القاعدة في ســوريا من خلال جبهة النُّصــرة، أرادت السُّــعودية تعزيز إسلاميّين منافسين له، فَدَفَعت إلى تشكيل جيش الإسلام في أيلول ٢٠١٣، بقيادة زهران علُّوش. وجاء تأسيس جيش الإسـلام عقب الإعلان المُشْـتَرَك الّذي أَصْـدَرَته جماعات اتَّفقت على القتال من أجل تطبيق الشَّـريعة، والّتي رَفَضَـت سُـلطة المعارَضَــة في الخارج، المُتَمَثِّلة في الإئْتلاف الوطنيّ السُّـوريّ المدعوم من الغرب والسُّـعودية . وَيُعَدُّ جيش الإسـلام من[٧] الفصـائل السُّـوريَّة البارزة المعارِضـة للنِّظام، والهادفة إلى إقامة خلافةٍ إسـلاميَّةٍ، وقد بَسَطَت سَطْوَتها على مساحةٍ جغرافيَّةٍ واسعةٍ على تُخوم العاصمة السُّوريَّة في الغوطة الشَّرقيَّة لدمشق. وَتُعَدُّ مدينة دوما مَعقله الرَّئيسـيّ. ونَظَرًا للدَّعم السُّعوديّ له، فقد صُـنِّفَ "جيش الإسـلام" من ضـمن الفئات المُعتدلة الّتي يُمْكِن التَّعامل معها في إطار تحقيق تسويةٍ سِلميَّةٍ في سوريا.

ووِفقًا للبيان رقم واحد، الصَّــادر عن القيادة العامة لــــــ "جيش الإســلام"، تأتي نشـأة هذا الجيش جمعًا للكلمةِ وتوحيدًا للصَّـفِّ وإرضـاءً للرَّب، من أجل مواجهة النِّظام في سـوريا، وإنشـاء إدارةٍ محليَّةٍ بديلةٍ عن السُّـلطة في المناطق الّتي تتم السَّـيطرة عليها، وإخراجها من تحت سُـلطة الدَّولة المركزيَّة. وقد جَرَتْ مبايعة قائد لواء الإسـلام، وأمين عام "جبهة تحرير سوريا الإسـلاميَّة"

٣- محمَّد مرتضى، **صناعة التوحش**، مرجع سابق، ص ٢٨٤ + ٢٩٢.

3 - Nour Malas, Maroa Abi-Habib, **Islamic State Fills Coffers From Illicit Economy In Syria,Iraq**, The Wall Street Journal, 28\8\2014. https://www.iraqoilreport.com/daily-brief/islamic-state-fills-coffers-illicit-economy-syria-iraq-13083

٣- وائل عصام، **هل تنظيم الدَّولة الاسلاميَّة في سوريا امتداد لفصائل الثورة السورية؟**، موقع القدس العربي، تاريخ النشر: ١/٨/٢٠١٥، https://www.alquds.co.uk/.

٣- محمَّد مرتضى، **صناعة التوحش**، مرجع سابق، انظر ص ١٦٨ + ١٧٠.

محمَّد زهران علّوش قائدًا للجيش. وكان الهدف من الإندماج كما عبَّر عنه رئيس أركان "جيش الإســلام" علي عبد الباقي، يعود إلى وجود خلافات بين فصــائل عســكريَّة كثيرة، تُقاتل النِّظام، مِمَّا يُعْتَبَرُ عاملَ ضــعفٍ لدى المقاتلين، ليبدأ العمل على توحيد الكتائب المقاتلة، وجمعها داخل تنظيم جيشٍ رسـميّ، يحمل هيكليَّةً تنظيميَّة، ولديه مؤسَّـسات مدنيَّة، تكون فاعلة على الأرض. ومن أهمِّ أولويَّات الإندماج، إسقاط نظام الرَّئيس بشَّـار الأسد . وبعد تأسيس جيش الإسْلام، إنضـمَّت إليه كتائب جديدة، ليتجاوز عدد تشكيلاته السـتين، والّتي تتوزَّع على اخْتصــاصــاتٍ عســكريَّةٍ مختلفة. وَتَنْشُــطُ هذه الألوية والكتائب والفصــائل، في مناطق منها دمشـــق وريفها ومحافظات حمص واللَّاذقية وحماة وإدلب وحلب ودير الزُّور. ويضــــمُّ الهيكل الإداريّ للتَّنظيم مجلس قيادة، وأربعة وستون كتيبة عسكرية، إضـافة إلى سبعة وعشرين مكتبًا إداريًا، لا علاقة مباشـرة لها بالعمل العسكريّ. مِثل مكتب تأمين المُنْشَـقِّين، ومكاتبَ للخَدَمات وتَصْـنيع السِّـلاح والنَّقل والإعلام. وَتَخْرُج القرارات العســكريَّة المُتعلِّقة بعمليَّات "جيش الإســلام"، بالتَّشـــاور بين مجلس الشُّورى الّذي يضمّ مُختصِّين بالشَّريعة، وقياديِّين عسكريِّين وغرفةِ العمليَّات . ٩

3- مشاركة جيش خالد بن الوليد في الحرب السُّوريَّة عام ٢٠١٦

مِنَ الجماعات السَّـلفيَّة الجهاديَّة الّتي شـاركت في الحرب السُّـوريَّة، يوجد "جيش خالد بن الوليد"، الذي تأسَّس عام ٢٠١٦، بِضَمِّهِ ثلاث جماعاتٍ سلفيَّةٍ جهاديَّة،. أوَّلها فصيل تحت إسم "لواء شهداء اليرموك"، والّذي تأسَّس عام ٢٠١٢ بقيادة محمَّد سعد الدِّين البريدي، والّذي اغتالته جبهة النُّصــــرة في العام ٢٠١٥، فخلِفه قحطان أبو عبيدة. وفي آذار ٢٠١٦، جَرَت تغييرات جذرية داخل اللِّواء، تَسَــلَّم إثرها أبو عبد الله المدني القيادة . وقد كان انْتشـــار لواء شـــهداء اليرموك في منطقة وادي اليرموك جنوب غرب درعا، على الشريط الحدوديّ مع كلٍّ من الجولان المحتلِّ من الغرب، والأردن من الجنوب الغربيّ، وذلك بعد انْدلاع اشْتباكاتٍ بينه وبين الفصـائل

٣- **أسباب تشكيل جيش الإسلام في سوريا وأهدافه كما يؤكدها قائده**، تاريخ النشر: ١١ ١٠ ٢٠١٣، http://sahafahnet.com/show1203764.html.

٣- إعداد الدراسات الاجتماعية، **الحركات السَّلفيَّة والقتالية ٢**، **"جيش الإسلام: الأيديولوجيا الفكريَّة والرؤى السياسية"**، الطبعة الأولى، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، لبنان، العدد الثاني، نيسان ٢٠١٦، ص ٤-٥

٣- إعداد الدراسات الاجتماعية، **الحركات السَّلفيَّة والقتالية ٤**، **جيش خالد بن الوليد: بين الصِّراع المحلي والتهديد الإقليمي**، الطبعة الأولى، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، لبنان، العدد الرابع، حزيران ٢٠١٧، ص ١.

الموجودة في محافظة درعا، والقنيطرة على خلفيَّة اتِّهامه بمبايعة تنظيم داعش [١]. وقد شـــارك اللِّواء منذ تأسـيسـه في معارك ضـدَّ الجيش السُّـوري، إلى أن تَرَكَّزت جهوده في مواجهة "جبهة النُّصـرة" و"حركة أحرار الشَّـام"، وتَمَكَّن من التَّمدُّد. لكنَّ أيًّا من الطَّرفين المتقاتلَيْن، لم يتمكَّن من حسْم المعركة بصـورةٍ كاملةٍ لصـالحه. وكان تَوَجُّه اللِّواء الإسـلاميّ متشـدِّدًا. أمّا أهدافه المتعلِّقة بإقامة خلافةٍ راشدةٍ على منهاج النُّبوَّة وإقامة الحدود، فكانت تتَّفق إلى حدٍّ كبيرٍ مع تنظيم داعش وجبهة النُّصرة.

وثاني الجماعات المُنْضمَّة للِّواء هي حركة المُثَنَّى، الّتي تأسَّست عام ٢٠١٢، بإسم كتيبة "المُثَنَّى بن حارثة قاهر الفُرس"، الّتي أُعلِنَ بعدها تشكيل حركة "المُثَنَّى الاسلاميَّة"، في محافظة درعا عام ٢٠١٣، على يد مؤسِّسها أحمد كسَّاب المسالمة، الملقب بـــ "أبو محمَّد حَرَسْتا"، وهو أحد مُنتسـبي الطَّليعة المقاتِلة للإخوان المسـلمين في سـوريا، والّذي انْتقل إلى العراق بعد أحداث الثَّمانينات في حماة، وتمَّ اغْتياله في درعا عام ٢٠١٤، في عمليَّةٍ اتُّهِمَت فيها جبهة النُّصـرة [٣]. ثم اسْتلم مكانه عامر المسالمة، وقد نشِطت الحركة في المنطقة الغربيَّة من ريفي درعا والقنيطرة، وبقيت الحركة في درعا حتَّى تمَّ طردها من قِبَل فصـائل المعارضـة [٣]. وقد عُرفت الحركة بأنَّها سَـلَفيَّة مُتشـدِّدة، كما عُرفت بقيامها بعمليات اغْتيالٍ وخطفٍ انْطلقت في الرِّيف الغربيّ لمحافظة درعا، ونشـطت في ريف درعا والقنيطرة. وكانت تملك عتادًا لا يُسـتهان به من الأسـلحة الثَّقيلة والمتوسِّطة [٣][٣][٤].

أمَّا الجماعة الثَّالثة الّتي انضــمَّت إلى جيش خالد بن الوليد، فهي "جيش الجهاد"، الّذي أَعْلَن عن قيامه عام ٢٠١٥، وضَــمَّ كلًّا من "ســرايا الجهاد" و"جماعة جند الإســلام" و"حركة مجاهدي الشَّام" و"جماعة شباب السَّلف" و"جماعة البنيان المرصوص" [٥]. ووفقًا لبيانِ تشكيله،

٣- حذيفة لا ق، **لواء شهداء اليرموك على قائمة الإرهاب الدُّوليّ**، موقع بلدي نيوز، تاريخ النشر: ١٠ ٦ ٦ ٢٠١٦، على الرابط: https://www.baladi-news.com/ar/articles/6916.

٣- علي عيد، **"داعش" حوران... التحولات والقيادات... وفشل خطة الصدمة والترويع (٢١١) زمان الوصل**، تاريخ النشر: السبت ٦ ٢ ٣ ٢٠١٦. https://www.zamanalwsl.net/news/article/69796.

٣- إعداد الدراسات الاجتماعية، الحركات السَّلفيَّة والقتالية ٤، "جيش خالد بن الوليد: بين الصِّراع المحلي والتهديد الإقليمي"، مرجع سابق، ص ٤

٣- **حركة المثنى تؤيد الدَّولة الاسلاميَّة والخليفة وداعش يهدد سرا بعض فصائل الجيش الحر في القنيطرة**، وكالة خطوة، تاريخ النشر: الأحد ٨ ٣ ٢٠١٥. https://stepagency-sy.net/2015/03/08/%.

٣- إعداد الدراسات الاجتماعية، **الحركات السَّلفيَّة والقتالية ٤**، **"جيش خالد بن الوليد: بين الصِّراع المحلي والتهديد الإقليمي"**، مرجع سابق، ص ٤

يسـعى الجيش إلى تشـكيل محكمةٍ تحكم بما أنزل الله، ليكون السَّـيف العادل بِيَدِها، وَذَكَرَ البيام أيضـــاً، بأنَّ العدوَّ الأوَّل للجيش، هم النَّصـــيريَّة (أي العلويّين) ومن شـــايَعَهم، وأنَّ علاقته مع الفصائل المقاتلة على الأرض، تكون وِفقًا لما تُمليه عليهم الشَّريعة الاسلاميَّة، كما ويسعون إلى تشكيل محكمةٍ تحكم بما أنزل الله[٦][٣].

وفي أيَّار ٢٠١٦، تمَّ الإعلان عن تشـــكيل "جيش خالد بن الوليد"، حيث انْدَمَجَ كلٌّ من "لواء شـهداء اليرموك" و"حركة المُثَنَّى الاسـلاميَّة" و"جيش الجهاد". ويجمع هذه الفصـائل تُهمة مبايعة تنظيم "داعش"، والمواجهة مع بقيَّة الفصائل المعارضـة المُسلَّحة في المنطقة. وفي شباط ٢٠١٧، هاجم جيش خالد بن الوليد مواقعَ للفصـائل المُسـلَّحة في ريف دَرعا، مُستغلًّا انْشـغالهم بمعركة "الموت ولا للمذلَّة"، الّتي أطلقوها ضــــدَّ النِّظام، وتمكَّن جيش خالد بن الوليد، مِن فكِّ الحصار الذي فرَضَتْه تلك الفصائل المُسلَّحة على فَصَائِله لِعدَّة سنوات. وذلك في منطقة حوض اليرموك بريف درعا، عقب سيطرته على قُرَى واسعة في الجنوب السُّوري[٧]. ولكن نظرًا لتركيبة الجيش من عدَّة فصـــائل تجمعها المصـــلحة المشـــتركة، لكنَّها تختلف بأمورٍ كثيرة، منها أمور عَقَدِيَّة. نتيجةً لذلك، نَشَبَت خلافاتٌ بين الفصائل وَصَلَت حدَّ التَّصفية لبعض العناصر والقادة.

عُرف عن جيش خالد بن الوليد تميُّزه بالتَّسـليح الثَّقيل والنَّوعيّ، وبِقدراتٍ قتاليَّةٍ ولوجسـتيَّةٍ عالية، واسْتطاع أن يتفوَّق بما يمتلك، على فصائل مثل "جبهة تحرير الشام". وعَمِل على تنظيم بنيته الدَّاخليَّة، وإقامة دوراتٍ عســكريَّةٍ في حوض اليرموك، وعلى تعزيز انْتشـــار خلاياه خارج المنطقة[٣]. وامْتلَكَ الجيش أيضًـا، قُدْرَةً على تجنيد أبناء القرى الّتي[٣] يُسيطر عليها، بسبب تقديم إغراءاتٍ ماديَّة، إلى جانب إخضـــاعهم لدوراتٍ دينيَّةٍ في الجهاد. فقد لجأ إلى فرض قوانين متشـدِّدةٍ على القُرى والبلدات الّتي يُسَـيْطر عليها، على غرار ممارسـات تنظيم داعش من فَرْضِ النِّقاب على النســـاء، ومنع التَّدخين وغيرها. وفي حزيران ٢٠١٨، إعْترف جيش خالد بن الوليد بانْتمائه إلى تنظيم داعش، عندما دعا أهالي قريَتَيْن للعودة إلى ديارهم، إذ أصـــدر بيانًا يَحْمِلُ ترويسة تنظيم "داعش"، وَوَصف أهالي القريَتَيْن بأنَّهم رعايا أمير المؤمنين أبي بكر البغدادي.

٣- المرصد السُّوري لحقوق الإنسا ن، **فصائل إسلامية تعلن إنشاء "جيش الجهاد"**، تاريخ النشر: ٢٣ ٥ ٢٠١٧. https://www.syriahr.com/%D9%81%D8%B5%D8%A7%D8%.

٣- إعداد الدراسات الاجتماعية، **الحركات السَّلفيَّة والقتالية** ٤، **"جيش خالد بن الوليد: بين الصِّراع المحلي والتهديد الإقليمي"**، مرجع سابق ص ٨.

٣- عنب بلدي، **"جيش خالد" يخلط أوراق حوران في اصعب أوقاتها**، تاريخ النشر: ٥ ٣ ٢٠١٧. https://www.enabbaladi.net/archives/135008.

٣- الد ن، **حوض اليرموك: جيش خالد يعترف بانتمائه لـ"داعش"**، تاريخ النشر: ٩ ١١ ٦ ٢٠١٨.

4- الجبهة الاسلاميَّة ودخولها إلى سوريا

هي قوَّة مُقاتلة أَنْشَأَتْها "كتائب أحرار الشَّام"، شكَّلتها المملكة العربيَّة السُّعوديَّة لِتكون بديلًا عن داعش وجبهة النُّصرة، وجميع عناصر الجبهة الإسلاميَّة وقياداتها، هم عبارة عن عناصر سَلَفِيَّة وتكفيريَّة خَرجت من رَحم التَّنظيمات الأُخرى. وقد أَعْلَنَ المتحدِّث باسمها، المدعوّ أبو عبد الرَّحمن السّوري، أنَّ الجماعة تَتْبَع المذاهب السَّلفيَّة المتشدِّدة، وأنَّها تُخَطِّط للإطاحة بنظام الأسد وحلفائه، ثُمَّ سَتَعْمَل على تطبيق معاييرها في تفسير الشَّريعة. وتتكوَّن الجبهة الاسلاميَّة السُّوريَّة من إحدى عشر لواء، من بينها "كتائب أحرار الشَّام" و"حركة الفجر الاسلاميَّة" و"كتائب أنصار الشَّام" و"لواء الحقّ" و"جيش التَّوحيد" و"جماعة الطَّليعة الاسلاميَّة" و"كتيبة مصعب بن عمير" و"كتيبة صقور الإسلام" و"كتائب الإيمان المقاتلة" و"سرايا المهامّ الخاصّة" و"كتيبة حمزة بن عبد المُطَّلِب". وتُؤَكِّد "الجبهة الاسلاميَّة السُّوريَّة" على أنَّها مفتوحة أمام التَّنظيمات الاسلاميَّة الأخرى، الّتي تتضامن معها في قضيَّتها. وفي تشرين الثاني عام ٢٠١٣، تَمَّ الإعلان رسميًّا عن تشكيل الجبهة الاسلاميَّة، وهي تضمُّ جماعات من ثلاث منظَّماتٍ محليَّةٍ سابقة، وهي "الجبهة الاسلاميَّة السُّوريَّة" و"جبهة تحرير سوريا الاسلاميَّة" و"الجبهة الاسلاميَّة الكرديَّة". وانْضمت أيضًا "حركة أحرار الشَّام الاسلاميَّة" و"كتائب أنصار الشَّام" و"لواء الحق"، وَأَلْوِيَة "صقور الشَّام" و"لواء التَّوحيد" و"جيش الإسلام". ولم تُدْرِج الحكومة الأميركيَّة أيًّا من هذه الجماعات كَمُنَظَّمة إرهابيَّة أجنبيَّة. وقد حَظِيَتْ الجبهة بدعمٍ من العديد من الفاعلين المحلِّيّين الرَّئيسيّين[٣][٤][٠].

وجاء في بيان الجبهة، أنَّها "تكوينٌ سياسيٌّ عسكريٌّ إجتماعيٌّ مستقلّ، يهدِف إلى إسقاط النِّظام الأسَديّ في سوريا إسقاطًا كاملًا، ويهدف إلى بناء دولةٍ إسلاميَّةٍ راشدة، تَكُونُ فيها السِّيادة لله عزَّ وجلّ وحده، مرجِعًا وحاكِمًا وناظِمًا لتصرُّفات الفرد والمجتمع والدَّولة". ولُوحِظ أنَّ الجبهة الاسلاميَّة، تَجْمَع بعض المجموعات الكبرى من الحركة الاسلاميَّة إلى المعسكر الأكثر تشدُّدًا، لكنَّها لا تضمُّ أيَّ فصائل من تنظيم القاعدة . وتجدر الإشارة، إلى أنَّ المُكوِّنات الأساسيَّة الّتي تشكلَّت منها الجبهة، قد حافَظَت على بُنَاها التَّنظيميَّة المُستقلَّة، وبَقِيَت أُطُرًا مُنفصِلَةً تُقيم تحالفاتها الخاصَّة، وَتَخُوض صراعاتها الظَّاهرة والخَفِيَّة، مع جماعاتٍ أُخرى داخل الجبهة وخارجها. لكنَّ حَدَث الإندماج بين "أَلْوِيَة صقور الشَّام" و"حركة أحرار الشَّام" المُنْضَوِيَيْن

.https://www.almodon.com/arabworld/2018/6/19

٣- محمَّد مرتضى، **صناعة التوحش**، مرجع سابق، ص ٧٦ + ١٨٣.

٣- إعداد الدراسات الاجتماعية، **الحركات السَّلفيَّة والقتالية ٢**، "**جيش الإسلام: الأيديولوجيا الفكريَّة والرؤى السياسية**"، مرجع سابق، ص ٢.

في إطار الجبهة، كان بمثابة نَعْيٍ رسـمـيٍّ للجبهة الاسـلاميَّة. ذلك أنَّ مركز الثِّقل الأسـاسـيّ للكيان المُدمج، هو ريف إدلب الّذي يُشَكِّل مسـرح صـراعٍ خفيٍّ على النُّفوذِ بين "أحرار الشَّـام" وبين "جبهة النصـرة". ورغم أنَّ الجبهة قد قَدَّمَت نفسـها إبَان تشـكيلِها على أنَّها المُكَوِّن الجامع للفصائل الجهاديَّة، إلا أنَّ ذلك لم يُتَرْجَم على الأرض منذ التَّشكيل [٢].

5- تشكيل فيلق الرَّحمن

أُعلِنَ عن تشكيل فيلق الرَّحمن في نهاية العام ٢٠١٣، بقيادة النَّقيب المُنْشَقّ عبد النَّاصر شـمير، وكان الفَيْلق عبارةٌ عن انْدماج عدَّة أَلْوِيَةٍ مسـلَّحةٍ تحت لوائه، من أجل تنظيم وتوحيد الصُّـفوف. وقد نأى الفيلق بنفسـه عن تَبَنِّي رؤى سَـلَفِيَّة أو دينيَّة متشـدِّدة، خِلافًا لفصـائل مثل "جبهة النُّصـرة" و"جيش الإسـلام". وَرَغْم تبنّيه لمُنطلقاتٍ ذات صـبغة إسـلاميَّة، إلا أنَّه يَميلُ إلى وضـعِ نفسـه ضـمن الفصـائل المعارضـة الّتي تتبنَّى تَوَجُّهاتٍ غير متشـدِّدة. وما يجمع بين فيلق الرَّحمن وبقية الفصـائل المعارضـة، هو "مبادئ الثَّورة، ومواجهة النِّظام والتَّصـدِّي له". وَيُعَدُّ الفيلق من ضِـمن التَّشـكيلات الأسـاسـيَّة المُعارِضـة للنِّظام في سـوريا، والعامِلة ضِـمن نطاقٍ جغرافيٍّ محدَّد، تقريبًا في شـرقيّ دمشـق والقلمون الشـرقيّ. كما يُعتبر الفيلق، أحد أهمّ مُكوِّنات الجيش السُّوريّ الحُرّ في غوطةِ دمشق، وَرَكيزته الأساسيَّة. ويمتلك الفيلق قدراتٍ بشريَّةٍ وعسكريَّةٍ وتجهيزيَّةٍ كبيرة، تُضـاهي ما تمتلكه فصـائل كبرى من قَبِيل "جبهة النُّصـرة" وسِواها. وقد صُـنِّف فيلق الرَّحمن، على أنَّه ثاني أكبر الفصـائل في الغوطة الشَّـرقيَّة لدمشـق [٤]. ووفقًا لِما يَذْكره الفيلق، فإنَّه عبارةٌ عن تشكيلٍ سوريٍّ ذو صبغةٍ إسلاميَّةٍ غيرَ سَلَفِيَّةٍ ولا إخوانيَّة، قادَتُهُ وعناصِره من السُّوريِّين فقط. أما هدفه المُعْلَن، فهو السَّعي لإسقاط نظام الأسد، وَرَفْع الظُّلم، والعمل على إقامة دولة الحقّ والعدل على الأرض السُّـوريَّة، بِالتَّعاون مع الفعاليَات الثَّوريَّة النَّاشـطةِ على السَّاحة، وبكلِّ الوسائل المشروعة [٥] [٤].

٣- إعداد الدراسات الاجتماعية، **الحركات السَّلفيَّة والقتالية ٢**، "**جيش الإسلام: الأيديولوجيا الفكريَّة والرؤى السياسية**"، مرجع سابق، ص ٢ ١.

٣- قناة الغد، "فيلق الرحمن فصيل معارض يقاتل النظام في دمشق ويفاوضه في جنيف"، تاريخ النشر: ٤ ٢ ٣ ٢٠١٧. https://www.alghad.tv/.

٣- إعداد الدراسات الاجتماعية، **الحركات السَّلفيَّة والقتالية ٥**، "**فيلق الرحمن: إمّال ثورية وصراع من أجل البقاء**"، الطبعة الأولى، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، لبنان، العدد الخامس، كانون الأول ٢٠١٧، ص ١.

٣- فيلق الرحمن، الموقع الرسمي، http://www.alrahmancorps.com/.

وَيَزْعم الفيلق أنَّه يعتمد في تمويله على الدَّعم الشَّعبيّ، بالإضافة إلى دعم مجموعة أصدقاء سوريا المُسانِدَة للثَّورة السُّوريَّة. أما السِّلاح والذَّخيرة، فالإعتماد الرَّئيسيّ فيهما، هو على القِطَع العسكريَّة، والكتائب المُنفصلة عن قوات النِّظام، وما يتمُّ شراؤه من السُّوق السَّوداء. وقد تَحَدَّثَت بعض المصادر الإعلاميَّة، عن دَوْرٍ قَطَرِيٍّ كمصدرِ تمويلٍ ودعمٍ ماليٍّ وعسكريٍّ للفيلق [3]. كما ويستفيد الفيلق منْ دولٍ وجمعيَّات مانحة، ومن[4] الصَّفقات الّتي يقوم بها في سوريا.

تَقَاسَم فيلق الرحمن وجيش الإسلام السَّيطرة على معظم بلدات الغوطة الشَّرقيَّة، إلى جانب فصائل أخرى. وشَهِدَت الغوطة في العام ٢٠١٥ نزاعاتٍ حادَّة، ومواجهاتٍ مُسَلَّحةٍ بين الفصائل المُختلفة، بما يُشْبِه صراع نُفوذٍ على امْتلاك السَّيطرة على أوسع بُقعةٍ جغرافيَّةٍ منها، ومحاولةِ كلّ طرفٍ إلغاء الطَّرف الآخر. وفي العام ٢٠١٧، خَلَت الغوطة الشَّرقيَّة لفيلق الرَّحمن ولِجَيش الإسلام، وذلك بعد تصفية الفصائل الأُخرى، مِثل هيئة تحرير الشَّام (النصرة سابقًا) ومثل أحرار الشام.

المبحث الثاني: الإستراتيجيَّة الدِّعائيَّة للتَّنظيمات الجِهاديَّة

كان لِلْخطابات الجِهاديَّة الّتي بُثَّت عبر وسائل الإعلام، بِدءًا من الإعلان عن تنظيم القاعدة، وُصولًا إلى خطاباتِ داعش، وَقْعٌ كبيرُ في نفوسِ الجهاديّين حَوْل العالَم، واسْتطاعت تلك الخطابات، إسْتقطاب أعدادٍ هائلةٍ من كافَّة بقاع الأرض، لاسيَّما وأن الكثير منها قد تُرْجِمَ إلى عدَّة لُغاتٍ لكي تَصِلَ إلى مسامع أكبر عددٍ ممكنٍ من الآذان. وقد أشارَ الظَّواهري في أحد محادثاته إلى أنَّ العمل الإعلاميّ للقاعدة يتمتَّع بِنَفْسِ أهميَّة العمل العسكريّ، وقال في أَحَدِ لقاءاته: "أسأَلُ الله أن يجزي العاملين في الإعلام الجهاديّ خيرَ الجَزاء" [7]. وقد اعْترفت الولايات المتَّحدة بِتَفَوُّق القاعدة في حربِها الإعلاميَّة الإلكترونيَّة؛ إذْ تضاعفت المواقع والمنتديات الجهاديَّة بشكلٍ كبيرٍ منذ الإعلان عن تأسيس "الجبهة العالميَّة لقتال اليهود والصَّليبيّين" عام ١٩٩٨،

٣- عنب بلدي أونلاين، **جيش وفيلق ولواء... ابرز الفصائل العسكرية في الغوطة الشرقية**، تاريخ النشر: ٢٩/٤/٢٠١٧. https://enabbaladi.net/archives/146659.

٣- **أيمن الظواهري: كلمة إلى رجال الإعلام الجهادي**، لقاء مع مؤسسة السحاب، تاريخ النشر: ٦/١٢/٢٠٠٧. http://alaqsagate.org/vb/showthread.php?t=24278

وذلك من خلال اثْنَي عشر موقعًا، كما يشير جبرائيل ويمان، إلى أكثر من ستَّة آلاف موقعٍ في العام ٢٠١٠ .[٨][٤][٣]

لا شكَّ بأَنَّ الدَّور الَّذي لَعِبَتْه وسائل الإعلام ومواقع التَّواصل الإجتماعيّ، كان مُهمًّا جدًّا في المنطقة العربيَّة، الَّتي ظَهَر فيها "الرَّبيع العربيّ"، إبتداءً من تونس، عندما انْتَشَرت صور وأخبار حول البوعزيزي، الَّذي أَحْرَقَ نفسه احْتجاجًا على ما تعرَّض له من ظُلْمٍ من قِبَل الشُّرطة، ومُرورًا بما حدث في مصر، وصولًا إلى انْتشار الأخبار حول قتل الرَّئيس بشَّار الأسد لِخَمْسة مُحتجِّين في مدينة درعا . فقد كان الإعلام سببًا[٩] مُهمًّا في انْتشار الإحتجاجات في بعض الدُّول العربيَّة، وفي إسقاط الأنظمة فيها. ذلك أنَّ التَّطوُّر الَّذي طرأ على وسائل الإعلام، قد ساهم في تَوْعِيَة المواطن بحقوقه المحروم من ممارستها من جرَّاء قمع السُّلطة. فلم يَعُد الإعلام محصورًا بأيدي حكوميَّة ورسميَّة فقط، بل أصبح متعدِّد المصادر، منه الرَّسميّ ومنه غير الرَّسميّ، ومنه الإحترافيّ المؤسَّسيّ، ومِنه الفرديّ الَّذي ساهم في نَشْر الثَّورات والأحداث في تونس ومصر وغيرها. أما في سوريا، فقد تمَّ تكريس كافَّة وسائل الإعلام، بشكلٍ كبيرٍ في الأزمة السُّوريَّة، وَعَمِلَت القنوات الإعلاميَّة التَّقليديَّة والإلكترونيَّة المختلفة، على توجيه الجماهير بما يتوافق مع أهدافها السِّياسيَّة .[٥]

فنظرًا لحجم الأزمة السُّوريَّة الَّذي فاق كافَّة الأزَمات الَّتي حدثت في العالم العربيَ، نَجِد أنَّها نالت القدر الأكبر من التَّغطية الإعلاميَّة، سواء العربيَّة أم الدُّوليّة. كما أنَّ اصْطفاف بعض الدُّول الفاعلة مع النِّظام السُّوريّ في مواجهة الدُّول الأُخرى المناهِضة له، أدَّى إلى بروز إعلامٍ مؤيّدٍ للنِّظام، وآخر مُناهِضَ له، في حربٍ إعلاميَّةٍ لا تَقِلُّ شراستها عن الحرب الفعليَّة الدَّائرة على الأرض. وقد لعبت وسائل التَّواصل الإجتماعيّ، دورًا مهمًّا في تغذية الإنقسامات السِّياسيَّة الَّتي حَدَثَت، وَعَمِل على تأجيج الطَّائفيَّة فيها، فكان لها أَثَرًا كبيرًا في توجيه الأفراد نحو رأيٍ سياسيٍّ محدَّد.

وكثيرًا ما اسْتُخْدِمَ مُصطلح التَّضليل الإعلاميّ، من قِبَلِ القنوات المؤيّدة، ومِن قِبَلِ القنوات المُناهضة للنِّظام. مثلًا إتَّهَمَ الإعلام المؤِّيد للنِّظام، القنوات الإعلاميَّة المُناهضة له، بأنَّها

٣- حسن أبو هنية، **تنظيم القاعدة والجهاد الإلكتروني**، مركز الجزيرة للدراسات، تاريخ النشر: أيلول ٢٠١٠.
https://studies.aljazeera.net/ar/files/2010/20117212344313437 23.html

3 - Araz Ahmad, Nazakat in Hamasaeed, **the role of social media in the ‘syrian uprising’**, 2015.
http://ojs.spiruharet.ro/index.php/jedep/article/view/109

٣- خزيم الخالدي، **التغطية الإعلامية للأزمة السُّوريَّة وأثرها في تشكيل الموقف السياسي**، مجلة كلية الفنون والإعلام، السنة الرابعة، العدد السابع، حزيران ٢٠١٩، جامعة مصراتة، ليبيا، ص ١٦٦.

تَعْرِض أحداثًا مُفَبْرَكةً لم تحدَث في سوريا، وذلك بهدف إثارة الرَّأي العامّ ضدَّه. وبالمقابل إعْتَبَرَ الإعلام المُناهضُ للنِّظام السُّوري، بِأَنَّ الإعلام الموالي هو من يُلَفِّقُ الأكاذيب، وهو من يَفْرِض على المواطنين الإدلاء بشهاداتٍ مُلَقَّنة. وهكذا اخْتلَفَت المشاهد والأحداث الّتي كانت تُنْقَل على القنوات الموالية والمناهضة. وقد أدَّى هذا الإختلاف في نقل الحدث السُّوريّ بين المحطَّات الإعلاميَّة، إلى التَّشكيك بمصداقيَّتها. ومن بين إعْلام الدُّول العربيَّة، كان الإعلامُ القَطَرِيُّ هو الأكثر صراحةً في مناهضته لنظام الأسد، وفي المطالبة بِتَنْحِيَتِه. وتماشى هذا الموقف مع الإعلام السُّعوديّ بشكلٍ كبير، إضافة إلى بعض الدُّول الخليجيَّة. وعلينا أن لا نغفل عن دور الإعلام التُّركيّ المُناهض للنِّظام في تلك المرحلة أيضًا. ولكن لم يقتصر دعم تلك الدُّول على بثّ أخبارٍ مناهضةٍ للنِّظام السُّوريّ، بل تَعَدَّاه إلى تمويل وتشغيل قنواتٍ وشبكاتِ اتِّصالٍ إعلاميَّةٍ من داخل تلك الدول، سواء أكانت وسائل إعلاميَّة حديثة أم تقليديَّة، وهي تدعم بشكلٍ مباشرٍ بعض التَّنظيمات الجهاديَّة المقاتلة على الأراضي السُّوريَّة.

لقد أَوْلَت التَّنظيمات الجهاديَّة الإعلام التَّقليديّ ووسائطه الحديثة أهميَّة قصوى في التَّرويج لأطروحاتها الأيديولوجيَّة فكريًّا وعسكريًّا وسياسيًّا، وَسَعَت جاهدةً إلى تمرير رسائل مباشرة وغير مباشرة، عبر المحتوى الإعلاميّ الّذي قَدَّمَتْهُ عبر المِنصَّات المُختلفة، سواء كان هذا المحتوى مكتوبًا أم مسموعًا أم مرئيًّا. كما أَدْرَكَت بعض تلك التَّنظيمات خطورة وأهميَّة الحرب الإعلاميَّة، فقامت بتدعيم صفوفها بجيلٍ مُحترفٍ من الإعلاميّين، فضلًا عن مؤيِّدي التَّنظيم من الشَّباب أصحاب الخبرات التِّقنيَّة المتميِّزة، لتنجح خلال فترةٍ وجيزةٍ في فَرْضِ نفسها وأفكارها إعلاميًّا . وقد تمكَّنت من كَسْب تعاطف جزءٍ كبيرٍ من الرَّأي العامّ بهذه الطَّريقة، إذْ تُدْرِكُ هذه التَّنظيمات تمامًا، الدَّور الّذي يمارسه الإعلام في جعل تنظيمها عابرًا للحدود، فضلًا عن صناعةِ شعبيَّةٍ إفتراضيَّةٍ تفوق الواقع.

ورغم أنَّ التَّنظيمات الجهاديَّة تَسْتَخْدِم بِشكلٍ عامّ وسائلَ التَّواصل الإجتماعيّ بسبب عدم قُدرتِها على امْتلاك وسائل إعلاميَّةٍ تحتاج إلى بُنى تحتيَّة من أبنية ومقارّ ومراكز علنيَّة، أو تلجأ إلى نقل رسائلها إلى شبكات التَّلفزة وتستعملها كوسيلةٍ حصريَّة. إلا أنَّ إعلام داعش قد أظهَر تطوُّرًا تقنيًّا هائلًا في استخدامه أساليب الدِّعاية والإعلام. مُبَلْوِرًا استراتيجيَّةً إعْلامِيَّةً لم يَسْبِق لأيّ من التَّنظيمات الجهاديَّة أن تَوَصَّلَت إليها في إطار ما يُسمَّى "الجهاد الإلكترونيّ".

٣- شريف اللبان ونهى محمد، **استراتيجيات التنظيمات الإرهابية في توظيف الوسائل الإعلامية**، المركز العربي للبحوث والدراسات، آب ٢٠١٩. (acrseg.com)

فقد كان تنظيم داعش، الأبرز على السَّـــاحة الإعلاميَّة، إذ يُوْلِي أهميَّةً قصـــوى للتَّرويج والعمل الإعلاميّ، الّذي أصـبح لا يقلُّ شـأْنًا عن العمل العسـكريّ. وكان نشـاطه مفاجئًا نسـبةً للقدرة الّتي أظهَرها باسْتغلال المواقع الإجتماعيَّة، ليس فقط في نشر أيديولوجيَّته، بل في التَّجنيد والتَّمويل وجمع المعلومات وَضَـخِّها، وبثِّ الشَّـائعات، وتوجيه الرَّسـائل الدَّمويَّة وما إلى ذلك . وقد وَصَـــلَت داعش إلى جمهورها مباشـــرةً دون تعليقٍ أو رقابة، ودون شـــروطٍ تضـــعها تلك المحطَّات، لِنَشْـر أفلامها ورسـائلها. فالتَّنظيم يَعْلَمُ ما تُحَقِّقه وسـائل التَّواصـل الإجتماعيّ، في جعله عابرًا للحدود.

المطلب الأول: دور الإعلام عند تنظيم داعش

يتمتَّع الإعلام بأهميَّة كبيرة داخل هيكليَّة تنظيم داعش، وهو من أكثر التَّنظيمات المُتطرِّفة إدراكًا لأهميَّة الإعلام على اخْتلاف أنواعه في حربه الوجوديَّة، فمنذ بداية تأســـيســـه، أَعْطَى الأهميَّة الإســتثنائيَّة للوســائط الإتِّصــاليَّة في إيصــال رســالته السِّـياسـيَّة ونشــر أيديولوجيَّته الجهاديَّة [٣]. وتتعدَّد وســـائل الإعلام[٣] الّتي اسْـــتعان بها التَّنظيم، مْن تقليديَّة، إلكترونيَّة، إعلامٌ تواصليّ، كاريكاتور وسينما، ويتضاعف تأثيرها وفق المادَّة أو المعلومة المُتداوَلة عبر صفحاتها، وعبر أثيرها ومِنَصَّاتها.

وقد اسْتطاع التَّنظيم من خلال ماكينته الإعلاميَّة، أن يبثَّ الخوف في قلوب دولٍ وشعوبٍ عدَّة، عاكسًـا الأركان الّتي تقوم عليها دولته، والّتي كان على رأســها التَّوَحُّش من خلال الجرائم الّتي تجاوزت حدود التَّصـوُّر الإنسانيّ. فقد اسْتخدم تنظيم داعش البروبَّاغاندا الإعلاميَّة بتقنياتٍ إعلاميَّةٍ حديثةٍ لإظهار قُوَّتِه، وَمِن ثَمَّ لجأ إلى الحرب النَّفســـيَّةِ لإخافة أعدائه [٤]. والبروبَّاغاندا هي "نمط الدِّعاية الّتي تهتمُّ بِنَشــــر المعلومات من خلال توجيه مجموعةٍ مكثَّفةٍ من الرَّســـائل، لتقومَ بالتَّأثير على ســلوك وآراء عددٍ كبيرٍ من الأشــخاص المُسْــتَهْدفين، وتقومُ في أحيانٍ كثيرةٍ

٣- محمَّد مرتضى، **صناعة التوحش**، مرجع سابق، ص ٢٥٧.

٣- محمَّد علوش، **وسائل الإعلام العربية والغربية وموقعها من التنظيمات الدينية المتطرفة**، مؤتمر جماعات العنف التَّكفيري، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، بيروت، أيلول ٢٠١٥، ص ٨.

٣- علي مطر، **أثر التنظيمات المتطرفة على الأمن القومي العربي (داعش أنموذجا)**، أطروحة دكتوراه، الجامعة الاسلاميَّة في لبنان، ٢٠١٩، ص ١٣٩.

على تقديم معلوماتٍ ناقصة، وربما تكون كاذبة ومُلَفَّقة، وَتَعْتَمِد في النَّشر على التَّأثير العاطفيّ، بهدف تغيير جميع ما يتعلَّق بالحالة المُسْتَهْدَفة لصالح أجندات سياسيَّة" .

لقد نَجَح تنظيم داعش في أن يتحوَّل إلى ظاهرةٍ إعلاميَّةٍ أثرَّت في كلّ العالم، وأصبحت أخبارها تُبَثُّ بشكلٍ دائمٍ على أهمِّ القنوات التّلفزيونيَّة والشَّبكات الإعلاميَّة، فقد انْتشرت أخبار تنظيم داعش على مدار السَّاعة في جميع أنحاء المعمورة، واسْتطاع عناصره افْتعال الأحداث دائمًا ليبقى حُضور التنظيم قائمًا إعلاميًّا. ويعود هذا الإهتمام المُبكر بالعمل الإعلاميّ لدى الدَّولة الاسلاميَّة إلى العام ٢٠٠٦، حين أسَّس أبو عمر البغدادي "مؤسَّسة الفرقان"، وانْتدب عليها ناطقًا إعلاميًّا يَبُثُّ كلماتٍ صوتيَّةٍ لأوَّل مرة، وكان بمثابة وزيرٍ للإعلام، عُرِفَ باسْم "محارب الجبُّوري" . وقد اعْتمدت المؤسَّسة على تقنياتٍ متطوِّرةٍ جدًّا، شدَّت انْتباه وسائل الإعلام الكبرى العربيَّة والعالميَّة. كما كان بعض كبار ساسة العالم بانْتظار ما يصدر عن هذه المؤسَّسة الّتي لعبت الدَّور الأكبر في إقناع داعش الدَّولة بأنَّها ما زالت موجودة، وأنَّ ما تغيَّر فقط هو أسلوب خوض المعارك للتَّكيُّف مع الوضع الجديد . كما وشهدت الهيئة الإعلاميَّة لتنظيم داعش، تطوُّرًا كبيرًا بالشَّكل والمُحتوى، وَظَهَرت مؤسَّسات إعلاميَّة عديدة تَتْبَع التَّنظيم. وكان تنظيم داعش قد ضاعف من قدرات جهازه الإعلاميّ، مقارنةً بالتَّنظيم الأمّ القاعدة، مبتكرًا منصَّاته ووسائله الإعلاميَّة. فكانت إذاعة البيان الّتي تُبَثُّ عَبْرَ الموجات القصيرة وعبر الإنترنت، ومجلة رومية الإلكترونيَّة، ومجلة دار الإسلام الّتي تصدر باللُّغة الفرنسيَّة، المُتَحَدِّث باسم التَّنظيم. وأيْضًا "مؤسَّسة أجناد للإنتاج الإعلاميّ" الّتي تَتَخَصَّص بإنتاج الكتب والمجلَّات ومقاطع الفيديو والأناشيد باللُّغات الأجنبيَّة، الإنجليزيَّة والألمانيَّة والفرنسيَّة والروسيَّة .

لقد تعمَّد تنظيم داعش من خلال تقديم محتواه الإعلاميّ، إلى نَشْر مشاهد أعماله العنيفة مع تقديم مبرِّرٍ لها، وهو أنَّه ينتقم للمسلمين في كل بقاع الأرض، في محاولةٍ لإظهار نفسه على أنَّه حامي الشَّريعة. وقد نجح التَّنظيم بِلَفْت انْتباه وسائل الإعلام العالميَّة، من خلال تضخيم مشاهد العنف، مثل طريقة عرضِه للرَّهائن وذَبْحهم مع ظهور الرَّهينة هادئًا، ممَّا أثار

٣- عبد الوهَّاب جابر جمال، **البروباغاندا الإعلامية**، عربي برس، كانون الثاني ٢٠١٨، تاريخ الاستشارة ٣ ٣ ٢٠٢١. https://alarabi.press

٣- علي مطر، **أثر التنظيمات المتطرفة على الأمن القومي العربي**، مرجع سابق، ١٤٠.

٣- محمَّد علوش، **وسائل الإعلام العربية والغربية وموقعها من التنظيمات الدينية المتطرفة**، مرجع سابق، ص ٧.

٣- **إعلام تنظيم داعش ومنصاته**، تاريخ النشر: تشرين الثاني ٢٠١٧، تاريخ الاستشارة ٣ ٣ ٢٠٢٠. المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات (europarabct.com)

فُضـول المُتَلَقِّي، فيحصـل على اهْتمامٍ أكبر بإعلامه. كما اهْتمَّ التَّنظيم باسْـتقطاب مقاتلين جُدد إلى صفوفه من خلال اسْتخدام وسائل التَّواصل الإجتماعيّ على الإنترنت. ومن خلال اسْتغلال العلاقات الإجتماعيَّة داخل المجتمعات الإلكترونيَّة، مُتَوَجِّهًا في خطابه إلى الجيل الشَّـــابِّ من الجهاديِّين الّذي يَسْـهُل عليه اسْـتخدام التِّقنيَّات الحديثة، والتَّطبيقات الفنيَّة على أجهزة الكمبيوتر والهواتف الذَّكيَّة، بالإضافة إلى تركيزه على تجنيد مزيدٍ من المقاتلين الأجانب واسْتغلالهم بشكلٍ خاصٍّ داخل التَّنظيم بشكلٍ يفوق المقاتلين المحليّين .[٩]

وهنـا لا بـدَّ من الإشـــارة إلى أنَّ داعش لم يَنْتَظِر أن يـأتي إليـه المقـاتلون كمـا بـاقي التَّنظيمات، بل تحرَّك بنفسه باتِّجاه الحصول على مزيدٍ من المُقاتلين من ذَوي الخبرات الخاصَّة، من مُهندســي المتفجِّرات وخبراء الإعلام والأطبَّاء. كما عَمِل على إظهار ضَـعْف المُناهضــين والمنشَـقِّين والتَّنظيمات المُنافسـة عن طريق التَّشـكيك في عقيدتهم بهدف الحصـول على بَيْعاتٍ جديدة. كما اهتمَّ تنظيم داعش بِتَحسـين الصُّـورة الذِّهنيَّة لهُ عبر المُحتوى الإعلاميّ المُقَدَّم، من خلال إظهار الصُّوَرِ الملائكيَّة لأعضاء التَّنظيم فيما بينهم، واصـفين جنود التَّنظيم بأنَّهم أشدَّاء على الكفار رحماء بينهم. فضلًا عن عرضِ مُقاتليه في حالة من الرَّاحة والرَّفاهية، وهم يُمارسون حياتهم اليوميَّة الإعتياديَّة مثل بقيَّة البشر، داخل بيوتٍ فخمةٍ وقصـورٍ بصـحبة عوائلهم، عكس ما كان عليه الجيل الأوَّل من مقاتلي القاعدة الّذين كانوا يعيشون في كهوف الجبال .

إستطاع تنظيم داعش الإعتناء بِنَقْلِ تفاصيل أخباره، صَوْتًا وصورة، وأوَّلًا بِأَوَّل، عن طريق مواقع "يوتيوب" و"فيس بوك" و"تويتر" و"انستغرام" و"تمبلر"، الّتي تُسْهِم بشكلٍ كبيرٍ في صناعة بروبَّاغندا له. كما وتُســـهِمُ بتضـــخيم حجم ســـيطرته ونفوذه، وبثِّ الرُّعب والخوف في نفوس خصـــومه. وما يثير للإعجاب، تلك المجموعات البشـريَّة الكبيرة الّتي تعمل للتَّنظيم كَحِســاباتٍ خاصَّــة، من الواضـح أنَّها غير مدفوعة الأجر، ويعملون بدافع أنَّه دِفاعٌ عن عقيدتهم. ومِن هذا المنظار، يُعتَبَر داعش من أكثر التَّنظيمات الجهاديَّة اهْتمامًا بشـــبكة الإنترنت وبالمســـألة الإعلاميَّة، وأصــبح مصــطلح "الجهاد الإلكترونيّ" أحد أركانه الرئيســة .[١] وقد شَـغَّلَت الدَّولة الاســـلاميَّة تطبيقاتٍ عدَّة للأندرويد، بما في ذلك تطبيق "فجر البشـــائر"، الّذي يُقيمُ رابطًا من معلومات المُستخدِمين الشَّخصيَّة، ويَنْشر رسميًّا محتويات مُنَسَّقة للمجموعة عبر حساباتهم. ولم تكتفِ وسـائل التَّواصـل الإجتماعيّ باجْتذاب المُجَنَّدين وبالإهتمام الدُّوليّ فحسـب، بل اسْـتَخْدَمَها

٣- شريف اللبا ن ونهى محمد، **استراتيجيات التنظيمات الإرهابية في توظيف الوسائل الإعلامية**، مرجع سابق.

٣- المرجع نفسه.

٣- محمَّد مرتضى، **صناعة التوحش**، مرجع سابق، انظر ص ٢٥٧ – ٢٥٩.

المُجَنَّدون المُحْتَمَلون أيضًا، لتنسيق وصولهم إلى سوريا، ولِتأمين التَّزكية. ومن خلال تشغيل شبكةٍ مُنَسَّقةٍ من حسابات التَّواصل الإجتماعيّ، المترابطة فيما بينها، تمَكَّنت الدَّولة الإسلاميَّة من الحفاظ على اتِّساق رسائلها بِلُغَاتٍ متعدِّدة.

ومن ضمن أساليبه الدِّعائيَّة، إعْتمد التَّنظيم الحرب النَّفسيَّة الإعلاميَّة مُستخدمًا أساليب مختلفة، للتَّأثير على مشاعر وسلوكيَّات المُتَلقِّي. فقد ركَّز من خلال البروبَّاغاندا الصَّادمة، على إبراز عناصر قُوَّتِه بطريقةٍ وحشيَّةٍ تَسْتَفِزُّ المشاعر. كما كان اخْتياره للوسيلة الإعلاميَّة الّتي يُزَوِّدها بتسجيلاتٍ صوتيَّة، أو فيديوهات تتعلَّق بعمليَّاته أو تصريحاته أو مواقفه، كان ذلك مرتبطًا بطبيعة النَّشاط الّذي يريد تسويقه، أو ما يتعلَّق بالمنطقة المُستهدَفة. وقد اسْتطاع من خلال هذا الأسلوب، أن يَصْعَدَ إعلاميًّا بشكلٍ كبير، وذلك إضافةً إلى أنَّه يملك مجموعةً كبيرةً جدًّا من المواقع الإلكترونيَّة والمنتديات والحسابات على مواقع التَّواصل الإجتماعيّ.

كما ويَنْشُر التَّنظيم الإعلانات عن مبادراته في مجال التَّنمية، وذلك إذا اسْتَشْعَرَ أن السُّكان المحليّين قد بدأوا بالتَّململ. أمَّا إذا اسْتَشْعَر احْتمالًا متزايدًا لحدوث مواجهات سياسيَّة أو عسكريَّة، فإنَّه يَنْشِر صورًا أكثر وحشيَّة، لِبَثِّ الخوف في نفوس خصومه. وقد ساعدت التَّكتيكات ذات الكلفة العالية والعائدات الأعلى، التَّنظيم في تحقيق مكاسب عسكريَّة ودِعائيَّة في آن، وهي تُسَمَّى أحيانًا "الدِّعاية من خلال الفعل". فبمقدور التَّنظيم اسْتخدام الدِّعاية بشكلٍ فعَّالٍ للغاية، لأنَّ عمليَّاته الإعلاميَّة مركزيَّة إلى حدٍّ بعيد، فضلًا عن أنَّه يتحكَّم بِدِقَّة بما يُنْشَر وبتوقيته. وإثْرَ نجاحه بإلقاء الرُّعب في النُّفوس تجاهه، تمكَّنَ من السَّيطرة على بعض المناطق بدون أي مواجهةٍ عسكريَّة، إنَّما لِمُجرَّد إعلانه عن عزمه مهاجمتها، وهذا الأمر إنَّما يدلُّ على تفوُّقه في الحرب النَّفسيَّة الّتي خاضها.

ونُشير هنا إلى تجربة مجلة "دابق" الّتي صدرت عن التَّنظيم، والّتي مثَّلت نموذجًا لافتًا بسبب التَّمَيُّز المُبْهِر والمُحْتَرِف على مستوى الإخراج الفنّي، والّذي جعل المجلة أشبَه بالمجلَّات العالميَّة، مثل "تايم" و"نيوزويك"، فضلًا عن التَّميُّز التَّحريريّ المُلفت للنَّظر. حتّى أصبحت المجلَّة محطَّ أنظار، ومحطَّ مُتابعةٍ من أكبر وأهمّ وسائل الإعلام العالميَّة، لِنَقْل ومتابعة أخبار التَّنظيم، بالإضافة إلى صدورها بأكثر من لغة. فقد اسْتطاعت المجلَّة أن تُقَدِّم صورةً ذهنيَّةً حول إعلام "داعش"، بِإِعْلامٍ مُنَظَّم أقربَ لإعلام الدَّولة منه إلى إعلام جماعة إرهابيَّة. وَتَظْهر الدَّعوة

٣- تشارلز ليستر، **تحديد معالم الدَّولة الاسلاميَّة**، مرجع سابق، ص ٢٠.

٣- محمَّد مرتضى، **صناعة التوحش**، مرجع سابق، ص ٢٦٢.

٣- علي مطر، **أثر التنظيمات المتطرفة على الأمن القومي العربي**، مرجع سابق، ١٤٣.

للهجرةِ بشكلٍ واضحٍ من خلال مقالٍ تمَّ نشره بالعدد الأوَّل لمجلَّة "دابق"، حيث طَلَبَ التَّنظيم من كلِّ المسلمين الهجرة إلى العراق والشَّام، لأنَّ هذه الأراضي ليست فقط للسُّوريّين أو العراقيّين، بل لجميع المسلمين، كما وَجَّهَ دعوةً بشكلٍ خاصٍّ للمُهندسين والأطباء والطُّلاب والخبراء، باعْتبار أنَّهم قُدوةٌ لباقي النَّاس، كما أنَّ لديهم واجبٌ دينيٌّ بمساعدة باقي النَّاس، لِفَهم عقيدتهم وتقديم خدماتهم للدَّولة الاسلاميَّة، واصفًا الهجرة بأنَّها فَرْضُ عَيْنٍ على كُلِّ مسلم [٥]. ولكن سرعان ما تَوَقَّفت المجلَّة لأسباب ربَّما تتعلَّق بالتَّمويل، أو الهزائم العسكريَّة الّتي لاقاها التَّنظيم لاحقًا.

أمَّا أفلام داعش، فلا تقتصر في رسائلها على الصُّورة واللِّباس المُوَحَّد الّذي يرتديه عناصر التَّنظيم والمُعدَمين، بل يمتدُّ إلى المؤثِّرات المرئيَّة والمسموعة. كما أنَّ قوَّة اسْتراتيجيَّة التَّنظيم الإعلاميَّة لا تقتصر على الأفلام. بل تُركِّز على مواقع التَّواصل الإجتماعيّ، وبثِّ إصداراتٍ صوتيَّةٍ وألعابٍ إلكترونيَّة، إضافةً إلى إنتاج فيديوهات عالية التِّقنيَّة، صادمة للعقل وللمنطق وللإنسانيَّة، تفوق العادة، وتَحْمِل في طيَّاتها العديد من الرَّسائل والأهداف، فَتَحْصل على فرصةٍ كبيرةٍ جدًّا في الإنتشار، باسْتخدام وسائل إعلامٍ إقليميَّةٍ ودوليَّة، تُعْتَبَر سياستها معاديةً للتَّنظيم وأفكاره، ولكن بنفس الوقت، تُقَدِّم له فرصة إرسال رسائله لجمهوره المُستهدَف. وباخْتياره للصُّورة المُؤَثِّرة، يتْبع التَّنظيم خطَّة مُنَظَّمة، ويَنْتَقي الموارد الّتي يقوم بنشرها، ويختار صوَرًا كاريكاتوريَّة قد يكون لها وَقْعٌ قويّ، يُفترَض أن يُوَلِّد شعورًا بالخوف لدى أعدائها، وأن يحصل على إعجاب مجموعاتٍ متطرِّفةٍ أُخرى. وعكس غيره من التَّنظيمات الجهاديَّة، كجبهة النُّصرة، لا يَهْتمُّ داعش كثيرًا بصورته لدى العامَّة، ونادرًا ما يَنْشر صورًا لأعماله الخيريَّة أو الخدمات الّتي يوفِّرها في المدن الّتي يُسَيْطر عليها [٦]. كما عمل داعش على التَّأكيد دائمًا بأنَّ في صفوفه عباقرةً في فنون التَّصوير والمونتاج، ويُعتَبَرون من المسؤولين الأوائل عن إعداد الفيديوهات الّتي تُنشر عبرَ الوسائل الإعلاميَّة ولاسيَّما الفضائيَّة منها. أمَّا الخصائص الفنيَّة لِسينما داعش، والّتي تُعْتَبر مِنَ الوَسائل الإعلامية المُؤَثِّرة في تشكيل الرَّأيِ العامِّ المُؤَيِّد لأَيْديولوجيةِ داعش، فَتَتَرَكزُ في: أولًا، العناوين الفارقة؛ حيث أنَّ أهمَّ ما يُمَيِّز أفلامه هو أسماؤها الّتي تتراوح بين اقْتباساتٍ قرآنيَّةٍ أو صيغٍ تَخْتَزِلُ مضمون الفيلم بصورة شِعْرِيَّة، وعادةً ما تكون

٣- شريف اللبان ونهى محمد، **استراتيجيات التنظيمات الإرهابية في توظيف الوسائل الإعلامية**، مرجع سابق.

٣- أسرار شبارو، جريدة النهار، **"هوليود داعش" وأفلامه تهز العالم**، //https://www.annahar.com/..../248773

٣- تريز منصور، **إعلام داعش: الوسائل والخطاب الدعائي والتقنيات**، مجلة الدفاع الوطني، العدد ١٠١، لبنان، نيسان ٢٠١٧.

مُرتبطَةً بالسِّـــلاح وبالفعل الماديّ للجهاد. ثانيًا، تَســـتهدف داعش جمهورًا متنوعًا بهدف جَذْبِ الجهاديّين من كافَّة أنحاء العالم. ثالثًا، الموسيقى التَّصـويريَّة الّتي تَضْـطلع بدورٍ بارزٍ في البناء الدْراميّ للفيلم. رابعًا، المؤثِّرات البَصَـريَّة والّتي تختلف قدرتها على الجذْب باخْتلاف المؤسَّـسـة المَنْتِجَةِ والجمهور المُسْـتَهْدَف. خامسًـا، أُسـطورة الجهاديّ، بحيث يبدو المقاتلون وكأنَّهم فرسـانٌ خرجوا من الكتب أو من أحاديث التُّراث مع رسم مَعَالِمَ جماليَّة للعنف. سادسًا، الحبكة الّتي تُبنى على أساسها هذه الوثائقيَّات البسيطة مع الإعتماد على تسلسلٍ زمنيّ . [٨]

ومن خلال هذا العرض المُوجَز، نُلاحظ بأنَّ إعلام تنظيم داعش، يَسْتَحِقُّ بأن تتمَّ الإضاءة عليه نظرًا لاحْترافه من جهة، ونظرًا للدَّور الكبير الّذي اسْـــتطاع من خلاله الدُّخول إلى أذهان العالَم، سواء بطريقة إيجابيَّة أم سلبيَّة. ولا شكَّ بأنَّ ماكينته الإعلاميَّة قد خَدَمَتْه في معاركه في الميدان السُّوريّ.

المطلب الثاني: إعلام جبهة النُّصرة

رغم أن إعلام جبهة النُصرة، لم يكن على مستوى إعلام داعش، إلا أنَّه لَعِبَ دورًا بارزًا في السَّـاحة الإعلاميَّة أيضًـا. لكنَّه اكْتفى من خلال إعلامِه التقليدي، بِنَشْـر بياناتٍ صـحفيَّةٍ متفرّقةٍ تَحْمِل أخبارَ التَّنظيم في أماكن تواجُدِه، وفي أماكن المعارك الّتي يخوضـــها، وقد جاءت هذه البيانات في مُجملها فقيرةً في التَّصـــميم والإخراج، يَغْلِبُ عليها الطَّابع الخبريّ، بحيث تراوحت الفنون الصّـــحفيَّة الّتي تمَّ توظيفها ما بين الخبر والتقرير والقصَّـــة الخبرية والتَّقرير المُصَـــوَّر والمقال . [٩] [٦] [٣]

أمَّا على صـعيد الإعلام الحديث، فقد اسْـتطاع توظيف شـبكات التَّواصـل الإجتماعيّ في خدمة مشـروعه التَّوسُّـعيّ والإسـتقطابيّ لمرحلة ليسـت بقصـيرة، كما فَعَلَت أغلب التَّنظيمات الجهاديَّة. لكنَّه حرص على أن تكون صـورته سِلميَّة وغير عنيفة، كما فعل تنظيم داعش، الأمر الذي جعله أكثر اسْـــتمالة من قِبَلِ جزءٍ لا يُســـتهان به من الجهاديّين. وعلى الرغم من تَحَوُّل التَّنظيم إلى "هيئة تحرير الشَّـام" لاحقًا، إلا أنَّ دوره الإعلاميّ بقي ذو أهميَّة لا يُسـتَهان بها في تعزيز موقفه. أمَّا أبرز مؤسَّسات الهيئة الإعلاميَّة، فهي على الصَّعيد الرَّسمي "المنارة البيضـاء" وشـبكة "إباء"، إضــافة إلى عشـرات المؤسَّـســات والمواقع والصَّـفَحات، وَرَيْعٍ كبيرٍ من "الذُّباب

٣- الخصائص الفنية لسينما داعش، موقع أخبارك، تاريخ النشر: ٢٠١٨، على الرابط:
https://akhbarak.net/news/8934882/articles/22472269

٣- شريف اللبا ن ونهى محمد، **استراتيجيات التنظيمات الإرهابية في توظيف الوسائل الإعلامية**، مرجع سابق.

الإلكترونيّ". وقد اتَّبَعَت "هيئة تحرير الشَّام" وسائل وأساليب عدَّة في الحرب الإعلاميَّة، من خلال ماكينةٍ إعلاميَّةٍ كبيرة، تُدار في غُرَفٍ مُغْلَقَةْ وَتُشْرِفُ عليها شخصيَّاتٌ أجنبيَّةٌ مُدَرَّبة .

المطلب الثالث: الصِّراع بين أقطاب المُعارضة

لا شكَّ أنَّ الإعلام يلعب دورًا مهمًا في التأثير على الرَّأي العام، كذلك في التَّأثير على معنويَّات العدوِ من خلال الحرب النَّفسيَّة الّتي تَهْزِمُه من الدَّاخل، وتُحَقِّقُ النَّصر بأقلِّ كِلفةٍ مُمْكِنةٍ سواء على مستوى المَوارِدِ البشريَّة أم المعنويَّة أم الماديَّة أم الزَّمنيَّة. وغالبًا ما تكون المُعارضة لأيّ نظامٍ بحاجةٍ ماسَّةٍ إلى وسائل إعلاميَّةٍ تُساعدها على إيصال رسالتها إلى الجمهور المُسْتهدف، وتوضيحِ رؤيتها ومواقفها من الأحداث الجارية. ولكن أيَّ إستراتيجيَّةٍ إعلاميَّةٍ تَذْهَبُ سُدىً إذا لم يكن هناك تعاونٌ وتنسيقٌ مُثْمِرٌ ومُسْتَمِرٌ بين فصائل المُعارضة، وهذا ما حدث في سوريا. فَقَد وَقَعَت أطراف المُعارضة في نزاعاتٍ جانبيَّةٍ كبيرةٍ طمعًا بالمال والسُّلطة، ما حرَّفها عن أهدافها، وشكَّل مُنعطفًا مُهِمًّا للنِّظام الحاكم في سبيل اسْتعادة قُدْرَتِهِ على التَّحَكُّم بِمَسار الأمور، واسْترجاع المساحة الجغرافيَّةِ الّتي تُسَيْطِر عليها المُعارضة المُسلَّحة على ربوع الوطن" .[3]

وفي هذا السِّياق، يرى بعض الباحثين أنَّ " تمسُّكُ فصائل المعارضة السُّوريَّة المُسلَّحة بطابع المناطق وصراعاتها الدَّاخليَّة، وفشلها الذَّريع في التَّوَحُّد عسكريًّا، يَكْشِفُ عُمْقَ الأزمة الّتي تَعْصِفُ بها وَتُكَبِّدُها خسائر متلاحقة طيلة الفترة الماضية.... مرَّت فصائل المُعارضة المُسلَّحة بمرحلتين؛ الأُولى وهي مرحلة الصُّعود، وقد سَيْطَرت خلالها على أكثر من ٧٠% من مساحة سوريا، وانْتهت هذه المرحلة عَمَليًّا مع نهاية عام ٢٠١٤.... وأمَّا المرحلة الثَّانية، فقد اتَّسَمَت بالهبوط والإنكسار والإنزياح عن الأهداف المُعْلَنَة.... هذا التَّبايُن صَبَغَ مرحلة الإنكسار بصراعٍ داخليٍّ وَصَلَ إلى اقْتِتالٍ دام، ومعارك ذات طابعٍ اسِتئصاليّ، بسبب اخْتلاف المشاريع بينها، وكذلك بسبب الصِّراع على السُّلْطة والنُّفوذ، وهو ما عزَّز الإنتقال من قادة جماعات ثَوْرِيَّةٍ إلى أُمَراء حرب.... وقد أَفْرَزَ الصِّراع حالة تنافُسِيَّة وَصَلَت إلى النِّدِّيَّة المُطْلَقة.... وفي هذا الإطار، فإنَّ الصِّراع والإقتتال الدَّاخليّ، وبِنَظْرَةٍ على أبرز وقائِعِه، يبدو بلا هُوِيَّة محددة.... فقد وقع تارَّةً بين فصائلَ لها ذات مرجعيَّة فكريَّة، إمَّا كفصائل جيشٍ حرَّك الإقتتال بين فرقة السُّلطان مراد

٣- شبكة شا م، **تحت المجهر.... الإعلام الرسمي والرديف لـ"هيئة تحرير الشام"**، تاريخ النشر: كانون الثاني ٢٠٢٠. http://www.shaam.org/news/syria-news

٣- رأفت الرفاعي-غازي عنتاب، هل **باتت المعارضة المسلحة عبئا على الثورة السورية؟**، تاريخ النشر: ١/١/٢٠١٨، تاريخ الزيارة: ٦/٢/٢٠٢١، على موقع الجزيرة، على الرابط:
https://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews

والجبهة الشَّـاميَّة، أو الإقتتال بين فصـائل جهاديَّةٍ وأُخرى مُصَـنَّفَةٍ ضـمن إطار الجيش الحُرّ، كحرب الإستئصـال الّتي خاضـتها جبهة النُّصـرة بمواجهة فصـيل ثوَّار سـوريا، أو حتى الإقتتال بين فصائل جهاديَّة، كالإقتتال بين حركة أحرار الشَّام وجبهة النُّصرة.

لقد تنوَّعت حركات الإسلام السِّياسيّ، ودَخَلَت حلبة الصِّراع في سوريا، ومَارَسَت العُنف، وخاضَـت صِـراعاتٍ مريرةٍ معَ النِّظام الحاكم وحلفائه من جهة، وارْتكبت المجازر بحق المدنيِّين وَزَرَعَت الرُّعب في نفوسهم بإسم الإسلام، وخاضـت صراعاتٍ عسكريَّةٍ مريرةٍ فيما بينها أيضًـا، بسبب الخلافات على المال والسُّلطة.

لقد اخْتلفت أبعاد الإسـتراتيجيَّة الإعلاميَّة الّتي اتَّبَعَها كلّ تنظيمٍ من التَّنظيمات الّتي تُطْلِقُ على نفسـها لقب "جهاديَّة" لِتَحْقيق كلّ هدفٍ اتِّصـاليّ خاصّ به بشكلٍ مُخْتَلف، فَلِتَحْقِيق التَّجنيد والتَّوظيف، إسْـتغلَّت بعض التَّنظيمات حالات القمع داخل الدُّول العربيَّة مع توظيف العبارات الّتي تحمل الودَّ والقُرب عند مخاطبَةِ الشَّـباب، والتَّركيز على إبراز دورهم داخل التَّنظيم. بينما تَعَمَّدَت تنظيماتٌ أُخرى سَـرْدَ الفتاوى الشَّـرعيَّة والأحاديث الدِّينيَّة، وَسَـرْد قِصَـصٍ تاريخيَّةٍ عن المُحاربين من صـحابة النَّبيّ محمّد، مع التَّركيز على إعلاء قيمة الشُّـهَداء من مُقاتِلي التَّنظيم. وذلك بهدف إضْفاء الشَّرعيَّة الدِّينيَّة على ممارساتها الإرهابيَّة. كما حرصت تلك التَّنظيمات على تحسين الصُّـورَةِ الذِّهنيَّة لها من خلال الحِرص على نشـر صـور الحياة الطَّبيعيَّة بالوِلايات الّتي تَقَعُ تحت سـيطرتها، وإبراز تطبيق الأحكام الشَّـرعيَّة على الخارجين عنها، وبعضـها قام بإبراز حياة التَّرَفِ والرَّاحَةِ لأعضـاء التَّنظيم. بالإضـافة إلى التَّشـكيك المُسْـتَمِرّ في عقيدة التَّنظيمات المُنافِسة أو المُنْشَقَّةِ عنها، واسْتخدام خطابٍ هجومِيٍ عنيفٍ ضدَّ التَّنظيمات الأُخرى، مع تسليط الضَّـوءِ على الجماعات المُبَايِعة، والأعضـاء المُنْضَـمِّين، من أجل إبراز ضَـعْفِ التَّنظيمات الأُخرى، وَلِخَلْقِ حالةٍ من الفزَعِ العامّ مِن قُوَّةِ التَّنظيم وتهديده لأنظمة الدُّول.

الفصل الرابع: الصِّراع في سوريا ومحاولات التَّسوية السِّياسيَّة

تُعْتَبَرُ سوريا مِن أهمِّ المراكز الجيوسياسيّة والإقتصاديّة بالنِّسبة لأطراف المعادلة الدُّوليّة الرَّئيسيّة، فموقع سوريا على ضِفَّة البحر الأبيض المتوسِّط الشّرقيّة، يَجْعَلُها بوَّابةً ساحليّةً للقارّة الآسيويّة. وَيَرْبِطُ موقعها بين القارَّات الثَّلاث، آسيا وأوروبا وأفريقيا، وهي بذلك تقع على تقاطع خطوطِ التَّبادُل والتِّجارة بين هذه القارات. وهذا الموقِع لسويا، جعل دولًا عِدَّة، تسعى للسَّيطرة على سوريا من أجل عِدَّة أهداف، من بينِها مَدُّ خطوط الطَّاقة من الخليج العربيّ إلى أوروبا، عبر سوريا. كما أنَّ تَمَوْضُعَ سوريا في شمال فلسطين، يجعل مِنْها هدفًا أساسيًّا لـ"إسرائيل" الّتي تسعى لاحْتوائها، من أجل تنفيذ مُخَطَّطاتها في المنطقة، وهذا العامل يُعطي سوريا أهميَّة جيوسياسيّة كبيرة جدًا. ولكن بالتَّوازي، يُعطي سوريا نقطة قوَّةٍ هامَّةٍ تَفْرِضُها الحسابات الدُّوليّة. كما أنَّ غِنى سوريا بالثَّروات الطَّبيعيَّة والبشريَّة والحضاريَّة، بالبترول والغاز الطَّبيعيّ يَجْعَلُها محطَّ أنظار الكثيرين. فكيف كان التَّعاطي الدُّوليّ والإقليميّ حيال الأزمة السُّوريَّة؟ وإلامَ سيؤول دور الإسلاميّين في سوريا في ضوء إيجاد تسوية سياسيَّة؟

المبحث الأول: التَّدخُّل الإقليميّ والدُّوليّ

بعد التسونامي الّتي ضَرَبَت العالم العربيّ في العام ٢٠٠٩، وسُمِّيَت بـ "الرَّبيع العربيّ"؛ وَأَدَّت إلى سقوط أنظمةٍ كما في تونس ومصر، عَبْرَ تَدَخُّلٍ مباشرٍ وغير مباشر؛ كانت الأزمة السُّوريَّة الّتي بدأت في العالم ٢٠١١، وكان من خَلْفِها المحور الأميركي – الأطلسي، مدعومًا من بعض الدُّول العربيَّة، ولاسيما الخليجيَّة منها، الّذي كان له دورًا سياسيًّا ولوجستيًّا وماليًّا وإعلاميًّا مباشرًا وغير مباشر، وسرّي وعلني، للسَّيطرة على سوريا ووضعها في طَرَفِهِ ضِمن المُعادلة الدُّوليّة. وفي المقابل كان التَّدخُّل من قِبَلِ المِحور الأوراسي، بقيادة روسيا، الّتي ترى في سوريا الحليف الإستراتيجيّ الهامّ، وَمَوْطِئَ قدم روسيا في البحر المتوسط. وبمشاركة إيران بشكل مباشر أو عبر حلفائها بالوكالة. من هنا كان لا بُدَّ من دراسة المواقف الدُّوليّة والإقليميَّة في سوريا، وتداعياتها، ولاسيَّما أنَّها أثَّرَت على الصَّعيدين الدَّاخليّ مِن حيث اسْتقرار النِّظام، والخارجيّ من حيث تأثيره على الأمن في منطقة الشَّرق الأوسَط؛ وكذلك على موازين القِوى العالميَّة[٢][٧][٣].

3 - European Asylum support office, **Syria actors, EASO**, report, 2019, p. 4.

المطلب الأول: المحور الأطلسي–الأميركي

إنَّ تدخُّل الولايات المتَّحدة الأميركيَّة وحلفائِها في سوريا أمرٌ واضح، حيث تتواجد القوات الأميركية حتى السَّاعة فيها، دون إِذْنٍ من الحكومة السُّوريَّة، الّتي تَعْتَبِرُهُ احْتِلالًا غير مشروعٍ لأراضيها. عِلْمًا أنَّه لا يوجد في ميثاق الأُمَم المتَّحدة ما يُسَوِّغ لأيَّةِ دولةٍ التَّدخُّل في الشُّؤون الدَّاخليَّة لدولة أُخرى، إلا في حالاتٍ اسْتثنائية، كما أن مبدأ "المسؤوليَّة عن الحماية"، لا يُعطي الحقَّ القانونيّ للتَّدخُّل. فإذا ما قرَّرَ مجلس الأمن أن الوَضْع يُمَثِّل خَرْقًا أو تهديدًا للسَّلام والأمن الدُّوليّين، فسيتوافر لديه حُجَّة التَّفويض الّتي تُحَدِّد اسْتخدام الوسائل العسكريَّة الرَّامية لاسْتعادة السَّلام والأمن، وذلك إن لم تُفلِح الوسائل غير العسكريَّة . وهذه القرارات، تَسْتَلْزِمُ موّافقة جميع الأعضاء الدَّائمِين في مجلس الأمن، الأمر الّذي لا يَنْطَبِقُ على الحالة السُّوريَّة، ممَّا يجعل قانونيَّة التَّدخُّل دون موافقةٍ صريحةٍ من مجلس الأمن في موقع الشَّك.

وقد عَرَّف أحد كبار فقهاء القانون الدُّوليّ، الألمانيّ شتروب، التَّدخُّل بقوله: هو تَعَرُّض دولةٍ للشُّؤون الدَّاخليَّة أو الخارجيَّة لدولةٍ أُخرى، في شأنٍ ما في شؤونها الخاصَّة، دون أن يكون لهذا التَّعرُّض سَنَدٌ قانونيّ. إنَّ الأصل في التَّدخُّل غيرَ جائز، وهذا ما أكَّدَته مواثيق المنظَّمات الدُّوليّة وقراراتها، حفاظًا على حقوق الدُّول الّتي تَقْضِي بإلزام الدُّول بتلك الحقوق . وهذا ما يُؤَدِّي إلى النَّيْل من سيادة واسْتقلال الدُّول.

إن المنطق السَّليم دائمًا ما يُفَكِّر بالحلول السِّلميَّة للمُنازعات، حيث "يفرض ميثاق الأمم المتَّحدة على الدُّول الأعضاء، واجب التَّسوية السِّلمية لمُنازعاتِها، وَيَجْعَلُ هذه التَّسوية من مقاصد الأمم المتَّحدة ومبادئها. ويخصّ الميثاق فصلًا خاصًّا، هو الفصل السَّادس، لمعالجة موضوع التَّسوية السِّلمية للمنازعات، وَيَعْهَدُ بمهمَّة التَّسوية إلى الجمعيَّة العامَّة، أو إلى مجلس الأمن أو إلى المنظَّمات الإقليميَّة"[٥] .[٧]

نَصَّ أيضًا البروتوكول الإضافي الأول في جنيف ١٩٧٧، بأنَّه "مِن واجب كلّ دولةٍ وفقًا لميثاق الأمم المتَّحدة، أن تمتنع في علاقاتها الدُّوليّة، عن اللُّجوء إلى التَّهديد بالقوَّة، أو إلى

---

١ ٣- وفقًا للمادة ٣٩ من الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة.

١ ٣- موسى موسى، **مفهوم التَّدخُّل الدُّوليّ ومشروعيته**، على الرابط: reading.almarja.net

١ ٣- محمَّد المجذوب، **القانون الدُّوليّ العام**، الطبعة السادسة، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٨٠٩

اسْتخدامها انْتِقاصًا من سيادة دولة، أو سلامة أراضيها، أو اسْتقلالها السِّياسيّ، أو أن تتصرَّف على أيّ نَحْوٍ مُنافٍ لأهداف الأمم المتَّحدة" .[٦] [٧]

وفي هذا السِّـياق، تُؤَكِّد الجمعيَّة العامَّة من جديد، وِفقًا لميثاق الأمم المتَّحدة، أنَّه لا يحقُّ لأيَّة دولة، أن تتدخَّل بشـكلٍ مباشـر أو غير مباشـر، ولأيّ سـببٍ كان، في الشُّـؤون الدَّاخليَّة والخارجيَّة لأيَّة دولةٍ أُخرى؛ كما أنَّ من واجب جميع الدُّول أن لا تُهَدِّد باسْـــتعمال القوَّة، أو أن تستعمل القوَّة ضدَّ سيادة الدُّول الأُخرى، أو اسْتقلالها السِّياسيّ أو سلامتها الإقليميَّة؛ وإذ ترى أن أيَّ انْتهاك لمبدأ عدم التَّدخُّل بجميع أنواعه في الشُّـؤون الدَّاخليَّة والخارجيَّة للدُّول، يُشَـكِّلُ تهديدًا لِحُرِّيَّة الشُّـعوب، ولِسِـيادة الدُّول واسْـتقلالها السِّـياسـيّ، ولسـلامتها الإقليميَّة، وتهديدًا لتنميتها السِّـياسـيَّة والإقتصـاديَّة والإجتماعيَّة والثَّقافيَّة؛ وإذ ترى أنَّ صُـدور إعلان عدم جواز التَّدخُّل في الشُّـــؤون الدَّاخليَّة للدُّول وحماية اسْـــتقلالها وســـيادتها، وإعلان مبادئ القانون الدُّوليّ المُتَعَلِّقة بالعلاقات الوِدِّية والتَّعاون بين الدول، وفقًا لميثاق الأمم المتَّحدة، ووِفقًا لتعريف العُدوان، الّذي يُسْهِمُ في تحقيق مقاصد ومبادئ ميثاق الأمم المتَّحدة؛ فهي تُعْلِنُ رسميًّا ما يلي:

- لا يحقُّ لأيَّة دولةٍ أو مجموعةٍ من الدُّول أن تَتَدَخَّل، بصـورةٍ مباشـرة أو غير مباشرة، لأيّ سببٍ كان، في الشؤون الدَّاخليَّة والخارجيَّة للدول الأخرى.

- يَشـمل مبدأ عدم التَّدخُّل في الشُّـؤون الدَّاخليَّة والخارجيَّة للدُّوَل الحقوق والواجبات التَّالية:

-سيادة جميع الدول، واستقلالها السِّياسـيّ، وسلامتها الإقليميَّة، ووحدتها الوطنيَّة، وأمنِها، فضلًا عن الهوية الوطنيَّة، والتُّراث الثَّقافيّ لسكانها.

-حقّ الدَّولة السِّـياديّ غير القابل للتَّصـرُّف في تقرير نظامها السِّـياسـيّ والاقتصـــاديّ والثَّقافيّ والإجتماعيّ بِحُرِّيَّة، وفي تنمية علاقاتها الدُّوليّة وفى ممارسـة سـيادتها الدَّائمة على مواردها الطَّبيعيَّة وِفقًا لإرادة شـعبها، دون تَدَخُّلٍ أو تَداخُلٍ أو تخريبٍ أو قسرٍ أو تهديدٍ من الخارج بأيّ شكلٍ من الأشكال.

-حقّ الدُّوَل والشُّـعوب في الوصــول الحرّ إلى المعلومات، وفى تطوير نظامها الإعلاميّ ووســـائط إعلامها الجماهيريّ تطويرًا تامًّا دون تدخُّل، وفي

---

٦ ٣- الملحق (البروتوكول) الأول الإضافي إلى اتفاقيات جنيف ١٩٧٧، اللجنة الدُّوليّة للصليب الأحمر. www.icrc.org

اسْتخدام وسائط إعلامها الجماهيريّ، في تعزيز مصالحها وأمانيها السِّياسيَّة والإجتماعيَّة والإقتصاديَّة والثَّقافيَّة، اسْتنادًا إلى جملة أمور، منها المواد ذات الصِّلة بالموضوع من الإعلان العالميّ لحقوق الإنسان، ومبادئ النِّظام الإعلاميّ الدُّوليّ الجديد [٧] [٧].

1- الولايات المتحدة الأميركية

شَهِدَت المنطقة العربيَّة العديد من التَّغييرات والتَّحوُّلات السِّياسيَّة الّتي شكَّلت تحدِّيًا للولايات المتَّحدة الأميركيَّة، والّتي أرْبَكَت حساباتها ومصالحها، باعْتبار أنَّ سقوط تلك الأنظمة المُوالية لها، يُشَكِّل تهديدًا لسيطرتها وهيمنتها على المنطقة العربيَّة. وقد اتَّسمَ سلوك الولايات المتَّحدة تجاه هذه التَّحوُّلات، بالتَّفاوت وِفْقًا لمصالحها، بناءً على ثلاث عوامل هي، أمن "إسرائيل" والنِّفط وحماية قواعدها العسكريَّة. وقد اتَّسم الموقف الأميركيّ في البِداية من الأزمة السُّوريَّة، بالإرتباك والحذر والمُراقبة، والإكتفاء بالتَّصريحات. ومن ثَمَّ تطوَّر من خلال دعم المعارضة سياسيًّا وإعلاميًّا واقتصاديًّا، بِفَرْضِ عقوباتٍ إقتصاديَّةٍ على النِّظام.

كما وَحَاوَلَت الولايات المتَّحدة اسْتصدار قرارٍ من مجلس الأمن، لإدانة النِّظام السُّوريّ، وَسَعَت لتغيير التَّحالفات داخل سوريا، بِهَدَف العمل على إضعاف النِّظام والإسْتنزاف الدَّاخليّ لجميع أطراف الصِّراع لصالح "إسرائيل". فقد قامت بدايةً بِمَدِّ مُتَمَرِّدي الجيش السُّوري الحرّ بالمساعدات غير القاتلة، كالأغذية والشَّاحنات، ولكن سُرعان ما بَدَأَت بتوفير التَّدريب والنُّقود والمعلومات الاستخباراتيَّة لقادة المُعارضة السُّوريَّة [٨] [٧].

وفي العام ٢٠١٤، قامت الولايات المتَّحدة بِشَنِّ هجماتٍ ضمن قوات التَّحالف على مواقع تابعة لداعش، وفي السَّابع من نيسان ٢٠١٧، شنّت الولايات المتحدة هجومًا صاروخيًّا على قاعدة الشّعيرات الجويَّة، وهنا أَصْبَحَت للمرة الأوْلى، الولايات المتَّحدة، لاعبًا مْباشرًا ضدَّ

٣٧٧- **إعلان عدم جواز التَّدخُّل بجميع أنواعه في الشئون الدَّاخليَّة للدول**، جامعة منيسوتا، مكتبة حقوق الإنسان، تاريخ الزيارة: ١٨-٢-٢٠٢١، على الرابط: http://hrlibrary.umn.edu/arabic/DIIIIAS.html

٣- لينا الخطيب ومجموعة باحثين، **سياسة الغرب تجاه سوريا: تطبيق الدروس المستفادة**، برنامج الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، آذار ٢٠١٧، ص ١٦.
https://www.chathamhouse.org/sites/default/files/publications/research/CHHJ5400_Western_Syria_policy_Arabic_170724_WEB.pdf

٣- موقع BBC، **الضربة الصاروخية الأمريكية على سوريا**، نيسان ٢٠١٧، تاريخ الاستشارة ٣ ٩ ٢٠٢٠.
https://www.bbc.com/arabic/live/39526973

الحكومة السُّوريَّة. وكان ذلك بداية لِسِلْسِلَة الحراك العسكريّ المباشر على سوريا. ولا نغفل عن أهميَّة القواعد العسكرية الأميركية في سوريا، ولاسيَّما قاعدة التَّنف الإستراتيجيَّة على الحدود السُّوريَّة–العراقيَّة.

وفي منتصف كانون الأول من العام ٢٠١٨، أشارَت إدارة ترامب إلى عزمها الحفاظ على وجودٍ عسكريٍّ مفتوحٍ في سوريا، لمواجهة النُّفوذ الإيرانيّ، وللإطاحة بالرَّئيس السُّوريّ . وهي تسعى بذلك لإنهاك النِّظام السُّوريّ أمنيًّا وعسكريًّا، وإلى تفكيك منظومته الخاصَّة من الدَّاخل لدَفْعِه للإنهيار، والعمل على إعادة تشكيل موازين القِوى الإقليميَّة لتقوية موقفها التَّفاوُضيّ مع إيران، وَلِمَنع تشكيل قوس نُفُوذٍ إيرانيّ، يمتدُّ مِن غرب أفغانستان حتَّى السَّاحل الشرقيّ للمتوسِّط، لِمَا يُشَكِّلُه من خطرٍ على مصالحها، وعلى مصالح حلفائها في الشَّرق الأوسط. وقد يكون هناك تداعيات دوليّة واسعة، في حال نشأ حِلْف إيراني – روسي – صيني. وَهَدَفَت كذلك إلى إعاقة المشروع النَّوويّ الإيرانيّ في الشَّرق الأوسط، وإلى تجنُّب الدُّخول في حرب عسكريَّةٍ مباشرةٍ ضدَّها، من خلال إنهاكها إقتصاديًّا بِفَرْض العقوبات الاقتصاديَّة عليها، وزيادة عزلِها إقليميًّا ودوليًّا، من خلال دفعها للتَّورُّط أكثر فأكثر في الأزمة السُّوريَّة، لِمَا يُسهم في تأزُّم علاقة إيران بالحكومات والشُّعوب الدَّاعمة للمعارضة. ويُسهم في إضعاف قدرة إيران على المُضِيّ في مشروعها لامْتلاك سلاحٍ نوويٍّ وإعاقة مشروعها التَّوسعيّ الذي يهدف لجعلها قوَّةً إقليميَّةً عُظمى في الشرق الأوسط[٣] . فمخاوف واشنطن من هٰذا الإحتمال، يدفعها إلى محاوٰلة إحداث تغييرٍ في سوريا، بما يَضْمَن إضعاف إيران، وَيَحُولُ دون ظهور تحالفاتٍ أوسع لها على السّاحة الدُّوليّة.

بعد القرار الأميركيّ بإرسال حوالي خمسين جنديًّا أميركيًّا إلى سوريا في أواخر عام ٢٠١٥، والذي جاء بحجَّة تنسيق الدَّعم والمشورة لمواجهة تَمَدُّد تنظيم داعش دون الدخول في أي أعمال قتالية[٣] ، إرتفع عدد الجنود في آذاْر ٢٠١٧، إلى حوالي تسعمئة جنديّ، وإلى أَلْفَيْ

٣– مركز الجزيرة للدراسات، **الانسحاب الأميركي من سوريا: الأسباب والسياقات والتداعيات**، كانون الأول ٢٠١٨، تاريخ الاستشارة ٣ ٩ ٢٠٢٠. https://studies.aljazeera.net/ar/article/621

٣– ميليسا غيليس، **نزع السلاح دليل أساسي**، الطبعة الرابعة، الأمم المتحدة، مكتب شؤون نزع السلاح، نيويورك ٢٠١٨، ص ٣٦.

https://www.un.org/disarmament/wp-content/uploads/2018/09/Arabic-ODA-Disarmament-A-Basic-Guide.pdf

٣– **واشنطن: سنرسل مزيدًا من الجنود إلى سوريا**، الخليج أونلاين، ٠٨ تشرين الثاني ٢٠١٥ الدخول: ٢٠ تموز ٢٠٢٠، الساعة ٥٠: ٥٢ م https: //alkhaleejonline. net

جنديّ في أواخر العام نفسه[٣] .

وفي السياق نفسه، أَعْلَنَت الإدارة الأميركيَّة أنَّ أماكن انْتشار القوات الأميركيَّة في سوريا، سيكون في شمال البلاد في المناطق الّتي تُسيْطر عليها الوحدات الكُرديَّة، وذلك نظرًا إلى أنَّ الوَحَدات الكرديَّة تُعْتَبَرُ الفصيل الأكثر تقبُّلًا والأكثر قربًا من الولايات المتَّحدة الأميركيَّة .

لقد وَصَلَ عدد القواعد الأميركية في شمال شرق سوريا إلى عشرين قاعدةٍ منتشرةٍ في المناطق الّتي يُسَيْطِر عليها الأكراد، والممتدَّة من منطقة المبروكة في شمال غرب الحَسَكَة، إلى منطقة التايهة جنوب غرب منبج في ريف حلب الشرقيّ[٥] .

إنَّ الدعم الأميركي للوحدات الكُرديَّة في شمال سوريا، ورغم التَّطمينات الأميركيَّة، لم يُقْنِع أنقرة، حيث اسْتمرَّت الأخيرة في الدَّوَران ضمن دائرة الخوف من الأكراد ومشاريعهم، الّتي تُهَدِّد الدَّاخل التُّركي، نظرًا لغياب عامل الثِّقة الّذي ساعد كثيرًا في تَوَتُّر الأجواء.

وبالواقع، إنَّ قرار الرَّئيس الأيمركي بانْسحاب القوات الأميركية من شرق الفرات في سوريا، الّذي اتُّخِذَ في يوم السابع من تشرين الأول ٢٠١٩، كان قد سَبَقَه قرارٌ آخرَ لترامب، كان قد أَعْلَنَ فيه عن نِيَّته الإنسحاب من سوريا في نهاية العام ٢٠١٨ . وبعد انْطلاق عمليَّة "نبع[٦] السلام" بأربعة أيام في الثالث عشر من تشرين الأول، بُدِأَ تنفيذ قرار ترامب، وقد سرَّع من عمليَّة الإنسحاب، إستغلال ترامب لحادثتين:

– القصف التُّركيّ الّذي امْتدَّ لِمناطق غير مُتَّفِقٍ عليها في اتِّفاق المنطقة الأمنيَّة، وأبرزها مناطق القامشلي وكوباني وديريك[٧] .

٣– كاكا ن أثير ، **خريطة انتشار الجيش الأمريكي في العالم... أعداد ودلالات**، وكالة الأناضول، تاريخ النشر: ١١كانون الأول ٢٠١٧، الدخول: ٢٠تموز ٢٠٢٠، الساعة ٥ :٠ ٥٦ م https: //www. aa. com. tr/ar

٣– عايدة سري الدين، **الأكراد في العالم تاريخهم ومستقبلهم، الدار العربية للعلوم ناشرون**، الجزء الأول، ٢٠١٨، ص ٣١٤

٣ – **قواعد عسكرية أمريكية جديدة شمال سوريا... إلى ماذا تهدف؟**، قناة العالم، ١٥أيلول ٢٠١٨الدخول: ٢٠تموز ٢٠٢٠، الساعة ٦ :٠ ٠٩ م https: //www. alalamtv. net/news/3780161

٣– **ترامب يأمر بسحب القوات الأمريكية من سوريا بعد تحقيق هدف هزيمة تنظيم الدَّولة الاسلاميَّة**، فرانس ٢٤، ١٩كانون الأول ٢٠١٩الدخول: ١٢آب ٢٠٢٠، الساعة ٧: ٥٧ص، على الرابط: https: //www. france24. com/ar/20181219

٣– **تركيا تقصف القامشلي في اجتياح عسكري لشمال سوريا**، قناة الغد، ٩٠تشرين الأول ٢٠١٩الدخول: ١٢آب ٢٠٢٠، الساعة ٨: ١٠ ص، على الرابط: https: //www. alghad. tv

– إتّهام البنتاغون الأميركيّ، الجيش التُّركيّ، باسْـتهداف نقطة مراقبةٍ أميركيَّةٍ في منطقة عين العرب كوباني، في الثاني عشـــر من تشـــرين الأول ٢٠١٩، وهو ما نَفَتْهُ تركيا [٣٨].

وبعد الحادثتين بَدَأَت الولايات المتَّحدة الأميركيَّة بِسَــحْب جنودها من القواعد العســكريَّة المُنتشرة في شرق الفرات، تنفيذًا لأوامر ترامب. وكان أُولى الإنسحابات قد بَدَأَت من عين العرب كوباني، حيث قامت الطَّائرات الأميركيَّة بِقَصْـف أكبر قاعدةٍ عسـكريَّةٍ أميركيَّةٍ في خراب عشـق في كوباني، بعد الإنســـحاب منها [٣٨]. كما انْســـحبت القوات الأميركيَّة من قاعدة صـــرين بعْد تدميرها، ليتبعها انْسحابات أُخرى من قواعد عسكريَّة في الرِّقَّة وعين عيسى، بالإضافة إلى قواعد تلّ بيدر والرميلان في ريف الحســـكة [٣٩]، مع الإبقاء على ما بين مائتي إلى ثلاثمئة جنديّ أميركيّ في محافظة دير الزُّور لِحِماية حُقول النِّفط فيها [١].

إن الإنســـحاب العســـكريّ الأميركيّ الأوَّل، والّذي شـــمل تلّ أبيض ورأس العين، قد تمَّ بالتَّنسيق مع أنقرة. أما الإنسحابات الأُخرى من ريف الحَسَكة وعين العرب والرِّقة، فلم يتمّ تنسيقه مع أحد، وذلك بسبب الغضب الأميركيّ من تركيا، الّتي سَمَحَت بدخول القوات الرُّوسيَّة والجيش السُّوري إلى عين العرب ومنبج في ريف حلب الشماليّ الشرقيّ، وهي كانت من أكبر المُمانِعين لذلك. أما الهدف الأميركيّ من عدم تنسـيق الإنسـحاب الثَّاني مع أنقرة، فهو إجبارها على وقف العمليَّة، والدُّخول في مفاوضـاتٍ تَضْـمَنُ لها مصـالحها، بعد تَرْكِها لوحدها في المَيدان، اسْـتنادًا إلى أن نبع السَّلام قد أضَّرَّت بمصلحة واشنطن وحلفائها.

إنَّ الإنسحاب الأميركيّ من شرق سوريا، وإن لم يَكُن مُكتملًا، إلا أنَّه أظهر فشلًا أميركيًّا في تحقيق أهدافًا ثلاث، كان الأميركيُّون يَسْعَوْنَ إلى تحقيقها من خلال وجودهم على الأرض:

٣٨- **الجيش التركي ينفي استهداف نقطة مراقبة أمريكية**، زمان الوصل، ١٢ تشرين الأول ٢٠١٩ الدخول: ١٢ آب ٢٠٢٠، الساعة ٨:٢٠ ص، على الرابط: https: //www. zamanalwsl. net/news/article/114531/

٣٨ – **القوات الأمريكية تدمر قاعدتها العسكرية في كوباني**، موقع ٢٤، ١٦ تشرين الأول ٢٠١٩ الدخول: ١٢ آب ٢٠٢٠، الساعة ٨:٤٠ ص، على الرابط: https: //24. ae/article/530825

٣٩- **القوات الأمريكية تخلي رابع قاعدة عسكرية لها شمال سوريا**، شبكة شام، ٢٠ تشرين الأول ٢٠١٩ الدخول: ١٢ آب ٢٠٢٠، الساعة ٨:٥٠ص، على الرابط: http: //www. shaam. org/news/syria-news

31 - Haberman Maggie, **Trump said to favor leaving a few hundred troops in Eastern Syria**, The New York Times, 20 October 2019 / Date of Entry: ١٢ August 2020, ٩: 10 am
https: //www. nytimes. com/2019/10/20/world/middleeast/trump-troops-syria-turkey. html

– إنَّ عودة خلايا تنظيم داعش للعمل في شرق الفرات، يُؤَكِّد بأنَّ الولايات المتَّحدة لم تقضِ نهائيًّا على هذا التَّنظيم.

– فَشِـــلَت في طردِ إيران وحلفائها من الأراضــــي السُّـــوريَّة، وفي تحجيم النفوذ الروسي.

– فَشِلَت في إسقاط نظام الرَّئيس بشار الأسد، وفي تحقيق عملية انْتقالٍ سياسيّ.



(المنطقة الّتي سيطرت عليها تركيا بعد عملية نبع السلام والاتفاق الأميركي التركي)

2– التَّحالُف الدُّوليّ

بعد التَّقدُّم الكبير الذي حقَّقه تنظيم داعش في ســوريا والعراق وســيطرته على مســاحات واسعة في البلدين الجارَيْن، قَرَّرت الولايات المتَّحدة الأميركيَّة إنشاء تحالفٍ دُوَلِيّ لِمُقَاتلة التَّنظيم. وفي أيلول ٢٠١٤، بَدَأَت أُولى الضَّـربات الجويَّة ضـدَّ تنظيم داعش في سـوريا، بأمرٍ من باراك أوباما، فيما شَـــنَّت عددًا من الدُّول العربيَّة، مِن بينها قطر والبحرين والأردن والمغرب، عدَّة ضَـرَبات ضـدَّ مواقع التَّنظيم، بعد إعطاء اجْتماع مدينة جدَّة الشَّرعية لتَدَخُّلِ التَّحالف الدُّوليّ في سوريا والعراق، بعد أن وافقت كل من الولايات المتَّحدة ومصر والسُّعودية ولبنان والعراق والأردن والكويت وقطر والإمارات وعُمان، على العمل بمضـمون وثيقة التَّحالف، والّتي تتضـمَّن السَّـعي إلى محاربة التَّنظيم، والحدِّ من تواصل تدفُّق المقاتلين الأجانب والأموال إليه.

٣– دياب طارق، **نبع السلام: قراءة في التفاهمات والتداعيات**، المعهد المصري للدراسات، ٣٠ تشرين الأول ٢٠١٩ الدخول: ١٢ آب ٢٠٢٠، الساعة ٩: ٢٩ ص، على الرابط: https: //eipss–eg. org

لقد تمَّ تشــكيل التحالف الدُّوليّ ضــدّ داعش في أيلول من عام ٢٠١٤، ويلتزم أعضــاء التَّحالف بمواجهة تنظيم داعش على مختلف الجبهات، وبتفكيك شــبكاته، ومجابهة طموحاته العالميَّة، وبتدمير البُنى التَّحتيَّة الإقتصــاديّة والماليَّة له، ومنع تدفُّق المُقاتلين الإرهابيِّين الأجانب عبر الحدود، ودعم الإســتقرار، واسْتعادة الخدمات الأسـاسـيَّة العامّة، في المناطق المحرَّرة من داعش.

وقد تنوَّعت أشكال التَّدخُّل، بين الغارات وإرسال قوات عسكريَّة للتَّدريب والدَّعم اللُّوجستيّ. وقد ضمَّ التَّحالف أكثر من عشرين دولة، إلا أن التَّدخُّل المباشر العسكريّ، جوًا أو برًا، كان من قِبَلِ خمسة دولٍ فقط، هي الولايات المتحدة الأميركية، قطر، البحرين، السعودية والإمارات. حيث شنَّت هذه قُوات هذه الدُّول، أكثر من ستة عشر ألف غارة على مواقع تابعة لداعش. كما قامت بمدِّ القوات الديمقراطيَّة السُّوريَّة الكُرديَّة بالأسلحة والمُستشارين، وأَجْرَت لهم برامج تدريبيَّة .

لقد شــكَّل التَّدخُّل الدُّوليّ في الأزمة السُّــوريَّة بدايةً عبر التَّحالف الدُّوليّ، بقيادة الولايات المتحدة الأميركية، فرصــةً كبيرةً للأكراد السُّـوريِّين، للإلتحاق بموجة التَّدخُّل واسْـتغلالها من أجل تحقيق المزيد من المكاسـب في الميدان السُّـوريّ. فعلاقة الطَّرَفين الأميركي والكُردي قد توطَّدَت بشــــكلٍ كبيرٍ بعد هجوم تنظيم داعش على بلدة عين العرب كوباني، قرب الحدود التركية عام ٢٠١٤، وذلك بعد الصُــمود الّذي أبداه الكُرْد للحفاظ عليها، واسْــترجاع من تمَّ احتلاله من قبل داعش، بمؤازرةٍ جويَّةٍ من الطَّائرات الأميركيَّة ضمن التَّحالف الدُّوليّ . ٤

لقد ساهمت الزِّيارة السِّريَّة الّتي قام بها مُمَثِّل باراك أوباما في التحالف الدُّوليّ ضد داعش، "بريت ماغيرك"، إلى المناطق الكُرديَّة في شــــمال ســــوريا، ومن بينها مدينة كوباني في كانون الثاني من العام ٢٠١٦، في ترسيخ العلاقة الأميركية بشكلٍ أكبر مع الأكراد السُّوريِّين . هذه الزِّيارة بطبيعة الحال، زادت من حدَّة التَّوتُّر في العلاقة بين واشــــنطن وأنقرة، حيث وَصَــــفَ أردوغان الزِّيارة بأنها تمَّت لإرهابيِّي كوباني. وذلك فضــــلًا عن الدَّعم الكبير، والتَّدريبات الذي

٣- هيومن رايتس و وتش، **سوراي: على التحالف الأمريكي معالجة الأضرار اللاحقة بالمدنيين**، تموز ٢٠١٩، تاريخ الاستشارة ٣ ٩ ٢٠٢٠. https://www.hrw.org/ar/news/2019/07/09/331759

٣- بارفي باراك، **الأكراد هم حاليًا أفضل حليف للولايات المتحدة ضد تنظيم الدَّولة الاسلاميَّة في سوريا**، منتدى فكرة، ٩ ٠تشرين لأ ل ٢٠١٥الدخول: ٢٠تموز ٢٠٢٠، الساعة ٦ ٠: ١٨ م على الرابط: https: //www. washingtoninstitute. org/ar/policy-analysis/view/kurds-now-our-best-ally-against-isis-in-syria

٣- **مبعوث أوبامّا إلى التحالف زار سوريا سرًا**، الحرة، ١ ٠شباط ٢٠١٦الدخول: ٢٣تموز ٢٠٢٠ الساعة ٤ ٠: ٣٦ م على الرابط: https: //www. alhurra. com/latest/2016/02/01

قُدِّمَ للوَحدات الكردية، ولاحقًا لِقوات سوريا الدِّيموقراطيَّة، الّتي جرى تأسيسها بعد سنة على دخول التحالف الدُّوليّ في حربه ضـدَّ داعش، في سـياقٍ رَأَتْ فيه الولايات المتحدة الأميركية، بأنَّ القوَّة الكُردية تستطيع أن تَكُونَ قويَّة على الأرض، في مقابل داعش والجيش السُّوريّ.

مَعَ دخول التَّحالف الدُّوليّ ضـدَّ تنظيم داعش عامه الثَّاني في سـوريا، نَشَـأَت في منطقة شمال سوريا قوات سُمِّيَت بـ "قوات سوريا الديموقراطيَّة" في تشرين الأول من العام ٢٠١٥، بِدَعْمٍ كبيرٍ من الولايات المتحدة الأميركية وشـــركائها في التَّحالف، والّتي نالت دعمها الكامل فورَ تأسيسها، مُعْتَبِرةً إيَّاها الشَّريك الأساسيّ في محاربة تنظيم داعش على الأرض [٦].

وبعد معارك ريف حلب الشـــماليّ، ســـار الجيش السُّـــوري على خُطى قوات ســـوريا الدِّيموقراطيَّة لاسْتعادة أرياف الرِّقَّة والمدينة من قبضـة تنظيم داعش، في تشرين الأول من العام ٢٠١٦. فبعد أشـــهرٍ من المعارك، تمكَّنَت قوات ســـوريا الدِّيمقراطيَّة، بدعمٍ جويٍّ من التَّحالف الدُّوليّ، من اسْـتعادة مدينة الرِّقَّة في شــمال شـرق سـوريا، من أيدي تنظيم داعش، بعد ثلاث سنوات من السَّيطرة الكُلِّية على المدينة، وعلى مساحاتٍ واسعةٍ من أرياف المحافظة الشّماليَّة [٩].

إنَّ التحالف الدُّوليّ ضدَّ تنظيم داعش قد أعطى الأكراد السُّوريِّين، صلاحية زيادة تمدُّدِهم في ميادين السَّاحة السُّوريَّة العسكريَّة، وذلك بعد الدَّعم الجويّ واللُّوجستيّ العسكريّ، الّذي حظوا به من قيادة التَّحالف. فسيطر الأكراد على أراضٍ سوريَّة تحتوي على موارد إقتصـاديَّة ضـخمة، كريف دير الزُّور الشّمالي الغنيّ بالنِّفط وريف الرِّقَّة الشّماليّ، وريف الحَسَكة الجنوبيّ، وقِسم من ريف حلب الشّماليّ الشَّرقي.

3- "إسرائيل"

منذ انْطلاق أحداث "الرَّبيع العربيّ"، أَبْدَت "إسـرائيل" موقِفًا واضـحًا ضـدَّها، وضـدَّ أهدافها المطالِبة بإسقاط أنظمةِ الإستبداد والفساد في الدُّول العربيَّة، وذلك انْطلاقًا من المفاهيم المُتَأَصِّلة

---

396 **Declaration of Establishment by Democratic Syria Forces**, Kurdish Question, 15 October 2015
Date of Entry: ٢٩ July 2020, 4: 23 pm
https: //anfenglish. com/kurdistan/declaration-of-establishment-by-syrian-democratic-forces-12947

٣- **قسد تعلن سيطرتها على الرقة بالكامل وتعد بتسليمها إلى المجلس المدني التابع لها**، شبكة شا م ٢٠ تشرين الأول ٢٠١٧ الدخول: ١٣ تموز ٢٠٢٠، الساعة ٤ :٠٤٠ م على الرابط: http: //www. shaam. org/news/syria-news

في الثّقافة السِّـــياســـيَّة الإســـرائيليّة، وفي مقدِّمتها العِداء للدِّيمقراطيّة في الدُّول العربيَّة، والعِداء للوَحدة العربيَّة وللعمل العربيّ المُشترَك[٨] .

لقد فضَّلَت "إسرائيل" أن يستمرَّ النِّظام بالبطش بالشّعب السُّوري أطول فترة ممكنة، وذلك من أجل اسْتنزاف النِّظام السُّوري والدَّولة السُّوريَّة وإضعافهما، ومن أجل إنهاك الشّعب السوريّ. زِد على ذلك، أنَّ هناك قلقًا في "إســـرائيل: من عدم قدرة النّظام السُّـــوري على الإســـتمرار في السّـيطرة على الأسـلحة الكيماويّة والبيولوجيّة السُّـوريَّة، والأسـلحة المتطوّرة الأُخرى، وقلقٌ من إمكانيّة وقوعها في أيدي قِوى معادية لــــــ"إسـرائيل". إلى جانب ذلك، هناك قلقٌ من أن تُسـرّب الأسلحة الأكثر تطوّرًا وفتكًا إلى حزب الله[٩] .

ولكن ظَهَرَت بوادر تغيير في موقف نتنياهو من تطوّرات "الأحداث" في ســــوريا، حيث عمل المسؤولون الإسرائيليّون على تصوير النّظام السُّوري، على أنَّه نظام يرتكب القتل والمجازر في حقّ المدنيّين السوريّين، وشَجَّعه على موقفه، ما رافق ذلك من شجْبٍ دوليٍّ لممارسات النَّظام السُّوريّ، فضلًا عن محاولة إبراز الوجه الإنسانيّ لــ "إسرائيل"، قائلًا: "وَصَلَتْنا في الأيَّام الأخيرة الأخبار الّتي ذَكَّرَتْنا في أيِّ منطقةٍ نعيش، ورأينا الجيش السُّوري وهو يذبح شعبه" .

وفي هذا الســـياق ترى هديل عويس[١] ، وهي باحثة موالية للسِّـــياســـات الأميركيَّة والإسرائيليَّة، أنَّ الحرب السُّوريَّة غَيَّرَت المواقف تجاه التَّقارب العربي–الإسرائيلي، قائلة إنه "مِن أبرز الأمثلة على ذلك هو انه بحلول عام ٢٠١٩، قُتل أكثر من نصف مليون سوريّ، من بينهم أطفال ومدنيُّون، على أيدي وُكلاء إيران وغيرهم من الجماعات السُّـــوريَّة المحليَّة، بينما وجد

٣- محمود محارب، **إسرائيل والثورة المصرية**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ١/٤/٢٠١١: http://dohainstitute.org/Home/Details?entityID=5d045bf3-2df9-46cf-90a0-d92cbb5dd3e4&resourceId=fbf11d47-9b17-4c5c-9f71-b87188428834

٣– بندطه بيرطي، **عدم الهدوء في سورية: ماذا بعد؟**، عدكا ن استراتيجي، مجلد ١٥، عدد ١، نيسان / أبريل ٢٠١٢.

٤– براك رفيد، **خلاف في القمّة السياسية: نتنياهو يعارض مبادرة ليبرمان أن تنادي إسرائيل علنًا بإقالة الأسد**، هآرتس، ٦/٢/٢٠١٢، على الرابط: http://www.haaretz.co.il/news/politics/1.1642813

٤– هديل عويس، هي كاتبة صوحفية تركّز على الشرق الأوسط ومتخصصة في الدراسات السياسية، تم اعتقالها من قبل نظام الأسد في سن الثامنة عشر في عام ٢٠١١، نظرًا لأنها لعبت دورا رئيسيا خلال الأيام الأولى للاحتجاجات في سوريا. وفي عام ٢٠١٢، التقى وفد الولايات المتحدة في جنيف مع عويس وساعدها على الانتقال إلى الولايات المتحدة. وتعمل عويس حاليًا على إجراء تحليل للسياسات الأمريكية في الشرق الأوسط لصالح بعض الشبكات العربية الكبرى، وذلك من خلال منصة JIMENA@ الإلكترونية حيث نشرت عدد من التقارير عن اليهود السفارديم والمزراحي، وكانت صوتًا نشطًا في "الدعوة للسلام" في الشرق الأوسط.

النَّازحون السُّـوريّين في "إسـرائيل"، مشـافي تُقَدِّم لهم الرِّعاية الصِّـحيَّة وَغُرَفَ آمنة ينامون فيها، بعيدًا عن براميل الأسـد وميليشـيات إيران. هذه المبادرة الإسـرائيليَّة، رغم صـغرها، كان لها تأثيرًا كبيرًا على مواقف شـرائح المُجتمع السُّـوري، حيث تبايَنَت الإجراءات الإيرانيَّة والإسـرائيليَّة تجاه السُّوريّين بشكلٍ بارز"[٤٢٠].

لا شكَّ بأنَّ الحرب في سوريا تشكّل همًّا إسرائيليًّا قد لا يقلُّ خطرًا عليها من حرب تشرين الأول ١٩٧٣. فسُـقوط النِّظام قد يُغَيِّر الخريطة الجيوسـتراتيجيَّة بِرُمَّتِها في المنطقة، وربّما يُهَدِّد توازن القِوى القائم منذ صـكِّ الإرتباط الّذي وقَّعه الرئيس حافظ الأسـد و"إسـرائيل" عام ١٩٧٤. فَسُـوريا هي الدَّولة الكُبرى الثَّانية على حدود "إسـرائيل" بعد مصـر، وعلى الرَّغم من هدوء جبهة الجولان، الا أنَّ "إســـرائيل" تخشـــى من المجهول المُقبِل في ســـوريا، وبالتَّالي فهي من أكثر الأطراف رصـدًا لِما يجري كلِّ يوم على جبهة الحرب هناك، ومِن مصـلحتها تفكيك سـوريا إلى دويلات كُرديَّة وَعَلويَّة ومسيحيَّة ودرزيَّة وسنيَّة.

كما أن سُقوط سوريا، يَفْتَحُ الباب أمام التَّدخُّل الإيرانيّ، بشكلٍ أصـبح فيه الجسر البرّي الّذي يَصِـلُ طهران ببيروت، عَبْرَ سـوريا، أمرًا واقعًا لا مهرب منه. بالإضـافة إلى انْخراط حزب الله في الحرب السُّـــوريَّة، ممَّا جعله لاعبًا إقليميًّا فريدًا من نوعه، إذ أنَّه راكَم تجارب قِتاله في حرب تمُّوز، مع التَّجارب في ســـوريا، عبر القتال بطريقةٍ هجينة. والأهمّ أنَّه يُقاتِل بجانب قوّةٍ عُظمى هي روسـيا. إذًا، حزب الله في لبنان وحزب الله في سـوريا، مع طريقٍ لوجسـتِيّ بَشَـرِيّ وبالعِتاد، مفتوحٌ ويمتدُّ من بيروت وحتَّى طهران. يعني أنَّ "إسرائيل" أصـبحت بين فَكَّيْ كمَّاشـة، بين الجنوب اللُّبنانيّ والجولان، وهذا يُعتَبَر خَطَرًا مباشرًا وحيويًّا على الأمن القوميّ الإسرائيليّ.

علاوةً على ذلك، أصـــبحت الدائرة الدُّوليّة متماهيَّةً مع دائرة المحيط المباشـــر، فالولايات المتَّحدة أصـبحت موجودة في سـوريا، كما أنَّ روسـيا موجودة بكلّ الأبعاد السِّـياسـيَّة وأيضًـا العسكرية. وهذا الأمر يضع قيودًا صارمةً بشأن كيفيَّة تعامل "إسرائيل" مع محيطها المباشر[٤٢١]، أي قواعد الإشـــتباك. كذلك هناك دخول الدَّائرة الإقليمية أيضًـــا إلى دائرة المحيط المباشـــر لـ"إسرائيل"، إيران وتركيا في سوريا، الأمر الّذي يزيد الواقع الجيوسياسيّ تعقيدًا، وبالتَّالي تَصْعُبُ

٤٢٠- هديل عويس، **كيف غيرت الحرب السُّوريَّة المواقف تجاه التقارب العربي–الإسرائيلي**، تاريخ النشر: ٤ أكتوبر ٢٠١٩، تاريخ الزيارة: ٦/ ٨/ ٢٠٢١، على الرابط:
https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/kyf-ghyrt-alhrb-alswryt-almwaqf-tjah-altqarb-alrby-alasrayyly

٤٢١- لاري هانَور، **مصالح اسرائيل وخياراتها في سوريا**، مؤسسة راند، ٢٠١٦، ص ١٠.
https://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/perspectives/PE100/PE185/RAND_PE185z1.arabic.pdf

عمليَّة اتِّخاذ القرار السِّـياسـيّ، وكذلك العسـكريّ لدى "إسـرائيل"، بعد أن كانت لديه حريَّة عملٍ كبيرةٍ في جميع الساحات.

وقد كان التَّدخُّل الإســـرائيليّ على مراحل، فبداية في المرحلة الأولى (٢٠١١-٢٠١٢) تميَّزت بالوقوف على الحياد. وفي المرحلة الثانية (٢٠١٣ وما بعد" امتازت برســـم الخطوط الحمراء بعد اسْـتمرار القتال وتمدُّده إلى جنوب سـوريا والمناطق المجاورة. والمرحلة الثالثة (من العام ٢٠١٣ حتى ٢٠١٩) إمتازت بمســـاعدة الإســـلاميّين السُّـوريّين المعارِضـــين (المُقاتلين والمدنيّين) ومعالجتهم في المشافي الإسرائيليَّة، وإقامة مشافي ومُسْتَوصفات ميدانيَّة على الحدود، كما نَقْل شـــحنات أغذيةٍ وأغطيةٍ إلى القُرى عند الحدود الإســـرائيليَّة. وقد وصـــل هذا "التَّدخُّل الإنســانيّ" إلى ذروته بإنشــاء "إدارة علاقات حُسْـن الجوار" عام ٢٠١٦، وهي وحدة إتِّصــالات عسـكرية، مَهَمَّتها المحافظة على علاقة مع سكان الجولان السُّـوريّ، وتنسـيق نقل المسـاعدات الإنســانيَّة، واسْـتيعاب الجرحى، كما إدارة علاقات مع جهات مدنيَّة. إلا أن التَّدخُّل لم يقتصــر على هذا الجانب، بل تعدَّاه إلى الدَّعم والإسْـناد الجوّيّ والمدفعيّ لمواقع المسـلَّحين في الجنوب السُّـــوري، وذلك عند بدء انْهيارهم أمام قوات الجيش السُّـــوريّ وحلفائه، بالإضـــافة إلى الدَّعم اللُّوجســتيّ والإســتخباراتيّ، الّذي وفَّرَه للمتمرِّدين حول القوات السُّـوريَّة، تحسُّـبًا لِتَمَرْكُز إيرانـيّ بالوكالة عبر حزب الله عند حدودها الشّماليَّة.

وضـمن اسْـتراتيجيَّة "معركة بين الحروب" الّتي ينتهجها الجيش الإسـرائيليّ حديثًا، وتبنَّاها تحديدًا من العام ٢٠١٣، وهي إســتراتيجيَّة نشــاطٍ هجوميٍّ وِقائيٍّ اعْتَمَدَتْها تلّ أبيب بُعَيْدَ الأزمة السُّـــوريَّة، ووظيفتها الأســـاس هي الحؤول دون تعاظم قدرات حزب الله، من خلال اسْــتهداف عمليَّات نقلِ وتخزينِ الأسـلحةِ الإسـتراتيجيَّة، وَمَنْعِ التَّمَرْكُزِ الإيرانـيّ في سـوريا، وبالتالي إبعاد المنظَّمات الإرهابيَّة عن مُرتفعات الجولان. وضـمن هذه الإستراتيجيَّة، كان التَّدخُّل المباشر عبر طائرات الجمع الإستخباراتيّ، وعبر اسْتهداف بعض المطارات العسكريَّة والمنشآت الإستراتيجيَّة السُّوريَّة، بذريعة تواجدٍ إيرانـيّ، أو وجود شَحنَاتٍ عسكريَّةٍ تابعةٍ لها.

وفي هذا السِّياق، يرى أحد الباحثين السِّياسيّين أنَّه "ومع وصول التَّمدُّد الإيرانـيّ في سوريا إلى ذروته، إتَّخَذَت مؤسَّسـات صُـنع القرار العسكريّ الإسرائيليّ، قرارًا واضـحًا، يَقْضـي بتكثيف الغارات الجوِّيَّة على معســكرات الحرس الثَّوري الإيرانـيّ في ســوريا، وعلى المليشــيات التَّابعة

لإيران، ســـواء كانت لبنانيَّة مثل حزب الله، أو عراقيَّة مثل الحشـــد الولائي، أو غير ذلك من الجنسيَّات الأخرى" [٤٤].

إنَّ هذه الإستراتيجيَّة قد أثْبَتَت فشلها في تحقيق الأهداف الموضوعةِ لها، وذلك باعْترافٍ من القادة العســكريّين الإســرائيليّين. فالتَّمَرْكُز الإيرانيّ في ســوريا قد تَعَزَّز، ولاســيما التَّمَرْكُز بالوِكالة عبر حزب الله. فقد وَصَـــلَ حزب الله إلى الحدود الإســـرائيليَّة، وآزَرَ القوات السُّـــوريَّة الرَّسميَّة في السَّيطرة على الجنوب السُّوريّ. كما أن تَسَلُّح حزب الله، لم يتضرَّر، بل أصبح لدى الحزب باعْترافِ "إســـرائيل" ما يكفي من المخزونِ الصَّـــاروخيّ، ولاســـيَّما الصَّـــواريخ الدَّقيقة والبالستيَّة بعيدة المدى.

أمَّا على مستوى العلاقة مع أكراد سوريا، فلطالما كان الموقف الإسرائيليّ داعمًا لقيام دولة كردســـتان، فالقناعة الإســـرائيليَّة باتت تتمثل بأنَّ أســـهل الطُّرق للتَّحَكُّم بالدُّول العربيَّة القريبة والبعيدة، هو إشـــعال النِّزاعات بمختلف أنواعها، بما فيها النِّزاعات والحروب الدِّينيَّة والعرقيَّة، كبديلٍ عن المواجهة المباشرة معها.

لقد اسْـتغلت "إسـرائيل" الحروب الّتي اندلعت إبان الحراك العربيّ في سـوريا والعراق، من خلال بروز مُعطياتٍ جيوســياســيَّة عدَّة، تلاءَمَت مع نظرة تل أبيب ومصـــالحها في المنطقة. فَعَمَدَت تل أبيب إلى اسْـتمالة الأكراد، وإلى السَّـير معهم لتحقيق ما يهدفون إليه. وبخاصَّـة مع تصـريحات رئيس الوزراء الإسـرائيليّ، بنيامين نتنياهو، خلال خطاب السِّـياسـة العامَّة في العام ٢٠١٤، الّذي أيَّد فيه قيام دولة كردستان المستقلَّة، مضيفًا أن الشَّعب الكُرديّ هو شعبٌ مُكافِحٌ ومُعتدِلٌ ومُلتزِمٌ سياسيًّا، ويَسْتَحِقُّ الحصول على اسْتقلاله [٤٥].

أمَّا موقف الكيان الإسرائيليّ من الهجوم التُّركي على عِفرين، فقد كان صامتًا للغاية، من دون أيّ تصريحاتٍ رسميَّة، باسْتثناء تسريباتٍ صحفيَّةْ نَقَلَت قلَقَ تل أبيب من العمليَّة [٤٦]. غير

٤– عبد الجليل السعيد، **حقيقة الموقف الإسرائيلي من سوريا**، تاريخ النشر: ٢٠٢١/٤/٢٧، تاريخ الزيارة: ٢٦/٨/٢٠٢١، على الرابط: https://al-ain.com/article/reality-israeli-position-syria

4 - Batsheva Sobelman, **Netanyahu expresses support for Kurdish independence**, Los Angles Times, 29 june 2014, Date of Entry: ٤ JANUARY 2020, 09: 39 pm
https: //www. latimes. com/world/middleeast/la-fg-netanyahu-israel-iraq-kurdistan-20140629-story.html

٤– **صحيفة "إسرائيلية": العملية العسكرية التركية المرتقبة في سوريا تقلق "إسرائيل"**، ترك برس، ١٢ كانون الثاني ٢٠١٨، الدخول: ٠٥ آب ٢٠٢٠، على الرابط: https: //www. turkpress. co/node/56711

أنَّ التَّوجُّس الإسـرائيلي من إعلان موقفه بشـكلٍ علنيٍّ على الرَّغم من أنَّه يُعْتَبَرُ من أكبر داعمي الحالة الإنفصاليَّة الكُرديَّة فقد كان سببه:

- التَّطور الّذي شهدته العلاقات مع تركيا بعد مصالحة عام ٢٠١٦
- الإنسجام مع مواقف حلفائها الأميركيّين والروس.
- مبيعات الأسلحة الإسرائيليَّة إلى أنقرة.

4- تركيا

إنَّ الرَّغبة التُّركية في الحصـول على موقع "القوّة الإقليميَّة الرَّائدة" بشـكلٍ سـريع، كما أنَّ القُرب الجغرافيّ (أي الحدود المُشـتركة مع سـوريا) الَّذي سَـيَجعل أيَّ تَطَوُّرٍ غير متناغمٍ مع طموحها في سـوريا يُشـكِّل مصـدر تهديدٍ وجوديّ بالنِّسـبة لها، وكذلك إنَّ الحسـابات السِّـياسـيَّة المتمثِّلة في المنافِسَـتَيْن الإقليميَّتين التَّاريخيَّتَيْن لها، إيران في الشَّـرق الأوسـط وروسـيا في دول البلقان وآسيا الوسطى، هو ما جعلَه تركيًّا ترى في الثَّورة السُّوريَّة فرصةً لِلْقضاء على مُنَافِسيها. فلو حقَّقت تركيًّا أهدافها بالتَّفرُّد بالنُّفوذ في سـوريا، لأصـبَحَ لديها مُكتسـباتٍ دبلوماسـيَّةٍ متينةٍ تجعلها من الدُّول ذات النُّفوذ السِّياسـيّ الإقليميّ الحقيقيّ والفعَّال. وقد تجلَّى التَّدخُّل التُّركي عبر دعم الثُّوار السُّـوريّين من خلال عدَّة مراحل. أولًا، إتِّباع سـياسـة فتح الباب حِيال اللَّاجئين السُّوريّين (بما فيهم المعارضـة والمسلَّحين). ثانيًا، السَّماح للمُعارَضة بتأسيس مكتبها السِّياسيّ وأَذْرُعِه في اسْـطنبول، ومن ثمَّ الإئتلاف الوطنيّ للقوى المُعارِضـة. ثالثًا، تكثيف الجهود بتجميع القِوى الدُّوليَّة لإسقاط نظام الأسد [٧] . [٠]

ثمَّ كانت مرحلة حَظْر اسْتخدام أجوائها أمام الطَّيَران الّذي ينقل المساعدات للنِّظام. وكذلك بَرَزَ دورها في تقديم المساعدة للمُسلَّحين لوجستيًّا وعسكريًّا، وفي السَّعي لإقامة منطقة حَظْرٍ في الشّمال السُّوريّ. وبعد تَبَلْوُر الواقع على السَّاحة السُّوريَّة بعد دخول لاعبين دوليّين آخرين، مثل روسـيا وإيران بشـكلٍ مباشـر، وبعد أن ثَبُتَ عدم قدرة تركيًّا على لعب الدَّور النَّشِـط الّذي حدَّدَتْه لنفسـها في الأزمة السُّـوريَّة، ومع تداعيات الإنقلاب الأخير في تركيا عام ٢٠١٦، لَم يَعُد أمام الرَّئيس التُّركي، رَجَب طيّب أردوغان، سِـوى إعادة خلط أوراقِه الإقليميَّة، مُتَرجَمَةً بالتَّقرُّب من

٤- جلال سلمي، **السياسة التركية حيال الأزمة السُّوريَّة "٢٠١١-٢٠١٧"**، المركز الديمقراطي العربي، حزيران ٢٠١٧. https://democraticac.de/?p=47298

موسـكو، خاصَّــة بعد شُـعُوره بالخذلان من موقف واشـنطن والغرب من الإنقلاب، علاوةً على الإحتضان الرُّوسيّ له [٤٨٠].

وقد فَسَحَ المجال لإمكانيَّة إعادة تعويم دوره، والإستفادة من الملفَّات السَّاخنة بالإشتراك مع طهران عبر البوَّابة السُّـوريَّة. وبذلك يُمكن القول، إنَّ من تداعيات التَّدخُّل التُّركيّ، مُضـــافًا إلى الوعد الأميركيّ لأكراد سـوريا بإقامة دولةٍ لهم، دَفَعَ تركيا نحو أحضـــان المحور المُقابل، وعلى رَأْسِه روسيا. وقد تجلَّى هذا الإندفاع في القمَّة الثُّلاثيَّة الّتي جمعت بوتين وأردوغان وروحاني في ايلول ٢٠١٨.

تَتَعامل تركيا مع الملف السُّـوري على أنَّه ملفٌّ اسْـتراتيجيّ، فهي جارتها جغرافيًّا، ولديها أطماعٌ توسُّعيَّةٌ قديمة في سوريا، وهي معقِلٌ لأكراد سوريا، الّذين تعتبرهم تركيا تحديًّا اسْتراتيجيًّا لها، حيث أنَّ وَحَدات حماية الشَّـــعب الكُرديَّة، الّتي بلغ عددها ثلاثين ألف مقاتل، نشـــأت في سوريا عام ٢٠١٢، بعد انْسحاب قوات الجيش السُّوريّ، من المناطق الكُرديَّة. وأتت نشأتها بُغية إدارة المناطق الكرديَّة في سـوريا سـياسـيًّا وعسـكريًّا واجْتماعيًّا، برعاية حزب الإتِّحاد الديمقراطي الكُرديّ، الّذي عَمَدَ إلى نقل مقاتلين مُدَرَّبين على يد حزب العمَّال الكردســـتانيّ، في جبال قنديل في كردسـتان العراق، إلى الدَّاخل السُّـوري، بموافقة دمشـق. هذه الوحدات الكُرديَّة، تعامَلت معها تركيا على أنَّها جزءٌ لا يتجزَّأ من حزب العمَّال الكُردستانيّ، العدوّ الأوَّل للجمهوريَّة التُّركيَّة [٤].

ومع انْســحاب الجيش السُّــوريّ من المناطق الكرديَّة في محافظة الحسـكة وعفرين في محافظة حلب في تموز من العام ٢٠١٢، تَوَلَّت وَحَدات حماية الشَّــعب الكُرديَّة السَّــيطرة على تلك المناطق الّتي جرى تقســيمها إلى ثلاثة كانتونات رئيســـية هي: الجزيرة وكوباني وعفرين المنفصـلة عن الكانتونَيْن الأوَّلَين. وعلى الرَغم من انْسـحابه، بقي الجيش السُّوري مسيطرًا على

٤- محمود سمير الرنتيسي، **تركيا: التوازن الصعب بين شريك محدود الموثوقية وحليف خصم**، مركز الجزيرة للدراسات، كانون الأول ٢٠١٨.
https://studies.aljazeera.net/sites/default/files/articles/reports-ar/documents/c9b88aacbe5c4f96845c96d2216a47ac_100.pdf

٤- **من هي وحدات حماية الشعب الكردية الّتي تقاتل تنظيم داعش؟**، موقع قناة المنار، ٩ تشرين الأول ٢٠١٤

الدخول: ١١ تموز ٢٠٢٠، على الرابط: http://archive.almanar.com.lb/article.php?id=992209

بعض المناطق في محافظة الحســـكة، ومنها المباني الحكوميَّة، وعددٌ من الأحياء العربيَّة في مدينَتَيْ الحسكة والقامشلي، بالإضافة إلى مطار القامشلي والمعبر الحدوديّ إلى تركيا فيها .

إنَّ النُّفوذ التُّركي الكبير في أوساط فصائل المعارضة السُّوريَّة، قد دفع بالأكراد، ولا سيَّما حزب الإتِّحاد، إلى الإبتعاد عن المعارضـــة، إنطلاقًا من أنَّ الأكراد لا يُحِبُّون العلاقة مع تركيا، ولا يثقون بها بتاتًا .

لقد شـــعَرَت تركيًا بالخطر الدَّاهم الّذي يجثم على حدودها الجنوبيَّة، وتحديدًا في مناطق التَّواجد الكُرديّ، والمُتَمَثِّل بحزب الإتحَّاد الدِّيمقراطيّ الكُرديّ المُوالي لأَكْبَر أعداء تركيا، حزب العمَّال الكُردســـتانيّ. وبالتَّالي، فإنَّ أنقرة لا ترى في حزب الإتِّحاد إلا امْتدادًا لحزب العمَّال الكُردستانيّ. في البداية رَاقَبَت أنقرة الوضـع في محافظة الحَسَكَة بعد سيطرة حزب الإتِّحاد على أبرز مُدُنِها وقُرَاها، وانْتشـــار وحدات حماية الشَّـعب الكُرديَّة فيها، مُحَذِّرَةً من مَغَبَّةِ التَّواجد الّذي وَصَـــفَتْه بالإرهابيّ على حدودها، والّذي يُعَرِّض تركيًا بأكملها للخطر، مشـــيرةً إلى أنَّها ســـتقوم بخطواتٍ تجدها مناسبة، لِمَنْع ذلك التَّواجد على الحدود .

إن حزب الإتِّحاد الدِّيمقراطيّ الكُرديّ، كان يَعْرِف مدى جدِّيَّة التَّهديدات الّتي أَطْلَقَتْهَا أنقرة عام ٢٠١٢، في حال تعرَّض أمنُها القوميّ للخطر من داخل المناطق الكُرديَّة في ســوريا، لذلك كان الحزب يســعى باسْـتمرار إلى تَجَنُّب تقديم أيَّة فرصـــة لتركيًا، أو أيِّ ســببٍ مباشـرٍ للدُّخول عسكريًّا إلى المنطقة الكُرديَّة في شـمال شـرق سـوريا، ولاسـيما أنَّ الحكومة التُّركيَّة حازت على صــلاحية سـياسـيَّة بموجب البرلمان التُّركيّ، بدعوة الجيش التُّركيّ للقيام بأعمالٍ عسـكريَّةٍ داخل الأراضـي السُّوريَّة .

٤- **ما هو لغز علاقة واشنطن وأنقرة ووحدات حماية الشعب الكردية؟**، موقع لد ن عربي ١ ٢، ٧ ٢ تشرين لأ ول ٢٠١٥، الدخول: ١ ١تموز ٢٠٢٠، الساعة ١٠: ٥ ٤ص، على الرابط: https: //arabi21. com/story/868650

٤- مصطفى فوا ق، **الكرد السوريون والحراك الديموقراطي**، الدار العربية للعلو م ناشو ن، ٢٠١٣،ص ٤٧

٤- **أردوغان يهدد بالتَّدخُّل في سوريا لمنع انتشار المتمردين الأكراد قرب الحدود التركية**، وكالة الأنباء الكويتية (كونا)، ٢٦ تموز ٢٠١٢ الدخول: ١٤ تموز ٢٠٢٠، الساعة ٦:٢٢
https: //www. kuna. net. kw/ArticleDetails. aspx?id=2254888&Language=ar

٤ – **البرلمان التركي يوافق على السماح للحكومة بالتَّدخُّل العسكري في سوريا**، وكالة الأنباء السعودية (واس)، ٠٤ تشرين لأ ول ٢٠١٢ الدخول: ١٤ تموز ٢٠٢٠، على الرابط:
https: //www. spa. gov. sa/viewstory. php?newsid=1036208

قبل الإعلان التُّركيّ عن عملية نبع السلام ضدَّ الوَحدات الكُرديَّة في شمال سوريا، وَقَّعَ الطرفان التُّركيّ والأميركيّ في سوريا، إتِّفاقًا مُشترَكًا حول إدارة قيام المنطقة الآمنة الّتي تُطالِب بها تركيا في شرقيّ نهر الفرات، في آب ٢٠١٩، وذلك ضمن الأهداف الأميركيَّة الّتي تسعى إلى تبديد الهواجس التُّركيَّة من مناطق سيْطَرة قوات سوريا الدِّيمقراطيَّة. وَتَضَمَّنَ هذا الإتِّفاق الّذي اسْتَمرَّت مدَّة التَّفاوض فيه ثلاثة أيام في وزارة الدِّفاع التُّركيَّة في العاصمة أنقرة :

– إقامة غرفة عمليَّات مشتركة بين الطَّرَفين التُّركي والأميركي، والتَّنسيق بينهما في مدينة شانلي أورفا التركية.

– إنشاء المنطقة الآمنة الّتي تطالب بها تركيا في أقرب وقت.

– أن يشكِّل الإتِّفاق بين الطَّرفين عامل سلام في المنطقة.

– العمل بِجِدِّيَّة تامَّة على عودة اللَّاجئين السُّوريّين إلى مناطقهم.

إنَّ اتِّفاق المنطقة الآمنة المُوَقَّع بين الولايات المتحدة وتركيا، والّذي رَفَضَتْه دمشق وموسكو [٤]، دَخَلَ حَيِّزَ التَّنفيذ مع بدء إقامة دوريَّات مُشتركة تركيَّة أميركيَّة في مناطق رأس العين وتل أبيض، وتضمَّن إجراء طَلَعَاتٍ جوِّيَّةٍ في شرق الفُرات، وَسَعْي الوحدات التُّركيَّة إلى إزالة الأعلام الكُرديَّة وَصُوَر الرُّموز الكُرديَّة، من مناطق الدَّوريات منعًا لاسْتفزاز الجانب التُّركيّ [٤]. ولكن سرعان ما أثبت الإتِّفاق عدم جدواه، مع الإختلاف الّذي حَصَلَ بين الطَّرَفين على كيفيَّة إدارة المنطقة، والمماطَلة الأميركيَّة في تنفيذ بعض المطالب التُّركيَّة. لقد ساهم تصريح أردوغان في الخامس من تشرين الأول ٢٠١٩، عن اقْتراب تنفيذ عمليَّةٍ عسكريَّةٍ في المنطقة، ومهاجمة الولايات المتحدة الأميركيَّة بما يخصُّ التَّرتيبات بين الطَّرفَين [٧].

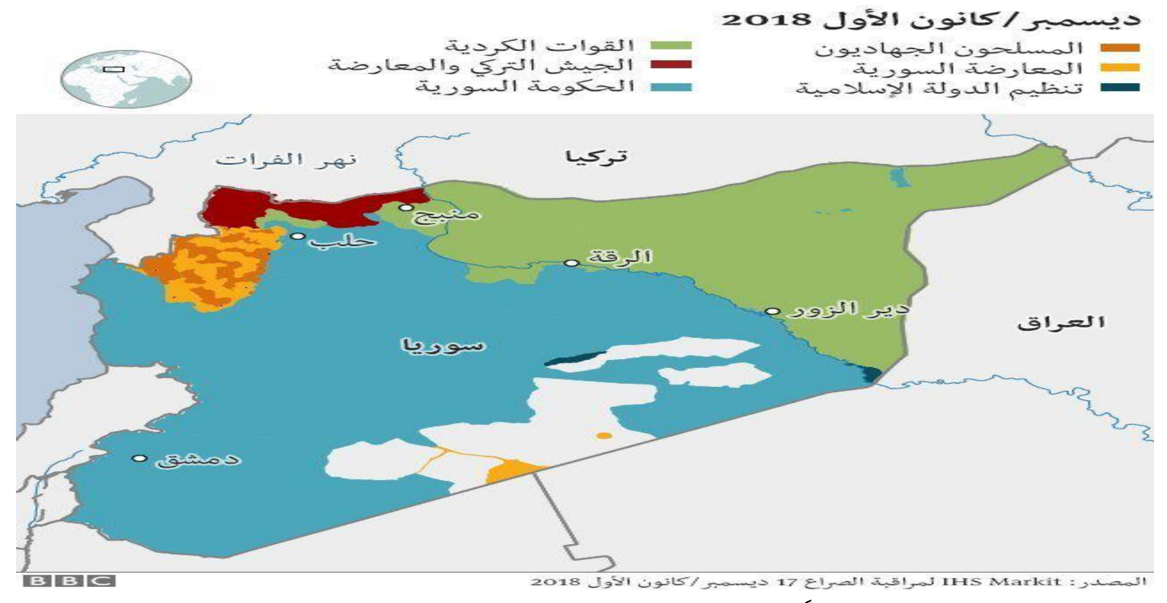
٤– **تفاصيل الاتفاق التركي الأمريكي حول المنطقة الأمنة في سوريا، الوسيلة،** ٧٠آب ٢٠١٩الدخول: ٠٨آب ٢٠٢٠، الساعة ٥:١١ ص https://www.waseelatv.com/2019/08/07

٤– **دمشق تعلن رفضا قاطعا ومطلقا لاتفاق المنطقة الأمنة الأمريكي–التركي،** فرانس ٢٤، ٠٩آب ٢٠١٩ الدخول: ٠٨آب ٢٠٢٠، الساعة ٥:٠٥ ص، على الرابط: https://www.france24.com/ar/20190808

41 **Ankara cautious as Turkey- US launch joint safe zone patrols in northern Syria**, Daily Sabah, 08 September 2019 Date of Entry: ٠٨ August 2020, 6: 10 am
https://www.dailysabah.com/war-on-terror/2019/09/08/ankara-cautious-as-turkey-us-launch-joint-safe-zone-patrols-in-northern-syria

41 Koc Cagan, **Erdogan Signals Imminent Turkey Incursion of Northeast Syria**, Bloomberg, 05 October 2019 Date of Entry: ٠٨ August 2020, 6: 1٣ am

وفيما يلي خريطة توضِح تَوَزُّع القِوى السِّياسيَّة في سوريا، في العام ٢٠١٨، كالآتي:



5- دول مجلس التَّعاون الخليجيّ

إعتقادًا منها بأنَّ إطاحة نظام الرَّئيس بشَّار الأسد في سوريا ستكون ضربةً للنُّفوذ الإيرانيّ في الشَّــرق الأوســط، قامت معظم دول مجلس التَّعاون الخليجي ، بدعمِ التَّنظيمات الجهاديَّة خلال الأزمة السُّـوريَّة. ولكن مع مرور الوقت، تبدَّلَت الأولويات، حيث خفَّفت الكويت والإمارات من دعم أي فصيلٍ من فصائل المعارضة، وَرَكَّزَت على لعب دورٍ أكبر في الجانِبَيْن الدِّبلوماسيّ والإنسـانيّ. أمَّا السُّـعوديَّة وقطر، فاسْـتمرَّت بتحفيز الولايات المتَّحدة على لعب دورٍ أكثر فعالية في الصِّراع الدائر .

٤ ١ ٩

فقد تَضَـمَّنَت السِّياسـات الخليجيَّة في سوريا، مزيجًا من الدِّبلوماسـيَّة والمسـاعدات الماليَّة الضَّـخمة، والتَّدريب والدَّعم للجماعات الجهاديَّة. وقد بَدَتْ مُعقَّدة، ومُحَدَّدة بعوامل عدّة، بدءًا من الإنقسامات الطَّائفيَّة وانْتهاءً بسياسة القوَّة. ومع ذلك، هناك بعض القواسم المُشترَكة والإختلافات الواضـحة، عندما يتعلَّق الأمر بمصـالح دول الخليج، وأنشـطتها وفرصـها في سوريا. مثلًا يُمَثِّلُ التَّنافس الإسـتراتيجيّ السُّـعوديّ مع إيران، المصـلحة الجيوسـياسـيَّة الرَّئيسـة الكامنة خلف تدخُّل

https: //www. bloomberg. com/news/articles/2019-10-05/erdogan-signals-imminent-turkey-incursion-of-northeast-syria

٤- ويضم مجلس التعاون الخليجي: البحرين، الكويت، سلطنة عمان، قطر، المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة. والدولة الوحيدة الّتي حافظت على العلاقات الدبلوماسية مع دمشق طوال فترة الأزمة هي سلطنة عمان

٤- ويل تودمان، **ترجمة محمَّد شمدين**، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، مركز الدراسات الاستراتيجية والدوليّة، قطر، ١٨ تشرين الثاني ٢٠١٦، ص ٣

السُّعوديَّة في سوريا. وقد تَمَحْوَرَتْ الحسابات السُّعوديَّة في الصِّراع السُّوري، حول ميزان القوى بالدَّرجة الأولى، فهناك رِهانات كُبرى لمكانة السُّعوديَّة الإقليميَّة وأمْنِها الدَّاخليّ. إذ تسعى المملكة العربيَّة السعوديَّة إلى الحدِّ من صعود الجهات الفاعلة العابرة للحدود، الوطنيَّة، والتَّابعة لتنظيم القاعدة، الّتي تمتلك القدرة والنيّة لتهديد المملكة. في الوقت نفسه، تَحْرِصُ على ضمان تهميش فصائل الإخوان المسلمين داخل المعارضة السُّوريَّة، في أيَّة تسويةٍ يتمُّ التَّوصُّل إليها، في مرحلة ما بعد الأسد . ٤ ٢ ٠

أمَّا مصالح الإمارات العربيَّة المتَّحدة والبحرين في سوريا، فالْتَقَت تمامًا مع مصالح السعوديَّة. إذْ تحرِصُ الدَّولتان على مواجهة نفوذ إيران والإخوان المسلمين في سوريا. ومن بين دُوَلِ الخليج الأصغر، تعكس المصالح القَطَرِيَّة في سوريا مزيجًا أكثر تعقيدًا من المخاوف الجيوستراتيجيَّة والإقتصاديَّة والمحليَّة، فضلًا عن الطُّموحات الشَّخصيَّة لقادتها. فَقَبْلَ العام ٢٠١١، كانت الدَّوحة تتمتَّع بعلاقاتٍ جيّدةٍ نسبيًا مع الأسد، ونظرًا إلى أن قَطَرْ تتقاسم المصدر الرَّئيس لثروتها، حقل غاز جنوب بارس/القبة الشّمالية، مع إيران، فقد سَعَت إلى الحفاظ على علاقات ودِّيَّة مع سوريا، الحليف العربي الوحيد لطهران.

وبعد بِدْأ المبادرات الدِّبلوماسيَّة بشأن سوريا، عملت السُّعوديَّة من خلال مجموعةٍ متنوّعةٍ من الوُسَطاء الإقليميّين، للتَّأثير على توازن القيادة في المعارضة السُّوريَّة، وعلى تهميش الفصائل المُرتبطة بتنظيم القاعدة، وتخفيف الإقتتال بين حلفائِها، وكذلك عمدت إلى تحسين أداء المعارضة في ميدان المعركة، من خلال التَّدريب وشحن الأسلحة المتطوِّرة. وَأَنْشَأَت لهذه الغاية غرفة عمليَّات سعودية–قطرية–تركية مُشتركة في اسْطنبول. حيث زادت السعوديَّة التَّنسيق مع قطر وتركيا حول سوريا، وشَكَّلت مجموعة عملٍ لِدَعم ائْتلاف المُعارَضة السُّوريَّة، ومِن ضِمنها بعض الجماعات السَّلفيَّة المتطرِّفة . ٢ كما دَفَعَت السُّعوديَّة إلى[١] تشكيل تحالفٍ خليجيّ، ودَفَعَت بالجامعة العربيَّة للمشاركة في القرارات، وقَد صَرَفَتْ ميزانيَّةً ضخمةً في التَّدريبات المُشترَكة. فقد شهد النِّصف الأول من العام ٢٠١٤، تحوُّلًا في السِّياسة السُّعوديَّة تجاه سوريا، نَحْو مزيدٍ من التَّنسيق مع الولايات المُتَّحِدة. وَظَهَرت تقارير عن زيادة التَّعاون بين السُّعوديَّة

---

٧ ٤– فريدريك ويري، **الحسابات الخليجية في الصِّراع السوري**، مركز مالكوم كير–كارنيغي للشرق الأوسط، حزيران ٢٠١٤. https://carnegie-mec.org/2014/06/12/ar-pub-55905

٧ ٤– سليمان التقي، **التضامن الكبير: الوحدة الخليجية وسط اضطرابات إقليمية في شرق أوسط غير متوازن**، انتصار فقير، واشنطن، معهد كارنجي للسلام الدُّوليّ، ص ٣٤

ووكالة المخابرات المركزيَّة الأميركيَّة بِشـــأن تدريب وتجهيز مُقاتلي المعارضـــة السُّـــوريَّة. حيث يندرج هذا الدَّعم تحت عنوان "الإستراتيجيَّة الأميركيَّة–السعوديَّة–الأردنيَّة" الجديدة.

أمَّا الكُويت، فقد كانت مصـــدرًا رئيسًـــا لتمويل فصـــائل تنظيم القاعدة داخل المعارضـــة السُّوريَّة، حيث سُمِّيَت كتائب كاملة من الثوار بأسماء مموّلين كوَيْتِيِّين، وأُطلقت عمليَّاتٌ عسكريَّةٌ بناءً على طلبهم. وكانت الجهات الرَّئيســـة الّتي تقف خلف هذه المســـاعدات، هي الجمعيَّات الخيريَّة السَّـــلَفيَّة في الكويت، ورجال الدِّين والسِّـــياســـيُّون، الذين يعكس تقاربهم مع الفصـــائل المتطرِّفة في المُعارَضــة السُّــوريَّة، الرَّوابطَ المُشــتركة، المُتَمَثِّلة في القبيلة والعقيدة الدِّينيَّة، فضــلًا عن النَّظْرة الطَّائفيَّة المُشتَرَكة والمُعادِية لإيران[٢] .

المطلب الثاني: المحور الأوراسي

إن حقَّ الدِّفاع الشَّـــرعيّ عن النَّفس قد نَصَّـــت عليه المادة ٥١ من ميثاق الأُمم المُتَّحدة، وصـــولًا إلى حالة التَّدخُّل ضـــدَّ التَّدخُّل، من بينها التَّدخُّل بناءً على دعوةٍ أو طلبٍ من الحكومة الشَّـــرعيَّة ضـــدَّ المخاطر الّتي تتعرَّض لها. وهذا الطَّلب محكومٌ بعدَّة شـــروط، منها أن تكون الحكومة الدَّاعية شـرعيَّة، على أن يُحَدَّد موضـوع هذا التَّدخُّل، وتُحدَّد المهلة الزَّمنية. إلا أنَّه في الحالة السُّـوريَّة –الروسـيَّة، الإيرانيَّة، لم يتأكَّد أن الحكومة السُّـوريَّة قدَّمت مثل هذا الطَّلب بِمُدَّةٍ معيَّنة وفي مكانٍ مُعَيَّن ولغرضٍ معيَّن، كما تنصُّ عليه أحكام القانون. أمَّا الإطار الشَّـرعيّ، فلا تزال حكومة الدَّولة مسـتقلَّة، وهذه الدَّولة لا تزال تتمتَّع بِعُضْـوِيَّتها في الأمم المتحِّدة والسِّـياسـة الخارجيَّة.

1- روسيا

ترى القيادة الرُّوسـيَّة أن مصـالح روسـيا الوطنيَّة تتطلَّب منها تقديم نفسـها كبديل حقيقيٍّ عن الغرب في منطقة الشَّرق الأوسط، ومنطقة المتوسِّط تقع ضمن هذه التَّطلُّعات، وذلك لأهميَّة المُتوسِّط جيوبوليتيكيًّا من وجهة النَّظر الروسيَّ[٣] .

٤– سلطا ن بال، السَّلفيَّة **الكويتية ونفوذها المتنامي في بلاد الشام**، مركز كارنيغي، أيار ٢٠١٤.
https://carnegieendowment.org/sada/55530

٤– جيمس سلا ن وعة باحثين، **الاستراتيجية الروسية في الشرق الأوسط، مؤسسة راند**، ٢٠١٧ ص ٥.
https://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/perspectives/PE200/PE236/RAND_PE236z1.arabic.pdf

ومنذ بداية أحداث الأزمة السُّوريَّة، شكَّلت الأزمة فيها نقطةَ اشْتباكٍ بين قِوى إقليميَّة ودوليَّة، تَحْكِمُ العلاقات الّتي أقامّها النِّظام السُّوريَ في العقول الماضية، وارْتباط ذلك في الصِّراعات الجارية في المنطقة، ولاسيَّما الصِّراع العربي–الإسرائيلي. فلم تعد الأزمة السُّوريَّة داخليَّة، بل باتت تعبيرًا عن منظومة إقليميَّة واسعة، فَرَضَت على روسيا التَّحرُّك بفعاليَّة تجاه أحداثها، وأخذ دورٍ حاسم، سيَّما أنها لم تلعب دورًا مؤثِّرًا في احْتجاجات تونس ومصر وليبيا. فتعامَلَت روسيا مع الأزمة السُّوريَّة بوصفها صِراعًا دوليًّا على سوريا، مُتَعَدِّد الأطراف، إقليميًّا ودوليًّا، ويجب عليها التَّدخُّل بقوَّة في توجيه الوصول إلى حلٍّ يضمن مصالحها وأهدافها الإستراتيجيَّة[٤]. وهي ترى في سوريا امْتُدادًا جغرافيًّا وأمنيًّا لسياساتها، وموطئ قدمٍ لا يمكن فقدانه. ممَّا دفع القيادة الرُّوسيَّة للوقوف إلى جانب حليفها الأسد من بداية الأزمة.

وقد كان أوَّل أشكال الدَّعم الرُّوسي لسوريا، منع تمرير أيِّ قرارٍ في مجلس الأمن، بالتَّدخُّل في سوريا وإدانة النِّظام وفرضِ عقوباتٍ عليه. وقد دَخَلَت الأزمة السُّوريَّة منعطفًا جديدًا بعد التَّدخُّل العسكريّ الرُّوسيّ الّذي أتى بناءً على طلب رسمي من الرئيس السُّوري للرئيس بوتين، حيث شنَّت الطَّائرات الرُّوسيَّة، غارات جويَّة على أهداف مُعْلَنة في أواخر عام ٢٠١٥. وبذلك اسْتغلَّت روسيا فشل التَّحالف الدُّوليّ في تحقيق نتائج ملموسة في القضاء على تنظيم داعش. وقد سبق هذا التَّدخُّل تعزيز روسيا لقواتها العسكريَّة على الأراضي السُّوريَّة. وقد توالت بعدها الضَّربات الجوِّيَّة الرُّوسيَة الّتي اسْتهدفت مناطق المعارَضة المسلَّحة على خطوط القتال مع النِّظام، مع ضرباتٍ ضدَّ تنظيم داعش في شمال سوريا ووسطها. وقد اتَّخذت من مطار حميميم، القريب من ميناء اللاذقيَّة، مركزًا لقواتها الجويَّة. كما نَشَرَت روسيا منظومة أس ٤٠٠ للدِّفاع الجوِّيّ، في قاعدة حْمَيْمِيم لتعظيم تواجدها العسكريّ.

وقد ألقى هذا التَّدخُّل بظلاله على مجمل التَّفاعلات الّتي تشهدها السَّاحتان الإقليميَّة والدُّوليّة في السَّنوات التَّالية. وقد كان لهذا التَّدخُّل النَّتائج الّتي توخَّتْها روسيا أهدافًا لها. فقد حافَظَت روسيا على هيمنتها، وعلى دورها في سوريا كدولةٍ عظمى في نظامٍ دوليٍّ مُتَعَدِّد الأقطاب. كما أنَّها حافظت على قاعدة التَّموين العسكريَّة الرُّوسيَّة في ميناء طرطوس، المُكَلَّفة

٤- نزار عبد القادر، **روسيا والأزمة السورية: مصالح جيواستراتيجية وتعقيدات مع الغرب**، مجلة الدفاع الوطني، العدد ٨٤، نيسان ٢٠١٣.

بتوفير خدمات لوجستيَّةٍ للقِطَع البَحْرِيَّة الرُّوسيَّة في البحر المتوسط. كما أنَّها أثْبَتَت نفسَها كَطَرَفٍ مباشر على طاولة المفاوضات لحلِّ الأزمة كأحد أطراف الصِّراع . ٥

كما أنَّه قد تمَّ تحقيق الهدف العسكريّ الأساسيّ للتَّدخُّل في سوريا، المُتَمَثِّل بحماية الكيان السُّوريّ، ودعمه عسكريًّا لتمكينه من تأمين الحماية التَّامَّة للعاصمة والسَّاحل (حيث توجد القاعدة الروسية البحرية) والحدود مع تركيا. وبذلك مَنَعُوا تَطَوُّر التَّدخُّل العسكريّ من جانب تركيا والولايات المتحدة الأميركية. وعند اقْتناع الإدارة الأميركيَّة في عهد ترامب من عدم جدوى التواجُد العسكريّ المباشر على الأراضي السُّوريَّة، أَعْلَنَ ترامب أكثر من مرَّة عن قراره سحب قواته من سوريا، إلا أنَّه بسبب ضغوطات "إسرائيل" ونصيحة رئيس هيئة الأركان المشتركة الأميركيَّة، تراجع عن قرار الإنسحاب الكامل ٢، إلى الإبقاء على التَّواجد في قاعدة التَّنف الإستراتيجية.

2- إيران

تعود العلاقات الإيرانيَّة السُّوريَّة إلى ثمانينات القرن الماضي، حيث أتى الفراغ الأيديولوجيّ بعد وفاة جمال عبد النَّاصر، والنِّزاع البعثيّ بين سوريا والعراق، بالتَّزامن مع الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩. فهذه العوامل كرَّسَت نوعًا من العزلة بين سوريا والمحيط العربيّ من جهة، وبين إيران والنِّظام العربيّ من جهةٍ أُخرى. ممَّا أدَّى إلى تقاربٍ بينهما، حيث وَجَدَت إيران في ذلك البُعْد العربيّ السُّوري فُرْصةً لتكون سوريا امْتدادًا اسْتراتيجيًّا لها في المنطقة، لدعم حلفائها في لبنان وفلسطين ضدَّ "إسرائيل". وهذا التَّحالف يُشَكِّلُ شراكة إسْتراتيجيَّة.

ومع أنْفجار الأزمة في سوريا، شَعَرَت إيران بقلقٍ إزاء الآثار الجيوسياسيَّة لتغيير النِّظام في سوريا. وهي تخشى من أن يحكم سوريا بعد الأسد، نظامٌ طائفيٌّ مُنْحازٌ للقِوى العربيَّة السُّنيَّة، ويكون معاديًا لإيران الشِّيعيَّة، وبذلك تَفْقِدُ الممرَّ لوصول الإمدادات إلى حزب الله في لبنان.

وقد ظَهَرَ دعم إيران لسوريا على كافة المستويات، السياسيَّة والعسكريَّة والإقتصاديَّة. لكنَّ التَّدخُّل العسكريّ، حَصَل بشكلٍ غير صريح أو مُعْلَن، حيثُ لم يَصْدِر من الجانِبَين أيَّ تصريحٍ حول دعم إيران لسوريا على المستوى العسكريّ، وذلك في الوقت الّذي يَعْتَقِدُ فيه كثيرٌ من

٤- غسان الإسطنبولي، **سوريا وروسيا بين الصداقة والمصالح**، الميادين نت، تشرين الأول ٢٠٢٠. https://www.almayadeen.net/articles/blog/1429960

٤- موقع فرانس ٢٤، **حماية النفط لم تعد هدفا للقوات الأميركية في سوريا**، شباط ٢٠٢١. https://www.france24.com/ar

الخُبَراء أنَّ إيران أرسَلَت مُستشارين عَسْكَريّين لتَمْكين الأسد، والبقاء في السُّلطة . ويستفيد الأسد من نشر طهران لمئات الخبراء العسكريّين في سوريا، من بينهم قادة كبار في فيلق القدس، وهو الذِّراع الخارجيَّة لقوات الحرس الثَّوري الإيرانيّ. كما أنَّ إيران قامت بتدريب ومساعدة فصائل أفغانيَّة وعراقيَّة لِمُساندة الجيش السُّوريّ. وعلى المستوى السِّياسيّ، فهناك دعمٌ بارزٌ من جانب إيران للنِّظام السُّوري في مختلف المحافل الإقليميَّة والدُّوليّة.

إن التَّدخُّل الإيرانيّ في سوريا، وزيادة نفوذها، وَتَمَرْكُزِها في الإقليم السُّوريّ مع مرور الوقت، واسْتعادة الأراضي السُّوريَّة إلى سيادة النظام، شكَّل مصدر خوفٍ وقلقٍ لدى بعض الأنظمةِ العربيَّة الخليجيَّة، وعلى رأسها السعوديَّة. ممَّا دَفَعَ هذه الدُّول إلى الوقوف في خندقٍ واحدٍ مع الحلف المُقابل وبالتَّالي مع "إسرائيل". ولم تُخْفِ هذه الدُّوَل رغبتها بالتَّقارب مع "إسرائيل" وإقامة علاقاتٍ معها في مواجهة تعاظم النُّفوذ الإيرانيّ على السَّاحة السُّوريَّة، وبالتَّالي السَّاحة العربيَّة. وقد أَعْرَبَ بعض القادة في هذه الدُّول صراحةً عن ضرورة التَّعاوُن الإسرائيليّ العربيّ للحدِّ من هذا النُّفوذ.

تَبَلْوَرَ اتِّجاهٌ واضحٌ نحو التَّطبيع مع "إسرائيل" سرًّا وعلانية، حيث أَصْبَحَت الحليف في مقابل العدوِّ الإيرانيّ. والمشهد الأمثل الشَّاهد على هذا التقارب هو مؤتمر وارسو الذي انْعَقَدَ في آذار ٢٠١٩، في بولندا، وكان بمثابة حفلة مبايعة لنتنياهو من قِبَل الزُّعماء العرب المشاركين [٤]. أيضًا لقد صرَّح نتنياهو[٨] مؤخَّرًا أن ثماني عشر دولة[٢]عربية قد أصبحت لديها علاقات مع "إسرائيل". ولعلَّ هذا الأمر من أهمِّ تداعيات التَّدخُّل في سوريا، حيث أن القضيَّة الفلسطينيَّة لطالما شَكَّلَت محور العلاقات العربيَّة وسياستها الخارجيَّة، إلا أنَّها قد تكاد تُصْبِحُ معدومة في أدبيات وأولويات معظم الدُّول العربية، وكأنَّ تسوية الصِّراع العربي الإسرائيلي قد وَجَدَت طريقها للحلّ. ففي مؤتمر وارسو الأخير، لم يأتوا على أيِّ ذكرٍ لفلسطين وقضيَّتها. وكانت النَّتيجة تطبيع عددٍ من الدُّول العربيَّة مثل الإمارات مع "إسرائيل"، في آب ٢٠٢٠، وتَلَتْها البحرين في أيلول من العالم نفسه، وَتَلَتْها السُّودان وثمَّ المغرب.

وقد تحققت مخاوف "إسرائيل" من التَّمَرْكُز الإيرانيّ في سوريا، حيث جعل تدخُّل إيران العسكريّ إلى جانب روسيا، إيران دولةً تحتلُّ مكانًا مركزيًّا، في محاولات الدَّفع قِدْمًا إلى عمليات

٤- كريم سجادبور، **إيران حليف سوريا الإقليمي الوحيد**، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، حزيران ٢٠١٤.
https://carnegie-mec.org/2014/06/09/ar-pub-55878

٤- BBC NEWS، **مؤتمر وارسو: صدمة لإيران أم مؤامرة للتطبيع مع إسرائيل؟**، شباط ٢٠١٩.
https://www.bbc.com/arabic/inthepress-47270148

التَّسوية في سوريا [٤] ، وقُبِلَت في السَّاحة الدُّوليَّة كطرفٍ شرعِيٍّ بين القوى المُؤثِّرة في مستقبل سوريا، وكذلك زاد من التهديد الإيراني على الجبهة الشِّماليَّة لـ"إسرائيل"، ولو بالوكالة عبر حزب الله.

وفي مطلع أيلول من العام ٢٠١٨، عُقِدَت قمَّة طهران الثُّلاثيَّة الّتي جَمَعَت إليها كلٍّ من روسيا وتركيا [٤] ، الّتي حَدَّدَت الأُطُر لمعركة إدلب حينها، والّتي عُدَّت مُؤَشِّرًا على بداية انْتقال تُركيًّا إلى المحور المقابل في صراع القِوى الدَّائر على الأراضي السُّوريَّة. ففي المبدأ، ثمَّة علاقات متقاطعة بين الأطراف الثَّلاثة فيها الكثير من القضايا المُتَّفَقِ عليها، لكن أيضًا، ثَمَّةَ العديد من التَّبايُنات الّتي هي ليست بقليلة، وهناك تُحاوِل الأطراف الثَّلاثة اللَّعب في معركة إدلب لتحديد أوراق الرِّبح والخَسارة قبل المُضِيّ فيها. لكن في المقابل ثمَّة لاعبٌ آخَر لم يَنْتَظِر دوره، فقرَّرت "إسرائيل" الدُّخول أيضًا في هذه المعركة، ولو بِطُرُقٍ غير مباشرة، فَتَسَبَبت بإسقاط الطَّائرة العسكريَّة الرُّوسيَّةٍ فوق البحر المتوسِّط أثناء تنفيذها لِغارةٍ في اللَّاذقيَّة، وبالتَّالي محاولة "إسرائيل" من هذا الباب إعادة ترتيب مُحدِّدات علاقاتها مع روسيا، وإعادة تحديد أُطُر التَّعاون العسكريّ والأمنيّ في سوريا، ومِنها أيضًا محاولة التَّدخُّل والتَّأثير في معركة إدلب المُرْتَقَبة. وفي أيّ حالٍ من الأحوال ثَمَّةَ مصالح روسيَّة استراتيجيَّة في الأزمة السُّوريَّة كما باقي الأطراف، لكنَّها في المبدأ تبدو اللَّاعِب الأساسيَّ المُقَرِّر في الكثير من خطوطها، رغم حاجتها لإنشاء علاقات متوازنة مع باقي الأطراف، وبخاصَّة الجارة تركيا العدوَّ السَّابق، والمشاغب اللَّاحق، كما العلاقة مع "إسرائيل" الّتي تلعب دورًا في تخفيف الإحتقان الرُّوسيّ الأميركيّ.

ووسط هذه الوقائع المُقَرّرة في سير المحادثات، تبدو موسكو أكثر ميلًا لمراضاة تركيا في مطالبها المزمنة من جهة، وفي المقابل أيضًا محاولة لكبح جماح وتحديد حجم التَّأثير الإيرانيّ لاحقًا، وهي محاولة مستمرَّة من جانب موسكو، في اتِّجاهٍ مُغايرٍ بما يخصُّ حدود التَّماس بين تل أبيب وطهران، من خلال اتِّفاقات ضِمنيَّةٍ تسعى إليها موسكو.

ثمَّ أَتَت قمة سوتشي الثُّلاثية في منتصف شهر شباط من العام ٢٠١٩، لِتُبَلْوِرَ صورةَ وُضِعَ فيها حقلين مُقَابلَيْن مُتَشَكِّلَيْن من المُجْتَمِعِين في سوتشي، بصورةِ المُنْتَصِرين على الأرض

٤١- المعهد الدوليّ للدراسات الإيرانية، التقرير الاستراتيجي السنوي ٢٠١٨، ص ١٦٢.

٤٢- أخبار سكاي نيوز، **ايران تستضيف قمة ثلاثية بشأن سوريا**، آب ٢٠١٨.
https://www.skynewsarabia.com/middle-east/1176987

السُّــوريَّة، في مقابلِ المُجْتَمِعين في وارســو، حيث كَثُرَ الزُّعماء العرب، كَحِلْفٍ غايته الأســمى إرضاء "إسرائيل" ومصالحها [١] . [٣]

وفي ختام هذا المبحث، نقول بأنَّ إشـــكاليَّة تَنَوُّعِ اللَّاعبين الإقليميين الدُّوليّين في الأزمة الســـورية، تُعْتَبَرُ نقطةً رئيســـةً لِفَهْمِ ما يُمكن أن تُؤَثِّر به تطوُّرات الأحداث على الأمن في المتوسِّط، وَوَسط اسْتقطاب المشهد العسكريّ، هنالك العديد من الفصائل والمجموعات مختلفة التَّوجُّهات للإقتتال بالوكالة في السَّاحة السورية، الأمر الذي يُصَــعِّبُ من مهمَّة بعض القوات خروجها بشكل آمن، بعد تحقيقها للأهداف الموضوعة مسبقًا. وبالتَّالي تفاقم الأزمة واكْتساابها المزيد من العسكرة، ما يُنتج مزيدًا من انْعدام الأمن في المنطقة. فإن أبرز الأخطار على الأمن في منطقة المتوسِّط أن تصبحَ روسيا ومصالحها مُسْتَهْدَفة ومُهَدَّدَة نتيجة دورها في سوريا، وأن يُصـــبِح أيّ تواجدٍ لها في المنطقة، مســـرحًا للمواجهة. ولعلَّ حادثة تفجير طائرة ركَّاب مَدَنِيَّة روسيَّة في الأجواء المصريَّة في أواخر ٢٠١٥، توضِح حجم التَّهديد المُمكن. خصــوصًــا أن الجماعات الإرهابيَّة، والتَّنظيمات المُتَطَرِّفة، والّتي تَضـــمُّ مقاتلين قوقاز، قاتلوا ضـــد ســوريا في الشِّيشان، تُعلِن أنَّها ستستهدف روسيا ومصالحها نتيجة محاربة الأخيرة لها في سوريا.

المبحث الثاني: مباحثات أستانة رعاية روسية ومحددات دور الإسلاميين في الحل السُّوري

لقد نَشَـأَت الظَّاهرة الإســلاميَّة في سوريا من واقعِ الصِّـراع والفوضــى والتجريب المُســتمرّ على مدى عقود، ومنذ السَّبعينات. ولم تَخْتَبِر نفسها في بيئةٍ مستقرَّةٍ أو نظامٍ سياسيّ، واتَّسَمت بالتَّالي بدرجةٍ كبيرةٍ من المُرونة والتَّحوُّلات والصِّــراعات البَيْنِيَّة، ولكنَّ الزَّخم الشَّـــعبيّ والميدانيّ والرَّمزيّ للفصائل الإسلاميَّة السُّوريَّة، كان دافعًا دائمًا لتحوُّلاتٍ أيديولوجيَّة وخِطابيَّة واسْتراتيجيَّة في الحركات الإســـلاميَّة النَّاشـــئة، أو حتَّى لدى الحركات الجهاديَّة الوافِدة، كتنظيمِ القاعدة، أو الجهاديِّين السَّلفيِّين.

ويمكن قراءة التَّحوُّلات المُسـتمرَّة للظَّاهرة ضِــمن التَّحدِّي والإســتجابةِ المســتمرَّة، في واقعِ صراعٍ مُعَقَّدٍ ومُتَطَوِّرٍ دومًا. وَتُمَثِّل حركة أحرار الشَّام الاسلاميَّة، تجربةً سياسيَّةً عسكريَّةً محليَّةً وأيديولوجيَّةً صــاعدة، وَمُنَظَّمة، وقابلةٍ لِلمُشـاركة السِّـياسـيَّة، ضــمن مشــروعٍ وطنيّ. بينما تُمَثِّل جبهة فتح الشَّــام، تَحَوُّلات وَتَكَيُّفات الجهاديَّة السَّــلفيَّة المُسْـتَمِرَّة، ومحاولتها تأســيس مشــروعها

٤- فؤاد صباغ، **قمة سوتشي ٢٠١٩: نحو حلف قوي صاعد وصامد**، الميادين نت، آذار ٢٠١٩.
https://www.almayadeen.net/articles/blog/938570

الخاصّ، الّذي اخْتار التَّموضُـــــع في الإطار المحليّ، بعد فكِّ الإرتباط عن القاعدة، ويحاول توسيع أُطَرَ تحالفاته لتأسيس مشروعٍ جهاديٍّ محليّ، هدفه تطبيق الشَّريعة، يقطع الطريق على العمليَّة السِّياسيَّة الدِّيمقراطيَّة. بينما يُمَثِّل جيش الإسلام، فصيلًا عسكريًّا محليًّا، بمرجعيَّةٍ مذهبيَّةٍ سلفيَّة، ولا يَخْتلف بِبُنْيَتِهِ أو خياراته السِّياسيَّة عن فصائل الجيش الحرّ.

وتستفيد "الحركات" الجهاديَّة من الضَّعف التَّنظيميّ لفصائل الجيش الحر، المُصَنَّف بأنَّه يُمَثِّل المعارَضــة غير الإســلاميَّة الهُويَّة، في الفصــائل السُّــوريَّة، وســط غياب الأُطُر الهيكليَّة الجامعة. وهو ما يُتيحُ لها التَّوسُّــع المُستمرّ، في الشِّمال السُّوري خاصَّــة، وهو الضَّـعف نفســه الّذي يعانيه الّتيار الإســلاميّ، غير المُنْتَمي للتَّيار الجهاديّ أو الســلفيّ، وهو الأقرب للمؤسَّســة التَّقليديَّة، أو لِأفكار الإسـلام السِّياسـيّ والحركيّ، ولكنَّه ضَـعْفٌ تفرِضُـهُ هيمنةُ الواقع الفصـائلـيّ، أَكْثَرَ ممَّا يعكِس خارطة الأيديولوجيا والتَّديُّن السَّائد[٢] .[٣]

وَتَتَّجه الخارطة الفصائليَّة في سوريا عامَّة، وفي الشمال السُّوري خاصَّـة، نحو تشكيلاتٍ أقلّ، واندماجٍ أوسع، يُرَجَّحُ أن تكون لصـالح "جيش الفتح"، فيما لو لم تَحُل فصـائل الجيش الحرّ أزمَتَها الهيكليَّة ضمن مِظَلَّةٍ جامعة.

لكنَّ مشـاركة الإسـلاميّين في الحلول المُقترحة لمعالجة الأزمة السُّـوريَّة، مُرْتَبِطة بِتَصَـوُّر الأطراف الإقليميَّة والدُّوليّة للحلّ، ولِمَوقع سوريا الجيوسياسـيّ، في المعادلات المُستقبليَّة للشرق الأوسط، ولِعِلاقات الحركات الاسلاميَّة مع الأطراف الإقليميَّة المؤثِّرة في صُـنْع مستقبل سوريا، وخاصَّـة علاقة بعض الإسلاميّين مع تُركيا، وهم من المُقاتِلين للنِّظام السُّوري من جهة أخرى.

ومن خلال قراءة المشهد الإقليميّ والدُّوليّ في سوريا، يَظْهَر الدَّوْر الرُّوسيّ كعاملٍ محوريٍّ في رسم مستقبل الحلِّ للأزمة السُّوريَّة، والّتي تَبَلْوَرَت من خلال رعاية روسيا لمباحثات أستانة. وفي ضــوء ذلك، هناك دورٌ لمنظومة العلاقات الخارجيَّة لروســيا، مع الأطراف اللَّاعبة والمؤثِّرة في تحديد ورسم مسار حلّ الأزمة السُّوريَّة.

---

[٢] ٤– أحمد أبا زيد، **الحركات الاسلاميَّة في سوريا: ديناميات التشظي وآفاق التقارب**، نشر في ٥/٩/ ٢٠١٦، موقع الجزيرة، رابط:

https://studies.aljazeera.net/ar/reports/2016/09/160905105641550.html

المطلب الأول: مشاركة الفصائل والمجموعات الاسلاميَّة في مؤتمر أستانة برعاية روسية

لا يُمكنُ تقييم مسألة مشاركة الإسلاميين في حلِّ الأزمة السُّوريَّة، دون مقاربة موقفهم من مؤتمر ومحادثات أستانة للسَّلام في سوريا، وهي محادثات جرت بين مُمَثِّلي الدَّولة السُّوريَّة، وعددٍ من قادة فصائل المعارضة السُّوريَّة برعاية روسيا وتركيا، وذلك في العاصمة الكازاخستانيَّة "أستانة" في الثالث والعشرين الرابع والعشرين من شهر كانون الثاني ٢٠١٧.

تُعَدُّ مبادرة مباحثات أستانة، مشروعٌ روسيّ، وقد شاركت فيها الدَّولة السُّوريَّة، أو النِّظام، وفق تعبير المُعارَضة وبعض الدُّول المُناهِضة للنِّظام. وشاركت فيها وفودٌ عن إيران وتركيا وروسيا، وهي القِوى الإقليميَّة اللَّاعبة الّتي لها تواجدٌ رئيسيٌّ وفِعْليٌّ على الأرض السُّوريَّة، كما شارَكَت الأمم المتَّحِدة من خلال مبعوثها الخاصّ إلى سوريا، ستيفان دي مَستورا، ومن ثم إلى خَلَفِهِ غِير بيدرسون. وبالمقابل، غابت الولايات المتحدة الأميركية رغم تواجدها في شرق الفرات في حقل الرميلان، وفي عدة نقاط مراقبة، وقواعد عسكريَّة في محافظة الحسكة وعلى الحدود التُّركيَّة العراقيَّة، والحدود الأُردنيَّة السُّوريَّة (قاعدة التنف).

كما لم تُشارك القِوى الكُرديَّة، وخاصَّةً تنظيم قوات سوريا الدِّيمقراطيَّة (قسد)، المدعوم أميركيًّا، وهو فصيلٌ رئيسيٌّ متواجدٌ في محافظة الحَسَكَة وعين العرب (كوباني)، وسابقًا في عِفرين (حلب)، فيما تتواجدُ بقايا داعش الإرهابيَّة، في بُؤَرٍ ومناطق محدودةٍ على الحدود العراقيَّة –السُّوريَّة، وتتواجد جبهة النُّصرة الإرهابيَّة في محافظة إدلب على الحدود مع تركيا.

كان الهدف الّذي انْطلقت من أجله "مباحثات أستانة"، هو التَّوصُّل إلى تسويةٍ للصِّراع في سوريا، بعيدًا عن أيّ حلٍّ عسكريّ، والتَّأكيد على أنَّ الحلّ السِّياسيّ، هو السَّبيل الوحيد الّذي يُمكن اللُّجوء إليه في الأزمة السُّوريَّة، طِبقًا لقرارات مجلس الأمن ٢٢٥٤ واتِّفاق جنيف ١. كذلك سَعَت الدُّول المشاركة، إلى مواجهة المُخَطَّطات الإنفصاليَّة، والتَّأكيد على سيادة واسْتقلال وَوَحْدَةِ الأراضي السُّوريَّة، باعْتبارها دولةٌ متعدِّدَةُ الأعراق والأديان، وديمقراطيَّة وغير طائفيَّة، وترسيخ قرار وقف إطلاق النَّار، وإعادة اللَّاجئين السُّوريّين إلى مناطقهم وقُرَاهُم، وحلِّ ملفِّ المفقودين والأسرى.

لقد اتَّخَذَت أغلب المجموعات والتَّنظيمات الإسلاميَّة المُسلَّحة السُّوريَّة، والمجموعات الإسلاميَّة الأجنبيَّة المرتبطة بها (مجموعات القاعدة والأيغور والتركستان والشيشان الخ)، موقفًا سلبيًّا وعدائيًّا وجذريًّا رافضًا لمباحثات أستانة، واعْتَبَرتها مفاوضات خيانةٍ واسْتِسْلامٍ وتنازُلٍ لنظامٍ يجب أن يسقط نهائيًّا، وهي مجموعاتٌ محكومةٌ لاعْتباراتٍ عقديَّة، جرى سَرْدُها سابقًا. كما أن

هذه القِوى زادت من حِدَّتها وعدائيَّتها اتِّجاه النِّظام، بعد تلقِّيه الدَّعم من إيران وروسيا، واعْتَبَرَتْهُما دُوَلَ احْتلال، ولذلك هي مُصِــرَّة على قتالِ النِّظام، وإخراج القوات الأجنبيَّة (إيران وروســيا) من سوريا.

وبالمقابل، لن تقبل سوريا الدَّولة، ولا الدُّوَل المُشاركة، إيران وروسيا، في مباحثات أستانة بمشــاركتها أصــلًا، ما عدا تركيا، ما يُؤَكِّد أن لا إمكانيَّة لمشــاركة هؤلاء الإســلاميّين في أيَّة مفاوضــاتٍ مســتقبليَّة، ويأتي على رأس هؤلاء، جبهة النُّصــرة وفتح الشَّــام، كما لن تقبل الدُّول المُشــاركة بهذه المجموعات، لأنَّها مُصَــنَّفة دُوَليًّا، بأنَّها مجموعات إرهابية، وفق مُقَرَّرات الأمم المتَّحدة[٣] .[٣] [٤]

وعلى الضِّـفَّة الأُخرى، شـارك وفدٌ من الإسـلاميّين في مباحثات أسـتانة، وهو الوفد الّذي يُمَثِّل القوى والمجموعـات المُرتبطـة بتركيـا[٣] . وقـد تَسَـــبَّـب المؤتمر[٤] بـانْقســـامٍ حـادٍّ في صـفوف المعارضـة السُّوريَّة المسلَّحة، العاملة في الشِّمال السُّوري تحديدًا، حيث رَفَضَـت جبهة فتح الشَّـام (جبهة النصـرة)، وعدد من الفصـائل المتحالفة معها، نتائج المؤتمر. وَحَدَثَ شَـرخٌ في صـفوف حركة أحرار الشَّـام الاسـلاميَّة، نَتَجَ عنه انْشقاق عددٍ من الشَّـخصـيَّات القياديَّة، إضـافَةُ إلى عددٍ من الفصـــائل المُنْضَـــوِيَة تحت رايتها، أو المتحالفة معها. وبالتالي زوال التَّحالُف المُسَـمَّى جيش الفتح، وظهور تشـكيلٍ جديدٍ ضَـمَّ المُعارِضــين للحلِّ السِّـياســيّ في ســوريا، ولاسْتهداف جبهة النُّصرة تحت مُسَمَّى هيئة تحرير الشَّام.

٤– قرارا الأمم المتحدة **إدراج جبة النصرة على لائحة الإرهاب:** أدرج تنظيم جبهة النصرة لأهل الشا مفي القائمة يو م 14 أيار/مايو ٢٠١٤، عملا بالفقرتين ٢ و ٣من القرار ٢٠٨٣(٢٠١٢) ككيان مرتبط بتنظيم القاعدة، بسبب ’ ’المشاركة في تمويل أعمال أ وأنشطة يقو مبها تنظيم القاعدة(QDe.004) وتنظيم القاعدة في العراق (QDe.115)أ والتخطيط لهذه الأعمال أ والأنشطةأ وتيسير القيا مبهاأ والإعداد لها أ وارتكابها،أ و المشاركة في ذلك معهماأ وباسمهماأ وبالنيابة عنهماأ ودعما لهما “و’ ’التجنيد لحسابهما‘ ؛أ و’ تقديم أي أشكال أخرى من الدعم للأعمال أ والأنشطة الّتي يقوما نبها.“، رابط:

https://www.un.org/securitycouncil/ar/sanctions/1267/aq_sanctions_list/summaries/entity/al-nusrah-front-for-the-people-of-the-levant

٤– ضم وفد المعارضة السُّوريَّة من الفصائل الاسلاميَّة كل من: يامن تلجو ومحمَّد علوش (رئيس الوفد) عن" جيش الإسلام"/ منذر سراس ونزيه الحكيم عن" فيلق الشام"/ العقيد أحمد عثمان عن" فرقة السلطان مراد"./النقيب أبو جمال عن "لواء شهداء الإسلام/ داريا(دمشق)"/ أبو قتيبة عن" تجمع فاستقم"/ أبو ياسين عن" الجبهة الشامية"/الرائد ياسر عبد الرحيم عن "غرفة عمليات حلب"./ إضافة إلى أسامة أبو زيد ونصر حريري "بصفة خبراء تقنيين".

ويُشير البيان الخِتاميّ، إلى إمكانيَّة لمشاركة بعض المجموعات في الحلّ، لكنَّ الأمر يحتاج إلى الإتِّفاق على آليَّات المرحلة الإنتقاليَّة، وهي تحتاج إلى مفاوضاتٍ صعبةٍ وشاقَّةٍ وطويلة، وفيما يلي مُقتطفات من هذا البيان؛[٤٣]

"إن وفود الجمهورية الإسلاميَّة الإيرانية والإتحاد الرُّوسي وتركيا وبما يتوافق مع البيان المشترك لوزراء الخارجيَّة المُعْلَن في موسكو في ٢٠١٦/١٢/٢٠ ومع قرار مجلس الأمن رقم ٢٣٣٦ فإنَّهم يدعمون إطلاق محادثاتٍ بين حكومة الجمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة ومجموعات المعارضة المسلَّحة في أستانة في الفترة بين ٢٣ و ٢٤ من كانون الثاني لعام ٢٠١٧".

وَتُعَبِّر الوفود عن تقديرها للمشاركة، والتَّسهيلات المُقَدَّمة من مبعوث الأمين العام للأمم المتَّحدة الخاصّ إلى سوريا، في المحادثات المذكورة وتُؤَكِّد على الْتزامها بسيادة واسْتقلال وَوَحدة أراضي الجمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة، وبِكَوْنها دولة متعدِّدة الأعراق والأديان، وغير طائفيَّة وديمقراطيَّة، كما تمّ التَّأكيد سابقًا من قبل مجلس الأمن.

وَتُعْرِبُ الوفود عن قناعتها، بأنَّه لا حلّ عسكريًّا للأزمة في سوريا، وأن الحلَّ الوحيد، سيكون من خلال عمليَّة سياسيَّة مبنيَّة على تطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٢٢٥٤ بالكامل.

وستحاول الجهات المذكورة أعلاه، من خلال خُطُوات ملموسة، وباسْتخدام نفوذها على الأطراف، تثبيت وتقوية نظامِ وقْفِ إطلاق النَّار، الّذي أُنْشِئَ بناءً على التَّرتيبات المُتَّفق والمُوَقَّع عليها في التاسع والعشرين من شهر كانون الأول ٢٠١٦، وبدعمٍ من قرار مجلس الأمن رقم ٢٣٣٦ لعام ٢٠١٦، بما سَتُسَاهم في تقليص العنف والحدِّ من الإنتهاكات، وبِناء الثِّقة، وتأمين وصولٍ سريعٍ وسَلِس، ودون مُعَوِّقاتٍ للمُساعدات الإنسانيَّة، تماشيًا مع قرار مجلس الأمن ٢١٦٥ لعام ٢٠١٤، وتأمين الحماية، وحُرِّيَّة التَّنقُّل للمدنيّين في سوريا.

٤- وكالة سانا السوية، نشر في ٥ / ٩ / ٢٠١٧، https://www.sana.sy/?p=626525،
ونشره عدة مواقع منها اليوم السابع المصرية: https://www.youm7.com/story/2017/1/24/
وموقع وكالة سبوتنيك الروسية:
https://arabic.sputniknews.com/arab_world/201710311027118597

كما قررت إنشاء آليَّة ثُلاثيَّة لمراقبة وضمان الإلتزام الكامل بوقف إطلاق النَّار، وَمَنْعِ وقوع أيَّة اسْتفزازات، وَوَضْع الآليَّات النَّاظمة لوقف إطلاق النَّار.

وَتُعيد الوفود المُشارِكة، التَّأكيد على إصْرارها على القتال، مُجْتَمعين ضدَّ تنظيمي داعش والنُّصرة الإرهابِيَّيْن، وعلى فصلهم عن التَّنظيمات المُسَلَّحة المُعارِضة.

وَأَعْرَبَت عن قناعتها بالحاجة الملّحَّة لزيادة الجهود لإطلاق عمليَّة المُحادثات، بما يتوافق مع قرار مجلس الأمن ٢٢٥٤، وَتُؤَكِّدُ على أنَّ الإجتماع الدُّوليّ في أستانة، هو منصَّةٌ فعّالة، لحوارٍ مباشر، بين الحكومة والمُعارضة وِفْقَ متطلّبات القرار نفسه.

وَتُعَبِّر الوفود عن دعمها للرَّغبة الّتي تُبْديها المجموعات المُسلَّحة المُعارِضة، للمشاركة في الجولة التَّالية من المحادثات الّتي سَتُعْقَدُ بين الحكومة والمعارَضة، برعاية الأمم المتحدة في جنيف في الثامن من شهر شباط ٢٠١٧، وتَحُثُّ المجتمع الدُّوليّ، لِيَقُوم بدعم العمليَّة السِّياسيَّة، من مُنْطَلَقِ التَّطبيق السَّريع لكلِّ الخُطُوات المُتَّفَق عليها في قرار مجلس الأمن ٢٢٥٤. وَتُقَرِّر التَّعاون بفعالية، بناءً على ما تحقَّقَ في اجْتماع أستانة، حول المواضيع المُحَدَّدة في العمليَّة السِّياسيَّة، الّتي تَتِمُّ بتسهيلٍ من الأمم المُتَّحِدة بقيادةٍ سوريَّة، وعائديَّة سوريَّة، بما يُسْهِم في الجُهود العالميَّة لتطبيق قرار مجلس الأمن ٢٢٥٤.

أمَّا على مستوى تقييم جولات التَّفاوُض الخمسة عشر في مباحثات أستانة، فبعد أربعة عشر جولة من مفاوضات أستانة، يمكن القول بأنَّ هناك نتائج ميدانيَّة تحقَّقت على مستوى تثبيت وقف إطلاق النَّار، ووقْف الأعمال العدائيَّة، رغم أن المسار السِّياسيّ والقانونيّ والدُّستوريّ، لا يزال بطيئًا بالقياس إلى التَّقدُّم الميدانيّ، وفيما يلي بيانٌ بِتَطَوُّرِ نتائج هذه المباحثات:

"وخلال أربعة عشر جولة من "مباحثات أستانة" الّتي عُقِدَت على مدى أربعة سنوات، تبدَّلت فيها الوجوه والشَّخصيَّات الّتي مَثَّلَت المعارَضة السُّوريَّة، بينما بقي وفد الحكومة السُّوريَّة برئاسة الدُّكتور بشَّار الجعفري، وبَقِيَت الدُّول الضَّامنة للمباحثات ثابتة من حيث التَّمثيل".

فيما تميزت مباحثات الجولة الخامسة عشر، بتمثيلٍ أوسعٍ للفصائل الّتي تشارك في مؤتمرات جنيف، منها "فيلق الشام"، "فرقة السلطان مراد"، "الجبهة الشامية"، "جيش العز"، "جيش النصر"، "الفرقة الأولى الساحلية"، "لواء شهداء الإسلام"، "تجمع فاستقم"، "جيش الإسلام."

وشـهدت الجولات الأربعة عشـر السَّـابقة من مباحثات أسـتانة نجاحات وانْتكاسـات، فقد حَقَّقَت وقف إطلاق النَّار في أكثر من مرة، وَرَسَّـخَت مفهوم مناطق خفض التَّصـعيد، الّتي ساهمت في خفض العنف وعودة مناطق واسعة من سوريا للإستقرار، وفيما يلي موجزٌ لِأَبْرَزِ ما أَقَرَّتْهُ كلَّ جولة:

الجولة الأولى: التَّأكيد على الحلِّ السِّياسيّ في سوريا، وتثبيت وَقْفٍ شاملٍ لِإطلاق النَّار باسْتثناء تنظِيْمَيْ داعش وجبهة النُّصرة، حيث أكَّدَت الدُّول المُشاركة على محاربتهما.

الجولة الثانية: الإتِّفاق على تشـكيل لجنة عملٍ ثلاثيَّة تشـمل كلٍّ من "روسـيا–إيران–وتركيا" لمراقبة الهدنة.

الجولة الثالثة: قدَّمت روسـيا اقْتراحات بِوَضْـع دسـتورٍ للبلاد، وانْتهت الجولة في ظلِّ مقاطعة المعارضة.

الجولة الرابعة: تَمَخَّض عنها الإتِّفاق على تحديد مناطق خفض التَّصـعيد، وشَـمِلَت إدلب والغوطة الشَّرقيَّة وريف حمص الشمالي وجنوب سوريا لمدة ستة أشهر.

الجولة الخامسة: الإتِّفاق على وضـع حدودٍ وآليَّات "مناطق خفض التَّوتُّر"، ونشـر مراكز مراقبة الهدنة.

الجولة السادسة: الإتِّفاق على إنشـاء منطقة رابعة لخفض التَّصـعيد في إدلب، وبحث إمكانيَّة زيادة عدد الدُّوَل المراقِبة للهدنة.

الجولة السابعة: بحث ملفِّ المُعتَقَلين والمخطوفين وتثبيت وقف إطلاق النار.

الجولة الثامنة: تشـكيل مجموعَتَيْ عمل من أجل المُعتَقَلين والمفقودين، وتبادل الأسـرى والجثث، وإزالة الألغام.

الجولة التاسعة: تعزيز مناطق خفض التَّصعيد وحمايتها، وزيادة نقاط المراقبة الأمنيَّة من إثني عشـر إلى ستِّ عشـر نقطة في إدلب، على أن تُشْـرِف تركيا على النِّقاط القريبة من جبهة النُّصرة.

الجولة العاشرة: تَهْيِئَة الظُّروف لتسهيل بدء عمل اللّجنة الدُّستوريَّة في جنيف بما يتماشى مع قرارات مؤتمر سوتشي وقرار مجلس الأمن.

الجولة الحادية عشـر: تنفيذ إتّفاق سـوتشــي بين تركيا وروســيا بشـكلٍ كامل في منطقة خفض التَّوتُّر بإدلب، وتعزيز التَّعاون المُشترَك بين الدُّول الضَّامنة لمحاربة الإرهاب.

الجولة الثانية عشــر: الوقوف في وجه المخطَّطات الإنفصـــاليَّة، والإســراع في تشـكيل اللجنة الدُّسـتوريَّة، وإدانة قرار الرَّئيس الأميركي دونالد ترامب بالإعتراف بسـيادة "إسـرائيل" على الجولان المحتلّ.

الجولة الثالثة عشــر: التَّأكيد على النِّقاط الّتي وردت في الجولات السَّــابقة، إضـــافة إلى إدانة مبادرات الحُكم الذَّاتي غير المشروعة شمال شرقيّ سوريا.

الجولة الرابعة عشـر: التَّأكيد على ضـرورة القضـاء على التَّنظيمات الإرهابيَّة، إدانة النَّقل غير المشروع لعائدات النّفط في سوريا [٦] . [٣]

المطلب الثاني: السياسة الروسية في سوريا كَمُحَدِّد لمستقبل مشاركة الإسلاميِّين في سوريا

يمكن اعْتبار الدَّور الرُّوسـي عامِلًا موضـوعيًّا مُؤَثِّرًا في دراسـة اتِّجاهات الحلول المُقتَرَحة للأزمة السُّـــوريَّة، من خلال مجموعة اعْتبارات ومعايير ومؤشِّـــرات. حيث تبرز أهمية الدَّور الرُّوســي من خلال العلاقات المتينة لروســيا مع النِّظام في ســوريا، وهو ما يظهر في الزِّيارات والخطابات المُتبادَلَة بين الرَّئيسَيْن، الرُّوسـي فلاديمير بوتين والسُّـوري بشَّـار الأسـد، ومن خلال الإتِّفاقيَّات الطويلة الأمد، المعقودة بين الطَّرَفَيْن، وعبر الحضور العسكريّ المَيْدانيّ على الأرض من خلال القواعد العسكريَّة الجويَّة في حْمَيْمِيم والبحريَّة في طرطوس.

المَسْأَلة الأهمّ في المقاربة لعلاقات روسيا مع سوريا من موضوع الإسلاميّين، هو أن كِلَا البَلَدَيْن لديهما موقفٌ جذريٌّ ومبدأيٌّ واسْتراتيجيٌّ يرفض مُشاركة الفصائل الاسلاميَّة المُسلَّحة في رسـم مسـتقبل سـوريا، وهما يُحارِبان هذه الفصــائل بلا هوادة، وإذا قَبِلَا بمبدأ مشاركة أيِّ فصـيلٍ إســلاميّ سـوريّ في العمليَّة التَّفاوضـيَّة، فهو من قبيل إشـراكه في وَقْف الأعمال العدائيَّة وَوَقْف إطلاق النَّار، وليس لإشـراكه في السُّـلطة والحكومة، وفي صـياغة الدُّسـتور، وأيضًـا من مَنْظور ارْتباطه بِطَرَفٍ إقليميّ لاعبٍ ومُشــارِكٍ في المُباحثات، كما في حالة الفصــائل المحســوبة على تركيا في مباحثات أستانة وهو ما سنشير إليه لاحقًا.

---

4 - https://www.almayadeen.net/news/politics/1458644/14- 6 3

كما أنَّ لدى روسيا نظرةٌ حادةٌ وجذريَّةٌ من موضوع مشاركة الإسلاميّين في أيِّ حلّ، فهي تُصَنِّفُهُم بالمجموعات الإرهابيَّة، وذلك لِعِدَّة اعْتبارات، منها اعْتقادها نتيجة التَّجربة الصَّعبة معهم منذ عهد الإتِّحاد السُّوفياتيّ وأفغانستان والشِّيشان، أنَّهم بيدقٌ يُسْتَخْدَمُ ضدَّها من قِبَلِ الغرب وحلفائه، وأيضًا من خلال العامل الدِّيموغرافيّ، حيث ينتمي حوالي عشرين مليون مسلم إلى مواطني الدَّولة الرُّوسيَّة، وحوالي مئة مليون مسلم، ينتشرون في الدُّوَل الإسلاميَّة المُسْتَقِلَّة المُحيطة والمجاورة لروسيا، وَخَشْيَةَ موسكو أن تتحَوَّل سوريا ومن بعدها العراق إلى دُوَلٍ تُسَيْطِرُ عليها مجموعاتٍ إسلاميَّةٍ مُتَطَرِّفة، ما يُحَوِّلُها إلى تهديدٍ اسْتراتيجيٍّ للأمن القوميّ الرُّوسيّ.

ولذلك، أدَّى انْخراط روسيا في سوريا عسكريًّا عام ٢٠١٥، وإقامتها قواعد عسكريَّة، إلى تحوُّلاتٍ جذريَّةٍ في اتِّجاهات الصِّراع، وأدَّى إلى تَغَيُّراتٍ ميدانيَّةٍ ودبلوماسيَّةٍ وجيوسياسيَّة، تَرَكَت أثرها على مسألة مشاركة الإسلاميّين في الحلّ أو في السُّلطة في سوريا.

ولهذا، ينبغي دراسة مجموعة المصالح الرُّوسيَّة وعلاقاتها مع عِدَّة أطرافٍ أساسيَّة مُؤَثِّرة في الأزمة السُّوريَّة، وخاصَّةً العلاقات الرُّوسيَّة–الإيرانيَّة، والعلاقات الرُّوسيَّة–التُّركيَّة، والعلاقات الرُّوسيَّة–الإسرائيليَّة.

وهكذا، تُساعد دراسة منظومة العلاقات والمصالح الرُّوسية مع هذه الأطراف، في رسم ملامح مستقبل الحلِّ في سوريا، وَدَوْرِ الإسلاميّين فيه، خاصَّة وأنَّ سَيْرَ الأحداث في سوريا، وحسم المعركة في أغلب المحافظات السُّوريَّة، جَعَلَ الأزمة مُتَرَكِّزة بشكلٍ رئيسيٍّ في مَعَاقِل حدوديَّة مع تركيا والعراق والأردن و"إسرائيل"، وَجَعَلَ الدُّول اللَّاعِبة متقدِّمة على الأرض على حساب الفصائل المُسلَّحة، وهو ما جعل هذه الفصائل أوراقًا تفاوضيَّةً في المباحثات الدَّائرة. وبناء عليه، نُشير إلى هذه العلاقات في سياق رسم ملامح المشهد السُّوريّ:

1- العلاقات الرُّوسيَّة–السُّوريَّة:

كَشَفَت الأزمة السُّوريَّة عن عمق ومَتانة العلاقات بين روسيا وسوريا، وعن ارْتقاء هذه العلاقة إلى مستوى الحِلْف بين البلدين، وتاريخيًّا تتمتَّع روسيا وسوريا بتاريخٍ طويلٍ من التَّعاون في العديد من المجالات. وكان البَلدان على علاقةٍ وثيقةٍ وبخاصَّة إبَان رئاسة الرَّئيس حافظ الأسد. إذ تمَّ التَّوقيع على معاهدة صداقة وتعاون في ذلك الوقت، لكنَّها كانت أكثر من وثيقة إطاريَّة، ولَم تَفْرض أيَّة إلتزامات قانونيَّة دُوليّة مُحدَّدة على أيٍّ من الطَّرفين.

كانت العلاقات مَبْنِيَّة على الثِّقة، وقد صَـــمَدَت أمام اخْتبار الحرب مع "إســـرائيل"، عام ١٩٧٣ في مرتفعـات الجولان، والحرب الأهليَّـة في لبنـان (١٩٧٥–١٩٨٩)، إذ قـاتـل الجيش السُّوري بمشاركة المُستشارين العَسْكريّين السُّوفييت بشكلٍ غير مباشر. كما كانت هناك خِلافات حول الموقف من منظَّمة التَّحرير والفصـائل الفلسطينيَّة، والموقف الشَّـخصـيّ من ياسر عرفات. ومع ذلك، تم حلّ هذه الخلافات بالحوار المُنْتَظِم القائم على الثِّقة والمُشَـــاورات السِّـــياســـيَّة والعسكريَّة الوثيقة . [٧] [٣] [٤]

في التِّسـعينيات وأوائل العقد الأوَّل من القرن الحادي والعشـرين، عندما "انْسـحبت" روسـيا بمشاكلها الدَّاخليَّة من الشَّرق الأوسط، كانت العلاقات الرُّوسيَّة–السُّوريَّة المُثْقَلَة في حالةِ تَدَهْوُر. وبعد انْتخابه رئيسًا عام ٢٠٠٠، قام بشَّار الأسد بالإلتفات نحو أوروبا، وبخاصَّة فرنسا أيَّام جاك شـــيراك، بِكوْنِها مركزًا لاحْتواء الولايات المتَّحدة، الّتي اتَّهَمت ســـوريا بدعم المقاومة العراقيَّة للإحتلال الأميركي. وقام الرَّئيس بشَّـار الأَسَـد بالزِّيارة الأولى لروسـيا في عام ٢٠٠٥. وغطّت الإتِّفاقيَّات الّتي تمَّ التَّوصُّـل إليها على أعلى مسـتوى، مجموعةً واسـعةً من القضـايا في مجال التَّعاون العسكريّ–التِّقنيَ والإقتصـاديّ، في سياق تسويةٍ سوريَّةٍ لِدُيُونها بالكامل، وَأَعْطَت دفعةً جديدةً لتطوير العلاقات الثُّنائيَّة في ظلِّ الظُّروف الجيوسياسيَّة المُتَغَيِّرة.

وبعد تَحَوُّل "النِّزاع" في ســوريا في عام ٢٠١١، إلى مواجهة مُسَــلَّحة، سَـيْطَرَ المنظور العسكريّ على التَّعاوُن الرُّوسيّ–السُّوريّ. وَتَدَخَّلَت روسيا بشكلٍ مباشرٍ في النِّزاع بناءً على طلب الرَّئيس بشار الأسد عام ٢٠١٥، وهي حقيقةٌ تمَّ تأكيدها عبر الإتِّفاقيَّات المُوَقَّعَة بين البَلَدَيْن.

ولا يُمْكِن النَّظر إلى العلاقات الرُّوسيَّة السُّوريَّة بعين المساواة لعلاقاتها مع فاعِلِين إقليميّين مُؤَثِّرين، تَرْتَكِز على اعْتباراتٍ مختلفة. لكنَّ شيئًا واحدًا يجمعهم: تاريخٌ مُشْتَرَك، مَصَالِح مُتَزامِنة في مناطق خارج سوريا، وتعاونٌ مُتَبَادَل المنفعة، بما في ذلك في المنطقة العسكريَّة.

لِنَأْخُذ، مَثَلًا، الإتِّفاقات الخاصَّـة بجنوب سوريا، الّتي شـارَكَت فيها "إسرائيل" بشكلٍ غيرَ رسـميّ. هذه الإتِّفاقات هي الّتي سَـمَحَت لسـوريا باسْـتعادة السَّـيطرة على المُحافظات الجنوبيَّة بِشَـرْطِ الإلتزام بشـروطٍ لا تَنْتَهِكُ حقوقها السِّـياديَّة. وَلَمْ يُخْفِ المسـؤولون الرُّوس حقيقة أنَّ ذلك

٤– ألكسندر أكسينينوك، **روسيا وسورية– الفروق الدقيقة في علاقات الحلفاء**، نشر في ٣ /٩/ ٢٠٢٠، نشر موقع post ١٨٠، رابط: https://180post.com/archives/13139

يعني سَحْب الوحدات العسكريَّة الإيرانيَّة، والمُوالِية لإيران، من المنطقة الأمنيَّة على طول ثمانين كيلومترًا، واسْتخدام مبادئ المُصالَحة الوطنيَّة لِتَشكيل سُلُطاتٍ محليَّة.

وَلِنَأْخُذ الإتِّفاقات الّتي تمَّ التَّوصُّل إليها بين رَئِيْسَي روسيا وتركيا في الرابع من شهر آذار ٢٠٢٠، بِشَأْنِ إدلب، في إطار تنفيذ اتِّفاقيَّة منطقة "خفض التَّصعيد" الّتي وضَعَتْها "ترويكا أستانة" بمِشُاركة سوريَّة. وبهذا التَّطوُّر، من الممكن تَجَنُّب السِّيناريو الأسوأ، والَّذي لن يكون في مصلحة سوريا وروسيا وتركيا. وهي لا تُغَيِّر بأيِّ حالٍ من الأحوال، الموقف من مشكلة إدلب كجزءٍ من النَّهج المبدئيّ لاسْتعادة وَحدة أراضي سوريا، والحرب المُشتَرَكة ضدَّ الإرهاب.

أمَّا بالنِّسبة للعلاقات الأميركيَّة–السُّوريَّة، فإنَّ روسيا تنتهج سياسةً واقعيَّةً هنا تَهْدِف إلى منع الحوادث الّتي قد تؤدِّي إلى صِدامٍ مُسَلَّح. وفي الوقت نفسه، تَبْحَث عن فُرَصٍ للتَّفاعل في تلك المجالات، والّتي قد تَتَوافق فيها مصالح روسيا والولايات المتَّحدة دون المَساسِ بـ "الثَّوابت الإستراتيجيَّة" لعلاقات روسيا مع حليفها السُّوريّ.

وقد ازْدادت في أواخر العام ٢٠٢١، التَّوتُّرات في شمال شرق سوريا، حيث يَتَرَكَّز الوجود العسكريّ الأميركيّ بشكلٍ ملحوظ، وبالتَّالي، يُرَكِّزُ الطَّرفَان بشكلٍ خاصٍّ على وجود "قناةٍ لحلِّ النِّزاع" ويَرْسِمان في الوقت نفسه "خطوطًا حمراء" لا ينبغي تجاوزها. وَتَسْعى روسيا إلى تعزيز التَّفاهُم بين دمشق والأكراد حول وضعهم الدُّستوريّ، ما يزيد من فُرَصِ اسْتعادة سوريا، لوحدة أراضيها كجزءٍ من تسويةِ ما بعد الصِّراع [٨] . [٣]

2- العلاقات الرُّوسيَّة–الإيرانيَّة وأثرها على مستقبل الحلّ في سوريا:

بَقِيَت العلاقات الرُّوسيَّة الإيرانيَّة بمستوى العلاقات الحَسَنة والعاديَّة حتَّى سنة ٢٠٠٧، عندما زار الرَّئيس بوتين إيران، والْتَقى مُرْشِد الجمهوريَّة الإسلاميَّة الإيرانيَّة علي خامنئي. لكنَّها تَطَوَّرَت تدريجيًّا بعد هذه الزِّيارة التَّاريخيَّة، وَوَصَلَتْ إلى مُستوى التَّعاوُن الإقليميّ بعد انْدلاع الأحداث في سوريا، وبعد المُباحثات الإيرانيَّة الرُّوسيَّة الّتي أدَّت إلى قرار تدخُّل روسيا في سوريا عام ٢٠١٥.

وَيَتَّفِقُ الطَّرفان الرُّوسيّ والإيرانيّ على مَسْأَلَتَيْن أساسيَّتين هما:

أ . بقاء وحِفْظ النِّظام السُّوري ووحدة الأراضي السُّوريَّة.

٤- ألكسندر أكسينينوك، **روسيا وسورية–الفروق الدقيقة في علاقات الحلفاء**، مرجع سابق. ٢

ب. محاربة التَّنظيمات الإســـــلاميَّة المُسَـــلَّحة المُتَطَرِّفة والإرهابيَّة وإشْـــراك التَّنظيمات الوطنيَّة.

في ســـنة ٢٠٢٠، قام المجلس الرُّوســـيّ للعلاقات الدُّوليّة(RIAC)، الّذي يَتَرَأَّس مجلس أُمَنَائِه وزير الخارجيَّة الرُّوسـيّ سـيرغي لافروف، و"مركز دراسـة إيران وأوراسـيا (IRAS)" الّذي أسَّسه السَّفير الإيراني، ومُستشار وزير الخارجيَّة الإيرانيّ مهدي صـانعي، بِنَشْر بحثٍ مُشْتَرَكٍ على موقع المجلس الرُّوسيّ، بعنوان "روسيا وإيران في سوريا وخارجها: التَّحدِّيات المُقْبِلة" .

وَيُقْسَم التَّقرير المُوَسَّـع إلى ثلاثة أجزاء، تَضَـمَّنَ الجزءِ الأوَّل منه مُوْجَزًا عن النِّقاط، الّتي تَوَافَقَ عليها الفريقان أو اخْتلفا، وكان الجِزْآنِ التَّاليان، عِبَارةِ عن نَظْرَةِ كلٍّ من الفريقَيْن إلى التَّعاوُن الرُّوسيّ الإيرانيّ في الأزمة السُّوريَّة، وَمَزَايَا هذا التَّعاوُن ومشاكله.

نُوْرِدُ مُقْتطفات من الدِّراســة نَظَرًا لأهمِّيَّتها في تسـليط الضَّـوء على منظور البَلَدَيْن للأزمة السُّوريَّة:

تختلف أهداف الدَّوْلَتَيْن من انْخراطهما في الصِّـــراع السُّـــوريّ. تَقُومُ أهداف روســـيا على تحويلِ الإنتصـارات العسكريَّة إلى مصـالح سياسيَّة واقْتصـاديَّة. أمَّا الإيرانيُّون فَيَرَوْنَ أهدافهم في دعم النِّظام، الّذي يَعْتَبِرونَه "حلقةً أساسيَّةً في مِحور المقاومة"، وفي تعزيز العلاقات الإقتصـاديَّة مع سوريا، كواحدٍ من أهدافهم الرَّئيسيَّة.

وَبِشَأن عملية أستانة، يَتَّفق الطَّرفان على أهميَّة المفاوضات بين روسيا وتركيا وإيران، في حلِّ المُشكلة السُّوريَّة. وَيَضَـعُ الإيرانيُّون آمالًا كبيرة، على المُفاوضـات الثُّلاثيَّة، ويعتَبِرون، أنَّها "قد تكون الوسيلة الوحيدة لِتَسْوِيَةِ الأزمة السُّوريَّة"، وَيَقْتَرِحون ضمَّ الصِّين والدُّوَل الأوروبيَّة إليها. أمَّا الرُّوس، فمَعَ اعْترافهم بالأهميَّة الكبيرة للمفاوضـــات الثُّلاثيَّة، إلا أنَّهم يُرَكِّزون اهْتمامهم على تعزيز نُفوذ روســيا في المنطقة، دون الإنخراط الجِدِّي في حلِّ المشــاكل الإقليميَّة. وفيما يتعلَّق بدُستور سوريا الجديد، يَتَّفِقُ الطَّرفان على عدم فعالية عمل لجنة الدُّستور.

وفي الموقف من الولايات المتحدة الأميركيَّة، يرى الرُّوس، أنَّ الولايات المتحدة ليســـت مَعْنِيَّةً في الوقت الرَّاهن بِحَلِّ الصِّـــراع السُّـــوريّ، وقد يكون هذا هو ســـبب الجمود في عمليَّة المَفاوضـات. وَيَعْرِضُ الإيرانيُّون الموقف المعروف في المواجهة مع الولايات المتحدة، وَيُؤَكِّدون، بأنَّ طهران تلتزم موقف "الصَّبْر الإستراتيجيّ"، الّذي يَسْمَحُ لها، بتَفَادي أزمة جديدة في المنطقة.

٤– بسل مقداد، **روسيا وإيران في سوريا: التحديات المقبلة**، نشر في ٥ / ١ / ٢٠٢١، موقع الهـ ن

أمَّا فيما يتعلق بالموقف من "إسرائيل"، فمواقف الطَّرَفَيْن مُتباعدة إلى حدٍّ كبيرٍ في مسألة دَوْرِ "إسرائيل" في الصِّراع السُّوريّ. حيث يُؤَكِّد الخبراء الرُّوس، أنَّ روسيا تتفاوض مع تركيا وإيران، وكذلك مع بُلدان الشَّرق الأوسط الصَّدِيقة للولايات المتحدة، بما فيها مع "إسرائيل". هذا المَوْقِف يَسْمَحُ لروسيا بالإحتفاظ بِدَوْرِ الوسيط النَّزيه في المنطقة، وذلك لحيادِها ومحافظتها على مسافةٍ واحدةٍ من اللَّاعبين الرَّئيسيِّين في المنطقة. أمَّا الخُبراء الإيرانيُّون، فَيَعْتَبِرُون أن موقف موسكو من "إسرائيل"، هو المشكلة الوحيدة الموجودة بين روسيا وإيران في سوريا، ويَتَّهِمُونَها بِغَضِّ النَّظَر عن الغارات الإسرائيليَّة على المواقع الإيرانيَّة في سوريا.

3- العلاقة الرُّوسيَّة-الإسرائيليَّة وأثرها على مستقبل الحلّ في سوريا:

تَنْبَع العلاقات الرُّوسيَّة الإسرائيليَّة من تاريخٍ طويلٍ ومُعَقَّدٍ من هجرة اليهود الرُّوس إلى "إسرائيل"، وَهُم يُشَكِّلون حوالي سبعة عشر بالمئة منَ السُّكَّان، كما تَنْبَع من قُوَّة اللُّوبي الصُّهيونيّ واليهوديّ الرُّوسيّ في موسكو، وفي مفاصل ومراكز صُنع القرار الإقتصاديّ والسِّياسيّ والأمنيّ الرُّوسيّ، ومن علاقات "إسرائيل" الدُّوليّة القويَّة مع أميركا وبلدان الغرب، وحاجة روسيا إلى هذا الدَّور.

إعتمدت المُنْطَلَقات السِّياسيَّة لعلاقة الطَّرفَين في سوريا، على سياسة واقعيَّة غير أيديولوجيَّة مُتَحَرِّرة من المخاوف القائمة على القِيَم، وَمُعْتَمِدَةً في نفس الوقت، على القوَّة الهادفة إلى تعزيز الأمن القوميّ الخاصّ بكِلا الدَّوْلَتَين، وتحقيق المصلحة الخاصَّة. فروسيا، ومن خلال السِّياسة الواقعيَّة الهادفة إلى تَقْوِيَة الوضع السِّياسيّ والعسكريّ في منطقة "الشَّرق الأوسط" والعالم، ترى أنَّ التَّعاون مع "إسرائيل" يُشَكِّلُ فرصةً مهمَّةً على هذا الصَّعيد، فهي ومن موقعها ونفوذها في الغرب تلعب دورًا كبيرًا في تخفيف درجة عزلة روسيا وتُحسِّن صورتها دوليًّا، كما يُمْكِن أن تستفيد من تطوُّرها التِّقنيّ في ظلِّ النَّقص في التِّقنيَّة المتطوِّرة بسبب العقوبات الغربيَّة على خلفيَّة الهجوم الرُّوسيّ على جورجيا عام ٢٠٠٨، وضمِّ شبه جزيرة القِرم عام ٢٠١٤، وغيرها من الأسباب[٤].

٤- بشار أحمد نرش، **سوريا في العلاقات الروسية والإسرائيلية-تناقضات ومصالح مشتركة**، موقع الجزيرة للدراسات، بتاريخ 11مارس ٢٠٢١، رابط: https://studies.aljazeera.net/ar/article/4948

أمَّا "إسـرائيل" فَتَرى أنَّ التَّعاون مع روسـيا يُشَـكِّل ضـمانةً لِتحقيق أهدافها في سـوريا، وَيُسـاعدها على صـيانة خطوطها الحمراء، الّتي حَدَّدَتْها بمجموعة من النِّقاط تَطَوَّرَت مع تطوُّر الأحداث لِتَشْمل:

أ . رفض الإنسحاب من هضبة الجولان السُّوريَّة المُحتَلَّة.

ب . مَنْع التَّمركُز العسكريّ لإيران في الأراضي السُّوريَّة.

ت . مَنْع اسْتحواذ فصائل المعارضة و"الميليشيات"، على أنظمة أسلحة متطوِّرة أو دمار شامل (كيميائيَّة أو بيولوجيَّة).

وبالنسبة لـــ "إسرائيل"، فَقَد سَعَتْ منذ انْدلاع الأزمة السُّوريَّة إلى محاولة احْتواء النُّفوذ الإيرانّي، قَبلَ أن تتبنَّى سياسة إخراجها من سوريا، وفي سبيل تحقيق ذلك، نفَّذ الطَّيَران الحربيّ "الإسرائيليّ" آلاف الطَّلعات الجوِّية بِغَضِّ نَظَرٍ روسيٍّ ضِمنيّ (تجنب الاشتباك)، حيث بلغ عدد هذه الطَّلعات، عام ٢٠٢٠ وحده، ألف وأربعمائة طَلْعَة جويَّة، قَصَـفَ خلالها خمسـون هدفًا إيرانيًّا، إلى جانب عشرين عمليَّة، وخاصَّةً عند الحدود السُّوريَّة– اللُّبنانيَّة. وتَتَلاقى هذه المصلحة من المصـلحة الأميركية أيضًـا، الّتي تُحاوِل ضَـبْطَ النُّفوذ الإيرانيّ في سـوريا، إلى جانب إدارة مصالحها مع روسيا من جهة، وموازنة المصالح الإسرائيليَّة من جهة أخرى.

أمَّا في موضـوع محاربة الحركات الإسـلاميَّة وما تُسَـمّيه روسـيا "الإسـلام الراديكاليّ"، وَيَرْتَبط هذا الأمر بالنِّسـبة لروسـيـا، بالأمن القوميّ النَّاتج عن قَلَقها جرَّاء زيادة عدد الرُّوس وَمُوَاطِني دُوَل آسيا الوُسطى، المُنْضَمِّين إلى "الفصائل الجهاديَّة" و"داعش" في سوريا.

وعلى الرَّغم من المصالح المُشتَرَكة، يَعْتَرِي هذه العلاقة مجموعة من المخاوف المُشْتَرَكة الّتي يُمْكِنُ تَلَمُّسها في ضوء الحقيقة التَّالية، وهي: إدراك كلِّ طرفٍ لأولويَّات الطَّرَف الثَّاني في المعادلة الّتي تجمع بينهما، فروسيا تُدْرِك أنَّ أولويَّة "إسرائيل" هي التَّحالف مع الغرب، وتحديدًا مع الولايات المتحدة باعْتِبارها الحليف الدَّائم والمَوْثوق، كما أنَّ "إسرائيل" تُدْرِك أنَّ علاقة روسيا معها، تُعْتَبَر عنصرًا من معادلة مركَّبَة تقوم عليها سياستها في "الشَّرق الأوسط". لذلك، نرى أن روسـيا على الرغم من علاقتها الجيِّدة مع "إسـرائيل"، تُحارِب إلى جانب إيران، الّتي تُعْتَبَر المُستهدَف الأوَّل لـــ"إسرائيل" في سوريا. وهنا تدخُل الولايات المتحدة الأميركية أيضًا، كَطَرَفٍ ثالثٍ يُقْلِقُها التَّرتيبات الإقليميَّة الّتي تعملُ عليها روسيا، في إطار العلاقة الرُّوسيَّة–الإسرائيليَّة، والّتي خَلَقَتْ تَحَدِّيًا أمام "إسـرائيل" حول كيفيَّة الحِفاظ على الشَّـراكة الإسـتراتيجيَّة مع الولايات

المتحدة والرَّغبة في تحقيق مصـــالح إقليميَّة، من خلال علاقاتٍ أَوْثَقَ مع روســيا الّتي تَعْتَبِرُها واشنطن خَصْمًا لَدُودًا.

بالمُحَصِّلة، يُمْكن القول: إنَّ التَّقارب والتَّعاوُن الرُّوسيّ–الإسرائيليّ في سوريا، هو تَقَارُبٌ تكتيكِيٌّ يَقومُ على أهدافٍ مشترَكةٍ ومؤقَّتَةٍ ورُؤْيَةٍ براغماتيَّةٍ مُتَبَادَلة، ولا يُشكِّل تحالفًا راسخًا يَسْتَنِد إلى رؤيةٍ ثابتةٍ بعيدةِ المدى، فكلُّ طَرَفٍ لا يَثِقُ بالطَّرَف الآخر، كونه يَعْلَمُ أنَّ سُـــلَّم الأولويَّات عنده، مُغايِرٌ لِسُلَّم أولويَّات الطَّرَف الآخر.

4– العلاقات الرُّوسيَّة–التُّركيَّة وأثرها على مستقبل الحلّ في سوريا:

لكي نَفْهَم أبعاد هذه العلاقات المُتشابِكة، نحتاج إلى بعض التَّفصيل للتَّناقُضات والمُشْتَرَكات بين الجانبين، وربما يكون أَوَّلَ التَّناقُضات وأَكْبَرَها، الإختلاف العميق بين المشروع السِّياسيّ التُّركيّ الحالي، لبناء نفوذٍ إقليميّ مَبْنِيّ على تصوُّرات الإسلام السِّياسيّ، الّتي تَعْتَبِرُها موسكو خَصْمًا اسْتراتيجيًّا فيما يتعلَّق بالمُكَوِّن الإسلاميّ فيها. خصوصًا الشِّيشان، وكذا فيما يَتَعَلَّق بِمستقبل واسْتقرار حلفائها في الجمهوريَّات السُّوفياتيَّة الإسلاميَّة السَّابِقة، أو بمنطقة الشَّرق الأوسط، فضلًا عن قلقها وعدم ارْتياحها التَّقليديّ تجاه أيَّة أداة اسْتخدَمَها الغرب وَمُخَابراته ضدَّها أو لتحقيق مصالحه، وهو ما يجعل من خصومَتِها تجاه توظيف الإسلام في السِّياسة له طبيعة اسْتراتيجيَّة عدائيَّة واضحة[4].

وقد قاد هذا التَّناقُض إلى اشْتباكٍ فعليّ بين الجانبين في كثير من الجبهات، على رأسها السَّاحة السُّوريَّة، وكان هذا الإشتباك غير مباشر في البداية، حتَّى تدخَّلَت روسيا مباشرةً في الصِّراع العسكريّ منذ العام ٢٠١٥، وهو ما قاد في أكثر من مَوْقِفٍ إلى صِدامٍ مباشر، من بينها إسقاط تركيًا طائرة عسكريَّة روسيَّة قُرْب حدودها، واعْتذارها لاحقًا.

وهناك أيضًا الصِّراع حول إدلب، ثمَّ الجبهة اللِّيبيَّة الّتي كانت محطَّةً أُخرى للإشتباك الرُّوسيّ–التُّركيّ، من خلال مواجهةٍ مباشرةٍ بين مُقاتِلين روس مرتزقة، مُنْتَمين إلى شركة (فاغنر)، وكذا سلاح ودعم روسيّ ضدَّ خُبَراء وضبَّاط وأسلحة تركيَّة تَسَرَّبَت إلى قوات من المجموعات المُتَشدِّدة من "داعش" و"القاعدة". وهي تَتَقَاطع مع نفس مكوِّنات المجموعات المُرَتَّبة بالمخابرات

٤– محمَّد بدر الدين زايد، **روسيا وتركيا نموذج العلاقات المتشابكة في عالم معقد**، نشر في [illegible] ٢٠٢١، موقع صحيفة اندبندنت عربية، رابط: ttps://www.independentarabia.com/node/181621

التُّركيَّة في سوريا. أمَّا السَّاحة الثَّالثة، فكانت في أذربيجان، عندما احْتَدَمت المواجهة بين أَرْمينيا حليف روسيا السَّابق وأذربيجان حليف تركيا الحالي.

وعلى عكس ما كان وما زال في أغلب الصِّراعات، إختارت موسكو في الأزمة السُّوريَّة بشكلٍ خاصّ، عَمَل ترتيبات مُشترَكة مع تركيا، من خلال بِدْء عمليَّة أستانة، كعمليَّة وهميَّة للوصول إلى تسوية للأزمة، وهي في الحقيقة عمليَّة إدارة للأزمة، ولِتنظيم قواعد الإشتباك في هذه الجبهة من دون الإنزلاق للتَّصعيد الشَّامل، وللحفاظ على ماء وجه أنقرة الّتي لها دورٌ أكبر في الإستراتيجيَّة الرُّوسيَّة.

على الأرجح، تُرَاهِن موسكو على مواصلة إبعاد أنقرة بأهميَّتها الإستراتيجيَّة عن الغرب وواشنطن تحديدًا، وأن يَتَراجع خطر تركيا العسكريّ في أيّ خُطَطٍ غربيَّةٍ لمحاصرة روسيا مرَّة أُخرى. وعلى الرَّغم من أنَّ هذا ليس أمرًا مؤكدًا في مثل هذا النَّمط المُعَقَّد من العلاقات، فإنَّه من الواضح أنَّ بوتين ما زال يُراهن عليه. كما أنَّ هناك مصالح إقتصاديَّة ضخمة، وتبادُلًا تجاريًّا مُهِمًّا بين البَلَدين. والأهمّ طريق الغاز الرُّوسيّ عبر الأراضي التُّركيَّة.

ويَطْرَحُ البعض هنا مبالغات عن دعمٍ روسيٍّ مُسْتَتِرٍ لتركيا، في صراعها مع دول شرق المتوسِّط الأُخرى في مسألة الغاز، لكن لا يرى كثيرٌ من خبراء الغاز هذا في ضوء ضخامة الغاز الرُّوسيّ، ومُقارنَةً بما هو مطروحٌ حتَّى الآن في كل منطقة غرب المتوسِّط. كما يُشير آخرون إلى تعاطفٍ تقليديّ روسيّ مع اليونان وقبرص، المُنْتَمِيَتَيْنِ إلى نفس الكنائس الأرثوذكسية مع روسيا، في نزاعهما مع تركيا، ما يُخَفِّفُ كثيرًا من الأحاديث حول دعمٍ روسيٍّ مُسْتَتِرٍ لتركيا في هذا الصِّراع.

من ناحية أخرى، يُمْكن طَرْحَ تصوُّرِ دورٍ آخرَ لتركيا في الإستراتيجيَّة الرُّوسيَّة، بإبعاد الغرب عن ساحات الصِّراع السُّوريَّة واللّيبيَّة، والمراهنة على إمكانيَّة التَّعامل لاحقًا مع أنقرة، عندما تترّسَّخ عزلتها وطلاقها عن الغرب. وفي الواقع إنَّ هذه الحجَّة قد يُرَدُّ عليها بأنَّ التَّعامل مع الغرب قد يكون أسهل من تركيا ذات التَّوجُّهات الأيديولوجيَّة المُتَشَدِّدة، على أنَّه في جميع الأحوال، تبدو فكرة خلط الأوراق وتعقيدها، مُتَّسِقَةً مع طبيعة المخَطَّط الإستراتيجيّ الرُّوسيّ.

وفي هذا الضــوء، ما يَعْنِينا في رســالتنا، بعد توضــيح هذه الخلفيَّة للعلاقات البَيْنِيَّة بين الطَّرَفين، هو قراءة مســار العلاقات الرُّوســيَّة التُّركيَّة من خلال الملف السُّــوريّ، وبوجهٍ خاصّ، ملف محافظة إدلب، حيث تَتّرَكَّز الفصـائل الإسـلاميَّة المُوالية لتركيا. ومن المهمّ الإشـارة إلى أنَّ فَرْض روسيا لرؤيتها في إدلب، حيث تتواجد جبهة النُّصـرة، سَيُعْتَبَرُ هزيمة لتركيا، ونقطة تحوُّلٍ

في العلاقات التُّركيَّة–الرُّوســـيَّة، ولذلك فإن حلًّا يحفظ ماء الوجه قد يكون مطروحًا من قبيل انْسحاب النِّظام إلى ما وراء نقاط المراقبة التُّركيَّة، وقيام تركيا وروسيا بإدارة المناطق الواقعة في الوَسَــط بشــكلٍ مُشْــتَرَك، وبالتَّأكيد يعني هذا إلغاء إمكانية عودة هيئة تحرير الشَّــام إلى هذه المناطق.

فيما تحاول تركيا أن تُثَبِّت معادلة تفرضها على روسيا، وعلى النِّظام في سوريا، وهي أنَّ مصالحها الإستراتيجيَّة في إدلب، أهمّ من مصالح روسيا في إدلب، وأن القضيَّة ليست قضيَّة لاجئين فحسب، وهي تُبْرِزُ نيَّتها بعدم الرَّغبة بالتَّضحية بما تَحَقَّق من تعاونٍ بينها وبين روسيا، وَتَضَعُ الكُرَةَ في ملعب موسكو، حتَّى لا تُضَحِّي بعلاقتها الإستراتيجيَّة مع أنقرة، في حال خَرَجَت الأمور عن السَّيطرة. وإنَّ إحدى أهمّ نتائج السِّجال حول إدلب، يُوْضِــح من جهةٍ المدى الّذي يُمْكن أن تتَّجه به تركيا نحو روســيا، وهو بالتَّأكيد يُفشِــل كلّ من راهن على تحوُّل تركيا من المُعسكر الغربيّ، نحو روسيا، حيث إنَّ ما تبحث عنه تركيا، ولا تزال، هو الإستقلاليَّة. ويُشير من جهةٍ أُخرى، إلى تَصَلُّبٍ في المرونة السِّياسيَّة الّتي مارسَها الطَّرَفان، والّتي كان من نتائجها فصْل ملفَّاتِ الخِلاف عن ملفَّات التَّعاون بشكلٍ براغماتيّ، وهو ما يجعل تركيا مَدْعُوَّة، كما قال رئيس الحركة القوميَّة التُّركيّ، دولت بهشلي، إلى إعادة تقييم علاقاتها مع روسيا.

إذًا، وَقَعَ التَّدخُّل الخارجي في صـــميم الصِّـــراع السُّـــوريّ، حيث كان لكلِّ حلفٍ أهدافه ومبرِّراته الخاصَّة، بعضها ينسجم مع القوانين الدُّوليّة، لأن الدَّولة السُّوريَّة هي الّتي وافقت على تدخُّل حلفائها مثل: روســـيا وإيران وحزب الله، الّذِين كان لهم دورٌ كبيرٌ في مواجهة الحركات السَّلفيَّة التَّكفيرية الّتي شَهَرَت السِّلاح، وَعَمِلَت على اسْتنزاف الدَّولة والمجتمع السُّوريَّيْن بُغْيَةَ السَّيطرة الكاملة عليهما، ولاسيما أنَّ هذه المعارضـــة المسلَّحة كانت مدعومة من دولٍ خارجيَّةٍ تَمَثَّلَت بالولايات المتحدة الأميركية وحلفائها، وإن كانت في الظَّاهر تَدَّعي محاربتها لداعش وأخواتها.

في نهاية هذا المبحث، يمكن الإســتنتاج أنَّ أَحَد أهمّ إخفاقات ما يُسَــمَّى بالمعارضـــة السُّوريَّة المدنيَّة–الوطنيَّة السُّوريَّة، هو سيطرة الفصائل الإسلاميَّة على المشهد السُّوريّ، وَتَدْوِيل الصِّراع، فقد سَمَحَت القُدُرات التَّنظيميَّة العالية لهذه الفصائل، بالإستيلاء على أراضٍ سوريَّة، لكنَّ عدم الإســتعداد شــبه الكامل للمعارضـــة المدنيَّة–الوطنيَّة للإعتراف بالنُّفوذ الحقيقيّ لهذه الجماعات، جَعَلَها مُفتقرةً إلى الوســائل أو الهياكِل لِمُواجهة القوات الاســلاميَّة على نحوٍ فعّال، حالما أَصْــبَحت هذه الأخيرة جزءًا من الصِّــراع الإقليميّ والدُّوليّ. وكان لِمِثْلِ هذا العجز مُضــاعفات بعيدة المدى، لأنَّ عدم قدرة المعارَضـــة على مواجهة هذه الجماعات، وممارَســة أيّ

نفوذ عليها، جعلها هي نفسها تَخْسَر دَعْمَ القِوى الخارجيَّة والدُّوليّة، الّتي امْتَعَضَت من سلوكيات الإسلاميِّين ونفوذهم الكاسح [٢] . [٤]

٤- عو والسراج, فيليب هوفما ن، **مَسَارُ المعارضة السِّياسيَّة السُّوريَّة نحو مآل التهميش**، نشر في ٢٢ م ٢٠٢٠، معهد كارنيغي، رابط: https://carnegie-mec.org/2020/05/22/ar-pub-81840

الخاتمة

بَدَأت الأزمة السُّوريَّة في سياق ما تمَّ تَسْمِيَته بـــ"الرّبيع العربيّ"، من خلال المُعارَضة السِّياسيَّة للنظام السُّوري من قِبَل المواطنين السُّوريّين، ولكنَّ مَجرى الأحداث أَثبَتَ أنَّ جُزءًا كبيرًا من المعارَضة لم يَكُن سياسيًّا، بل تَحَوَّل إلى نزاعٍ عسكريٍّ، مدعومًا من تنظيماتٍ من دولٍ عربيَّةٍ وإسلاميَّةٍ وأوروبيَّة، بل ومن الولايات المتحدة الأميركية ودُوَلِ الخليج وتركيا و"إسرائيل"، ولكلٍّ منها أهدافه الخاصَّة، وإنِ كان لها أهدافًا مُشْتَرَكة، تُرِيدُ تحقيقها في المنطقة، ولاسيَّما كَسْر حلقَة مهمَّة في مِحوَر المقاومة للهيمنة الأميركية والإحتلال الإسرائيليّ.

لَمْ يَكُنْ للإخوان المسلمين أيَّ حضورٍ بارزٍ في الحركات السَّلفيَّة الجهاديَّة في الأزمة السُّوريَّة، وإن كانوا مؤيّدين لسياسة بعض التَّنظيمات. وقد طغى طابع العُنْف على ممارسات تلك التَّنظيمات الّتي كان لها تأثيرٌ مباشرٌ على الأحداث في الأزمة السُّوريَّة، سياسيًّا وعسكريًّا. كما كان للإعلام وللدَّعم الخارجيّ دورٌ هامٌّ في تَرْكِيَتِها. فبعد أن باتت سوريا رهينة صراعاتٍ دوليَّةٍ إثْر كثرة التَّنظيمات الاسلاميَّة المُسَلَّحة المتواجدة على أراضيها، فإنَّ بلدًا من بلدان ثورات "الرَّبيع العربيّ" لم يحظَ بما حظيت به سوريا من تسليط أضواء إعلاميَّة عليها، حيث شكَّل العمل الإعلاميّ إحدى الرَّكائز الهامَّة في إسْتراتيجيَّة التَّنظيمات الاسلاميَّة الأكثر حضورًا.

وحيُث لَعِبَت هذه التَّنظيمات دورًا كبيرًا وفاعلًا في تغيير مسار التَّحرُّكات الشَّعبيَّة، فقد اسْتطاعت أن تَخْتَرِقَ صفوف المُعارِضين وأن تَجْذِبَ الشَّباب إلى القتال إلى جانبها في وجه الجيش السُّوريّ، وقد تفرَّعَت وتنوَّعَت واخْتلفت التَّنظيمات تحت العديد من المُسَمَّيات وتحت الشِّعار الإسلامي. فاسْتطاعت هذه التَّنظيمات أن تُشارك بالحرب بشكلٍ دمويّ.

لقد أَطْلَقت هذه التَّنظيمات على نفسها إسم المُعارَضة، رَغْمَ أنَّها مُغايِرة للمُعارَضة السُّوريَّة الرَّئيسيَّة والّتي اضْمَحَلَّت مع الوقت. فكانت أهداف هذه التَّنظيمات هي السَّيطرة على الأراضي السُّوريَّة وتطبيق الشَّريعة الاسلاميَّة بحسب ما يناسبها منها.

كما لم يكن لهذه التَّنظيمات من هدفٍ سوى تفتيت الدَّولة السُّوريَّة، وحين سَيْطَرَ عناصر داعش على تلك المنطقة، في العام ٢٠١٤، إستخدَموا المعدَّات الموجودة لاسْتخراج النّفط وتكريره بطرق غير آمنة، للحصول على عوائد ماليَّة تُمَوِّل عمل التَّنظيم المُتَطَرِّف. حيث واصَلَ تنظيم داعش محاولاته للإستفادة من إيرادات حقول النّفط في سوريا، وآخرها بِفَرْض إتاوات على بعض مُسْتَثْمري الآبار النّفطيَّة في الشِّمال الشَّرقيّ، التَّابع لسيطرة قوات سوريا الدِّيمقراطيَّة (قسد).

كذلك سَيْطَرَت الجماعات الاسلاميَّة على أراضٍ في جميع أنحاء سوريا، كما وَقَعَت المعارك فيما بينها وضدَّ العديد من الأعداء مثل قوات سوريا الدِّيمقراطيَّة والتَّحالف الذي تقوده الولايات المتحدة، والحكومة السُّوريَّة بمساعدة روسيا وإيران، وجماعات المُعارَضة المُسَلَّحة المدعومة من تركيا، وجميعهم واصلوا تطهير فلول داعش في مناطقهم.

أمَّا على مستوى الجانب السِّياسيّ للأزمة السُّوريَّة، فقد حَصَلَ انْقسام بُنْيَوِيٌّ وتفريغٌ لبعض المدن من سكانها، وتدميرٌ للمجتمع المدنيّ. إضافةً إلى ذلك، حَصَلَت اخْتلالات أمنيَّة وانْتشرت ظاهرة التَّطرُّف الجهاديّ على الحدود مع دول الجوار، بسبب تزايد أعداد النَّازحين. وكان الإنعكاس الأهمّ، هو انْحسار سُلْطَة الدَّولة وغياب دَوْر الحكومة المركزيَّة عن أجزاء واسعة من البلاد. ولا نغفل عن التَّداعيات على الجانب الإنسانيّ والإجتماعيّ والإقتصاديّ، ولاسيما تفاقم الأزمات الإجتماعيَّة، وتردِّي الأوضاع المعيشيّة، كما فقدان النِّظام لجزءٍ كبير من الأراضي الغنيَّة بحقول النّفط. وتدمير البنية التحتيَّة وانْهيار القطاع الصِّناعي في الكثير من المُدُن السُّوريَّة.

وعلى الرغم من أنَّ الأزمة السُّوريَّة قد بدأت كإنتفاضة شعبيَّة للمجتمعات المحليَّة ضدَّ السُّلطة، ولكنها سرعان ما أُحيلت إلى أيديولوجيا وإلى مشروعٍ سياسيّ. وحيث لم تستطِع هذه الحركات، ولاسيما السَّلفيَّة التَّكفيرية الّتي تُطْلِقُ على نفسها لقب "جهاديَّة"، التَّعايش مع النِّظام البعثيّ في سوريا، فإنَّها لم تستطِع أيضًا أن تُحَقِّق أهدافًا سياسيَّة تنمويَّة تصبُّ في المصلحة العامَّة للدَّولة والمجتمع السُّوريّ.

وبالفعل بقيت الحركات الاسلاميَّة والجهاديَّة أساس الحراك المسلَّح بالعموم، فَلَعِبَت دورًا سياسيًّا، عسكريًّا وإعلاميًّا، يَعْمَلُ على إرهاب من لا ينسجم مع خطِّها الفكريّ ومشروعها السِّياسيّ. وقد شكَّلَت المواقف والتَّدخُّلات الخارجيَّة، عاملًا رئيسًا في تأجيج الصِّراع، وحَسْمِ المعركة عسكريًّا. ولكنَّ النِّظام السُّوريّ برئاسة بشار الأسد، مع حلفائه روسيا وإيران وحزب الله، مدعومين من القِوى الشَّعبية السُّوريَّة الموالية، اسْتطاع أن يَحْسِمَ المعركة لصالحه، مُستفيدًا من أنَّ هذه الحركات خاضت معارك عنيفة فيما بينها، في سبيل المُنافسة على السُّلطة والمال والنُّفوذ في سوريا.

لقد شكَّلت الحرب على/وفي سوريا ظواهر وحقائق جديدة، وَوَضْع ما لم يُمْكِن تخيُّله أو اسْتشرافه أو تحليله في كلِّ الأبعاد؛ وذلك في مستوى القِوى والأحزاب والتَّيارات والحركات والمُنَظَّمات المُختلفة، وبالتَّحديد موضوع بحثنا الحركات الإسلاميَّة، حيثُ انْهار كل شيء: الأيديولوجيا والتَّنظيم والأدبيَّات والأهداف والتَّحالُفات والقِيَم عموماً. مع الأخذ بالعلم بأنَّ مجال

البحث لا يتَّسع للتَّعمُّق في كَوْن كلّ الشِّعارات والبُنى الفكريَّة القائمة على أساس إمكانيَّات ومساعي العمل والتَّغيير وِفْقَ نظريَّات ومناهج مُخَطَّطة، والإنسجام بين الوسائل والأهداف، والإتِّحاد مع حقيقة الحاجة الشَّعبية، والقواعد المُختلِفة للمجتمع ومكوِّناته النّخبويَّة، وعوامِه وسائر التَّطلُّعات والطُّموحات.

وفي اللَّحظة الحاسمة، عندما انْهارت الدَّولة، وأُزيل كابوس الرُّعب والتَّخويف للنَّظام الأمنيّ المُفْتَرَض، وعندما أصبح كل شيء ممكن لِتُحَقِّق كلّ الأحزاب والقِوى الاسلاميَّة كلّ ما تُريد وتَحلُم به، في فرصةٍ تاريخيَّةٍ يُمكِن فعل أيّ شيء، زالت الحُجَج والذَّرائع وانْكَسَرَ القَيْد، وَحَصَلَ الفشل الذَّريع (أي فشل الحركات الاسلاميَّة). فإذا بالجميع مُفْلِس فكريًّا، بل غريب وبعيد عن المجتمع، وكأنَّها مُسوخٌ لم تتمكَّن حتَّى من تكوين إطارٍ جامعٍ قياديٍّ، وَبُنَى للإدارة الذَّاتيَّة أو اسْتيعاب وتوجيه للجماهير والنَّاس.

فَطَرَحَت تلك الحركات ما لديها، وَفَشِلَت في كلّ شيء، فلم تكن الجماهير والمجتمعات الدِّمشقيَّة والحلبيَّة أو الحمصيَّة، وسائر الأماكن السُّوريَّة، بيئة جامعة لهذه الحركات، بل على العكس، دَفَعَت أثمان باهظة بسببها، وفي ممارساتها وتطبيقاتها. وفشلت تلك القِوى في وراثة الدَّولة أو تحقيق إدارة أو إجراءات تجعلها تَظْهَرُ بأنَّها من هذا المجتمع مثلاً. والحقيقة ظَهَرَت أنَّها مرفوضة، وَتَحْمِلُ ما لا يمكن قَبوله، وما لا يمكن له أن يَسْتَمِرّ إلا بالحديد والنَّار وبظلاميَّة جديدة.

وحيث انْهارت هذه التَّيارات والقوى الاسلاميَّة إلى انحرافٍ عن هويتها التَّأسيسيَّة، فقد خلعت ثوبها التَّاريخيّ، وَذَهَبَت إلى تَبَنِّي أفكار واتِّجاهات جديدة، منها السَّلَفيّ، أو الجهاديَّة السَّلفيَّة، أو انْتهاج طُرُقِ العنف والقَتْلِ والحرب والتَّسَلُّط، حتى على مجتمعاتها وبيئتها؛ كما ذهَبَت في ارْتِباطِها إلى اقصى تَطَرُّف، لدرجة تصفية بعضها البعض. وكأنَّها تُعْلِن الإفلاس الفكريّ، وتَأْخُذُ بنظريَّاتها وإسلامها الأساسيّ، إلى التَّوجُّه في كلِّ اتِّجاهٍ يُحَقِّقُ وَيُثْبِتُ بأنَّ الغايةَ تُبَرِّر الوسيلة بأبشع صُوَرِها.

لقد دَخَلَت هذه القوى والتَّيارات الاسلاميَّة الحرب بهويَّة، وَخَرَجَت بهويَّة أُخرى لا تُشْبِه مُطْلَقًا حقيقتها، مُتَحَوِّلةً إلى شيءٍ آخر، وَمُثَبِّتَةً اسْتحالةَ قُدْرَتِها إلى اسْتلام الحُكم، وانْعزالها عن المجتمع ومحيطها، بحيث ستكون دائما أجنبيَّة عنه. كما وأثبَتَت أنَّها لم تَسْتَطِع طوال سنوات الحرب، اسْتخلاصَ العِبَر وتحديد أهداف وأساليب عمل؛ بلْ إنَّ العَقْلَ الجمعيَّ والمُنَظِّرون، ظلُّوا قاصرين عن إدراك ماذا يجب أن يفعلوا.

وَبَعْدَ أن تحالَفَت هذه القِوى مع الغرب وأميركا و"اسرائيل"، ومع دول الخليج، ومع كل الجهات السَّلفيَّة الجهاديَّة والإرهابيَّة، ومع مُرْتَزَقَةٍ من شتَّى أنحاء العالم، قُدِّمَت لها المساعدات، وقُدِّم الدَّعم الأَمَمِيّ السِّياسيّ والأمنيّ والعسكريّ والماليّ في فرصةٍ تاريخيَّة، بعد أن أرادها الجميع في تحالفٍ عالميّ فريدٍ من نوعه، لِتَغْطِيَة حتى الحركات المُصَنَّفة إرهابيَّة، مثل القاعدة وداعش وكل رُوَّاد العُنف والعلمانيّين.

وفي حين أراد الجميع انْهيار النِّظام، كما لم تَجِد بعض التَّيارات الاسلاميَّة من حَرَجٍ في وضع اليد مع "إسرائيل"، وأخْذِ العتاد والسِّلاح والعلاج والتَّخطيط المُشْتَرَك والتَّعاون. فقد انْحَسَرَت سيطرة الدَّولة إلى حدود ربع المساحة، وعلى الرَّغم من ضعف النِّظام والدَّولة، مع تفاوتٍ كبيرٍ في ميزان القِوى بين التَّحالُف العالميّ والجهة الأخرى بالإمكانيَّات المحدودة لتستعيد السَّيطرة وتزدهر الدَّولة من جديد.

كلّ ذلك يشكل مادَّة مراجعة كبيرة تَضَعُ هذه الحركات والتَّيارات الاسلاميَّة، أمام أزمةٍ وجوديَّةٍ وفكريَّةٍ وتنظيميَّةٍ وسياسيَّةٍ وَعَقَدِيَّةٍ في العُمق. فبعد أن حَصَلَت على فرصة تاريخيَّة، إلا أنَّها دُمِّرت ذاتيًّا بسبب الفشل الذَّريع في كلِّ المجالات.

أمَّا الحقائق الجديدة الّتي ظَهَرَت، إنَّما هي في الواقع موجودة وليست طارئة ومُسْتَجِدَّة، وليست بسببِ تَدَخُّلٍ خارجيّ وَدَعْمٍ أقوى من أميركا و"اسرائيل" والغرب والعرب والإرهاب والمرتزقة والعلمانيّين. وهي ليست بسبب دعمٍ من البعض للنِّظام على الرَّغم من دوره الأساسيّ، ولكن في الحقيقة لقد انْهارَت تلك القوى على نفسها قبل هذا التَّدخُّل، ولم تَكُنْ لِتَّحَقِّقَ انْتصارًا في حَرْبٍ عالميَّةٍ ضدَّ النِّظام، وَتُلْحِقَ أكبر هزيمةٍ في أكبر تَحالُفٍ وفي جوهره الحركات والتَّيارات الاسلاميَّة. بل في التَّوصيف، لم تَكُن لِتُحَقِّقَ كلَّ ذلك، لولا الدَّور الإنقاذيّ للمجتمع والشَّعب، من الخَراب الّذي أَلْحَقَتْه هذه الحركات. أي لولا الطَّلاق والبُعْد بين التَّيارات والحركات الاسلاميَّة، وَمُجْتَمَعِها الحاضن كما يُفْتَرَض، فقد كان من المستحيل لأيَّة قوَّة خارجيَّة، بأن تُنْجِز هذا النَّصر الإنقاذيّ.

لِذا يُمكن ببساطة إرجاع كل ما حَصَلَ في سوريا، وكلّ نصرٍ وكلّ هزيمةٍ وكلّ إضاعةٍ لكلِّ الفرص للتَّغيير، كما يَعْتَبِرون ويُنَظِّرون، سَبَبُه فَشَل كلّ هذه التَّيارات، وهي بَعْدَ الحرب شيء آخر. فأيَّة أهداف وأيديولوجيَّات للتغيّير سيحملون ويرفعون؟

وهنا نرفع بعض الأسئلة: هل المشكلة في العقيدة؟ أم في الأسلوب؟ أم في النَّهج الحزبيّ والتَّنظيميّ؟ هل المشكلة في السِّياسة وغياب النُخَب؟ أم في القيادة؟ لا تنتهي الأسئلة ولكنَّ المُؤَكَّد أنَّ هذه الحركات والأحزاب والقِوى، هي هجينة وليست في هذا الزَّمن، بمعنى أنَّها بعيدة عنه كلَّ

البُعد، وليسَتْ مِنْ قِيَم هذا العصر، ولا مِن ثقافة وحضارة هذه البشريَّة، وَلَن يُكْتَب لها النَّجاح مُطْلَقًا طالما هي كما هي عليه الآن.

المصادر والمراجع

أولًا: المراجع القانونية:

- ميثاق الأمم المتحدة، الفصل السابع.
- اتفاقيات جنيف ١٩٧٧، الملحق (البروتوكول) الأول الإضــافي، اللجنة الدُولّية للصليب الأحمر.

ثانيًا: الكتب العربية والمترجمة:

- ابن تيمية، **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**، الطبعة الأولى، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، جدة، ٢٠٠٨.
- ابن تيمية، **فقه الجهاد**، دار الفقه العربي، لبنان، ١٩٩٢.
- أبو حمدان، ســمير، **عبد الرحمن الكواكبي فلســفة الاســتبداد**، دار الكتاب العالمي، لبنان، ١٩٩٢.
- أبو زيد، نصر حامد، **التفكير في التَّكفير ضد الجهل والزيف والخرافة**، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥.
- الاتحاد الإســلامي العالمي للمنظمات الطلابية، **الجهاد في ســبيل الله: أبو الأعلى المودودي حســن البنا ســيد قطب**، الطبعة الثانية، النادي الشــبابي، مصــر، ١٩٧٠.
- **الأحزاب السِّياسيَّة في سوريا**، منشورات دار الرواد، دمشق، ١٩٥٤.
- أحمد الحكمي، حافظ، **معارج القبول بشـرح سـلم الوصـول إلى علم الأصـول**، الطبعة الثالثة، دار ابن القيم، السعودية، ١٩٩٥.
- باروت، محمَّد جمال، **يثرب الجديدة الحركات الاســلاميَّة الراهنـة**، الطبعة الأولى، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت.
- بدران، عبد القادر، **المدخل إلى مذهب الامام احمد بن حنبل**، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٦.
- بركات، أكرم، التَّكفير ، الطبعة الأولى، دار الأمير، لبنان، ٢٠١٤.
- بن حنبل، احمد، **كتاب السنة**، المطبعة السَّلفيَّة ومكتبتها، السعودية، ١٩٣٠.
- بن عبد الوهاب، محمد، **كتاب الكبائر**، دار الوطن للنشر، الرياض، ١٩٩٦.

●بن عبد الوهاب، محمد، **كشف الشبهات**، الطبعة الثانية، مؤوسسة النور للطباعة والتجليد، الطبعة الثانية، ١٩٧١.

●البنا، حسن، **مجموعة رسائل الامام الشهيد حسن البنا**، دار الدَّعوة، مصر، ١٩٨٤.

●البوطي، **الجهاد في الإسلام كيف نفهمه وكيف نمارسه؟**، الطبعة الأولى، دار الفكر، سوريا، ١٩٩٣.

●بيريه، توماس، **مكونات الإسلام السِّياسيّ في سورية: المصلحون السياسيون العلماء والديمقراطية**، ترجمة عومرية سلطاني، مكتبة الإسكندرية، وحدة الدراسات المستقبلية، مصر، ٢٠١٢.

●التركي، عبد الله، **المذهب الحنبلي**، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، لبنان، ٢٠٠٢.

●الجبوري، عبد الجبار حسن، **الأحزاب والجمعيات السِّياسيَّة في القطر السُّوري من أواخر القرن التاسع عشر إلى سنة ١٩٥٨**، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠.

●جدعان، فهمي، **الماضي في الحاضر**، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ١٩٩٧.

●الحنفي، عبد المنعم، **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الاسلاميَّة**، الطبعة الأولى، دار الرشد، مصر، ١٩٩٣.

● الدقر، عبد الغني، **أحمد بن حنبل امام أهل السنة**، الطبعة الرابعة، دار القلم، دمشق، ١٩٩٩.

● ديب، كمال، **تاريخ سوريا المعاصر من الانتداب الفرنسي إلى صيف ٢٠١١**، الطبعة الأولى، دار النهار، لبنان، ٢٠١٢.

● رايسنر، يوهانس، **الحركات الاسلاميَّة في سورية من الأربعينيات وحتى عهد الشيشكلي**، ترجمة محمَّد الأتاسي، الطبعة الأولى، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ٢٠٠٥.

● السباعي، مصطفى، **اشتراكية الإسلام**، الطبعة الثالثة، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، بدون تاريخ.

●سري الدين، عايدة، **الأكراد في العالم تاريخهم ومستقبلهم**، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزء الأول، ٢٠١٨.

●سعد الدين، عدنان، **الإخوان المسلمين في سوريا مذكرات وذكريات**، المجلد الأول ما قبل التأسيس وحتى عام ١٩٥٤، دار عمار، الأردن، ٢٠٠٦.

●سـلادن، جيمس، وعدة باحثين، **الاسـتراتيجية الروسـية في الشـرق الأوسـط**، مؤسسة راند، ٢٠١٧.

● سـلامة، عبد الغني، **كيف يصـنعون الظلام**، مكتبة دار العرب، السـعودية، ٢٠١١.

●سـيد أحمد، رفعت، **النبي المسـلح الرافضـون**، الطبعة الاولى، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ١٩٩١.

●سـيد قطب، **في ظلال القرآن**، الطبعة الثانية والثلاثون، دار الشـروق، مصـر، ٢٠٠٣.

● سيد قطب، **معالم في الطريق**، الطبعة السادسة، دار الشروق، مصر، ١٩٧٩.

● سيد قطب، **هذا الدين**، الطبعة الخامسة عشرة، دار الشروق، مصر، ٢٠٠١.

●شاتز، هاوارد، جونسون، ايرين، **الدَّولة الاسلاميَّة الّتي عرفناها**، مؤسسة راند، ٢٠١٦.

● عبد الرزاق، أحمد، **فلسـفة المشـروع الحضـاري بين الإحياء الإسـلامي والتحديث الغربي**، الطبعة الأولى، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن، ١٩٩٥.

●عبد الغفار، فيصـل، **الربيع العربي**، الطبعة الاولى، دار الجنادرية للنشـر والتوزيع، عمان، ٢٠١٥.

●عدنان زرزور، **مصـطفى السـباعي الداعية المجاهد والفقيه المجدد** الطبعة الثانية، دار القلم، سوريا، ٢٠٠٣.

●عزام، عبد الله، **الحق بالقافلة**، بيت المقدس للنشر والتوزيع، الكويت، ٢٠١٤.

●عزام، عبد الله، **الدفاع عن أراضـي المسـلمين أهم فروض الأعيان**، دار بن حزم، ١٩٩٠.

●عفان، محمد، **الوهَّابيَّة والإخوان**، الطبعة الأولى، جسـور للترجمة والنشـر، لبنان، ٢٠١٦.

●العقل، ناصـر، **منهج محمَّد بن عبد الوهَّاب في مسـائل التَّكفير** ، الطبعة الأولى، دار الفضيلة، السعودية، ٢٠٠٥.

●عمارة، محمد، **أبو الأعلى المودودي والصحوة الاسلاميَّة**، دار السلام، سوريا، ٢٠١١.

● عمارة، محمد، **الإسـلام والحرب الدينية**، الطبعة الأولى، مكتبة الشـروق الدُّوليّة، مصر، ٢٠٠٤.

• عمارة، محمد، **الفريضة الغائبة**، الطبعة الأولى، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٩.
• عمارة، محمد، **جمال الدين الأفغاني موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام**، الطبعة الثانية، دار الشروق، مصر، ١٩٨٨.
• فاروق، مصطفى، **الكرد السوريون والحراك الديموقراطي**، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٣.
• فان دام، نيقولاوس، **الصِّراع على السلطة في سوريا**، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٦.
• قاسم، عبد الحكيم، **المذاهب الصوفية ومدارسها**، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي، مصر، ١٩٩٩.
• القرضاوي، يوسف، **التربية السِّياسيَّة عند الامام حسن البنا**، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة، مصر، ٢٠٠٧.
• الكواكبي، عبد الرحمن، **أم القرى**، المطبعة المصرية بالأزهر، مصر، ١٩٣١.
• المجذوب، محمد، **القانون الدُّوليّ العام**، الطبعة السادسة، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٧م.
• مجموعة باحثين، **سوريا ممانعة الطائفة وعنف الحركة**، الطبعة الثالثة، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الامارات، ٢٠١١.
• المدخلي، ربيع، **أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره**، الطبعة الأولى، دار الآثار للنشر والتوزيع، مصر، ٢٠٠٧.
• مرتضى، محمد، **صناعة التوحش**، لبنان، دار الولاء، الطبعة الأولى، ٢٠١٦.
• مروة، حسين، **النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلاميَّة**، الطبعة الثانية، دار الفارابي، لبنان، ٢٠٠٨.
• المشعبي، عبد المجيد، **منهج ابن تيميَّة في مسألة التَّكفير** ، المجلد الأول، الطبعة الأولى، مكتبة أضواء السلف، السعودية، ١٩٩٧.
• المودودي، أبو الأعلى، **الدين القيم**، مؤسسة الرسالة، لبنان، ١٩٨٤.
• المودودي، أبو الأعلى، **تدوين الدستور**، الطبعة الخامسة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١.
• المودودي، أبو الأعلى، **تذكرة يا دعاة الإسلام**، مجموعة رسائل، منبر التوحيد والجهاد.

●المودودي، أبو الأعلى، **مبادئ الإسلام**، الطبعة الثالثة، مكتبة الشباب المسلم، سوريا، ١٩٦١.

●المودودي، أبو الأعلى، **واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم**، مكتبة الشباب المسلم، سوريا، ١٩٥٦.

●الهضيبي، حسن، **دعاة لا قضاة**، الطبعة الأولى، دار التوزيع والنشر الاسلاميَّة، مصر، ١٩٧٧.

● هيغهامر، توماس، **الجهاد في السعودية**، ترجمة أمين الأيوبي، الطبعة الأولى، ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، ٢٠١٣.

●هيكل، محمد، **الجهاد والقتال في السياسة الشرعية** الطبعة الثانية، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٦.

ثالثًا: رسائل وأطروحات:

●حبوش، أسماء، **دور حركات الإسلام السِّياسيّ في عملية التحول الديمقراطي في الوطن العربي**، جامعة محمَّد بوضياف بالمسيلة–كلية الحقوق والعلوم السياسية–قسم العلوم السياسية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في العلوم السِّياسيَّة والعلاقات الدُّوليّة–تخصص: إدارة محلية، السنة الجامعة ٢٠١٩–٢٠٢٠.

●حسين، أمجد، بشكار، محمد، **الشراكة السِّياسيَّة لدى حركات الإسلام السِّياسيّ دراسة حالة حركة حماس**، جامعة محمَّد بوضياف بالمسيلة–كلية الحقوق والعلوم السياسية–قسم العلوم السياسية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في العلوم السِّياسيَّة والعلاقات الدُّوليّة–تخصص: إدارة محلية، السنة الجامعة ٢٠١٩–٢٠٢٠.

●عبد العال، أحمد، النعاجي، ضو، **السياسة الخارجيَّة للولايات المتحدة تجاه حركات الإسلام السِّياسيّ في العالم العربي**، بحث مقدم لنيل درجة الماستر في العلاقات الدُّوليّة، الجامعة الاسلاميَّة العالمية، ماليزيا، كلية أحمد إبراهيم، قسم القانون الدُّوليّ والعلاقات الدُّوليّة.

●مطر، علي، **أثر التنظيمات المتطرفة على الأمن القومي العربي**، أطروحة دكتوراه (داعش أنموذجا)، الجامعة الاسلاميَّة في لبنان، ٢٠١٩.

●الميلع، رين، **الإسلام السِّياسيّ والإرهاب في سورية نموذج مقارن بين الإخوان والنصرة وداعش**، بحث اعد لنيل دبلوم في الشؤون الدُّوليّة والدبلوماسية، الأكاديمية السُّوريَّة الدَّولة للتدريب والتطوير، ٢٠١٧.

رابعًا: الأبحاث:

- أبو الإسعاد، محمد، **السعودية والإخوان المسلمين**، مركز الدراسات والمعلوماتية القانونية لحقوق الإنسان، مصر.
- أبو هنية، حسن، **تنظيم القاعدة والجهاد الإلكتروني**، مركز الجزيرة للدراسات، أيلول ٢٠١٠.
- الاستانبولي، غسان، **سوريا وروسيا بين الصداقة والمصالح**، الميادين نت، تشرين الأول ٢٠٢٠.
- إعداد الدراسات الاجتماعية، **الحركات السَّلفيَّة والقتالية ١، "حركة أحرار الشام، التحولات الهيكلية والسياسية الراهنة"**، الطبعة الأولى، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، لبنان، العدد الخامس، كانون الأول ٢٠١٧.
- إعداد الدراسات الاجتماعية، **الحركات السَّلفيَّة والقتالية ٢، "جيش الإسلام: الأيديولوجيا الفكريَّة والرؤى السياسية"**، الطبعة الأولى، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، لبنان، العدد الثاني، نيسان ٢٠١٦.
- إعداد الدراسات الاجتماعية، **الحركات السَّلفيَّة والقتالية ٣ (جبهة النصرة: من القاعدة إلى فتح الشام)**، الطبعة الأولى، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، لبنان، العدد الثالث، شباط ٢٠١٧.
- إعداد الدراسات الاجتماعية، **الحركات السَّلفيَّة والقتالية ٤، جيش خالد بن الوليد: بين الصِّراع المحلي والتهديد الإقليمي**، الطبعة الأولى، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، لبنان، العدد الرابع، حزيران ٢٠١٧.
- إعداد الدراسات الاجتماعية، **الحركات السَّلفيَّة والقتالية ٥، "فيلق الرحمن: امال ثورية وصراع من أجل البقاء"**، الطبعة الأولى، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، لبنان، العدد الخامس، كانون الأول ٢٠١٧.
- إعداد الدراسات الاجتماعية، **الحركات السَّلفيَّة والقتالية ٦، "حركة نور الدين زنكي: الاعتدال المزيف"**، الطبعة الأولى، المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، لبنان، العدد السادس، شباط ٢٠١٨.

●**إعلام تنظيم داعش ومنصاته**، المركز الأوروبي، تشرين الثاني ٢٠١٧، تاريخ الاستشارة ٢٠٢٠\٣\١٣. المركز الأوروبي لدراسات مكافحة الإرهاب والاستخبارات (europarabct.com)

●الأفندي، عبد الوهاب، **الحركات الاسلاميَّة واثرها في الاستقرار السِّياسيّ في العالم العربي (دراسة تحت عنوان "الحاكات الاسلاميَّة: والنشأة والمدلول وملابسات الواقع")**، الطبعة الأولى، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الامارات، ٢٠٠٢.

●**الانسحاب الأميركي من سوريا: الأسباب والسياقات والتداعيات**، مركز الجزيرة للدراسات، كانون الأول ٢٠١٨، تاريخ الاستشارة ٢٠٢٠\٩\١٣.

●**أهي سياسات المالكي وحساباته الخاطئة أم أنها الدَّولة الاسلاميَّة في العراق والشام**؟ ورقة تقدير موقف، قطر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٤\٦\١٥.

●باروت، محمَّد جمال، **الأحزاب والحركات والجماعات الاسلاميَّة**، الجزء الأول، الطبعة الثالثة، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، دمشق، ٢٠٠٠.

●بلحاج، عبد الصمد، **الصوفيون والإخوان المسلمون في سورية... البوطي ومدرسته (الإسلام النائم التصوف في بلاد الشام)**، الطبعة الأولى، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الامارات، ٢٠١٣.

●بلقزيز، عبد الاله، **بين السَّلفيَّة وإرهاب التَّكفير (بحث تحت عنوان "التفكير في التَّكفير ")**، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحدة العربي، لبنان، ٢٠١٦.

●**التقرير الاستراتيجي السنوي ٢٠١٨**، المعهد الدُّوليّ للدراسات الإيرانية.

●التقي، سليمان، **التضامن الكبير: الوحدة الخليجية وسط اضطرابات إقليمية في شرق أوسط غير متوازن**، انتصار فقير، واشنطن، معهد كارنجي للسلام الدُّوليّ.

●تودمان، ويل، **ترجمة محمَّد شمدين**، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، مركز الدراسات الاستراتيجية والدُّوليّة، قطر، ١٨ تشرين الثاني ٢٠١٦.

●الجنجاني، الحبيب، **الصحوة الاسلاميَّة في بلاد الشام: مثال سوريا (الحركات الاسلاميَّة المعاصرة في الوطن العربي)**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٧.

● جول، محمد، **الوهَّابيَّة والسلفية الأفكار والآثار** (ورقة بحثية تحت عنوان "الحركة الوهَّابيَّة في ميزان التأصيل السلفي")، الطبعة الأولى، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، لبنان، ٢٠١٦.

●الحاج، عبد الرحمن، **اتجاهات الإســـلام السِّـــياســـيّ في ســـورية-التحول الدمقراطي في سـوريا والخبرة الإسـبانية**، الطبعة الأولى، مركز القاهرة لدراسـات حقوق الإنسان، مصر، ٢٠٠٩.

● الحاج، عبد الرحمن، **الدَّولة والجماعة التطلعات السِّياسيَّة للجماعات الدينية في سوريا ٢٠٠٠-٢٠١٠**، مركز التواصل والأبحاث الاستراتيجية، تركيا، ٢٠١٠.

● الحاج، عبد الرحمن، **من الطليعة المقاتلة إلى قاعدة الجهاد العالمي**، ط ٣، الإخوان المســلمون في ســوريا ممانعة الطائفة وعنف الحركة، مجموعة باحثين، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الامارات، ٢٠١١.

● حداد، غسـان، **من تاريخ سـوريا المعاصـر ١٩٤٦-١٩٦٦**، الطبعة الأولى، مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية، عمان، ٢٠٠١.

●حسن، عمار، **التّيار السلفي الخطاب والممارسة**، الامارات، سلسلة محاضرات الامارات، العدد ١٦٢، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠١٣.

●حنفي، حسـن، **الحركات الاسـلاميَّة وأثرها في الاسـتقرار السِّـياسـيّ في العالم العربي**، مجموعة باحثين، دراسة تحت عنوان "الإسلام السِّياسيّ بين الفكر والممارسة"، الطبعة الأولى، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ٢٠٠٢.

● خضـور، أحمد، **سـوريا في قلب العالم! أهمية جيوسـياسـية واقتصـادية في المعادلة الدُّوليّة**، مركز دراسات كاتيخون، ٢٠١٦/٩/٢٦.

●الخطيب، لينا، ومجموعة باحثين، **سياسة الغرب تجاه سوريا: تطبيق الدروس المستفادة**، برنامج الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، آذار ٢٠١٧.

●خليفي، عبيد، مصـطفى، شـكري: **الإسـلام الغاضـب لجماعة التَّكفير والهجرة**، مركز المسبار للدراسات والبحوث، ٢٠٢٠.

●الرنتيسـي، محمود سمير، **تركيا: التوازن الصعب بين شريك محدود الموثوقية وحليف خصم**، مركز الجزيرة للدراسات، كانون الأول ٢٠١٨.

●زيادة، رضـــوان، **الإخوان المســـلمون في ســـوريا الدين والدَّولة والديمقراطية (الإخوان المسـلمون في سـوريا ممانعة الطائفة وعنف الحركة)**، الطبعة الثالثة، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الامارات، ٢٠١١.

●زيادة، رضـوان، **الإسـلام السِّياسـيّ في سوريا**، الطبعة الأولى، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الامارات، العدد ١٣٧، ٢٠٠٨.

●زيمرمان، كاثرين، **تنظيم القاعدة عدو أميركا الأصـــلي**، ترجمة مروان زكريا، معهد المشاريع الأميركية، ٢٠١٧.

- سـجادبور، كريم، **إيران حليف سـوريا الإقليمي الوحيد**، مركز كارنيغي للشـرق الأوسط، حزيران ٢٠١٤.
- سـلطان بال، السَّـلفيَّة **الكويتية ونفوذها المتنامي في بلاد الشـام**، مركز كارنيغي، أيار ٢٠١٤.
- سلمي، جلال، **السياسة التركية حيال الأزمة السُّوريَّة "٢٠١٢٢٠١٧"**، المركز الديمقراطي العربي، حزيران ٢٠١٧.
- السويدي، جمال، **السراب**، الطبعة الأولى، مركز الامارات للدراسات والبحوث، الامارات، ٢٠١٥.
- شبكة شام، **تحت المجهر.... الإعلام الرسمي والرديف لـ"هيئة تحرير الشام"**، كانون الثاني ٢٠٢٠.
- عامر، ناريمان، **سـوريا: فيما يؤجج سـلمها ويطفئ عنفها...عوامل السـلم الأهلي والنزاع الأهلي في سـوريا**، مركز المجتمع المدني والديمقراطية في سـوريا، ٢٠١٣.
- عبد الغني، عماد، **الإسـلاميون بين الثورة والدَّولة: إشـكالية إنتاج النموذج وبناء الخطاب**، الطبعة الأولى، مركز دراسات الوحرة العربية، لبنان، ٢٠١٣.
- علوش، محمد، **وسائل الإعلام العربية والغربية وموقعها من التنظيمات الدينية المتطرفة**، مؤتمر جماعات العنف التَّكفيري، المركز الاسـتشـاري للدراسـات والتوثيق، بيروت، أيلول ٢٠١٥.
- علي، بدرخان، **الصِّراع الاجتماعي\السياسي في سياق الثورة\الحرب...(عوامل السـلم الأهلي والنزاع الأهلي في سـوريا)**، مركز المجتمع المدني والديمقراطية، سـوريا، ٢٠١٣.
- عليوان، هشـام، الغوش، فادي، **البوطي الدَّعوة والجهاد والإسـلام السـياسـي**، الطبعة الأولى، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ٢٠١٢.
- عماد، عبد الغني، **الجماعات الصوفية والاسلاميَّة الأنماط الجديدة للتدين في سـوريا (الإسـلام النائم التصـوف في بلاد الشـام)**، الطبعة الأولى، مركز المسـبار للدراسات والبحوث، الامارات، ٢٠١٣.
- غسـان حداد، **أوراق شـامية من تاريخ سـوريا المعاصـر ١٩٤٦-١٩٦٦**، الطبعة الأولى، مركز المستقبل للدراسات الاستراتيجية، الأردن، ٢٠٠١.

• الغضـــبان، نجيب، **الحركة الاســـلاميَّة السُـــوريَّة وآفاق التحول الديمقراطي (الإخوان المسـلمون في سـوريا ممانعة الطائفة وعنف الحركة)**، الطبعة الثالثة، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الامارات، ٢٠١١.

• غيليس، ميليســا، **نزع الســلاح دليل أســاســي**، الطبعة الرابعة، الأمم المتحدة، مكتب شؤون نزع السلاح، نيويورك ٢٠١٨.

• قعيق، ياســمين، **ســوريا بين الاحتواء والخنق الاســتراتيجي**، مركز باحث للدراسات الفلسطينية والاستراتيجية، بيروت، ٢٠١٧.

• لافان، أرنو، **حركة إســلامية في ظل نظام عســكري (جماعة زيد الدمشــقية أنموذجًا)**، ترجمة محمَّد عبد الرؤوف، الإخوان المســلمون في ســوريا ممانعة الطائفة وعنف الحركة، مجموعة باحثين، الامارات، مركز المســبار للدراســات والبحوث، ط ٣، ٢٠١١.

• اللبان، شــريف، محمد، نهى، اســتراتيجيات التنظيمات الإرهابية في توظيف الوسائل الإعلامية، المركز العربي للبحوث والدراسات، آب ٢٠١٩. (acrseg.com)

• ليسـتر، تشـارلز، **التنافس الجهادي: الدَّولة الاسـلاميَّة تتحدى تنظيم القاعدة**، دراسة تحليلية صادرة عن مركز بروكنجز الدوحة، رقم ١٦، كانون الثاني ٢٠١٦.

• ليســتر، تشــارلز، **تحديد معالم الدَّولة الاســلاميَّة-دراســة تحليلية**، مركز بروكنجز، الدوحة، رقم ١٦، ٢٠١٤.

• المصـطفى، حمزة، **جبهة النصـرة لأهل الشـام: من التأسـيس إلى الانقسـام"، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسـة السـياسـات**، مجلة سياسيَّات عربية، العدد ٥، نوفمبر ٢٠١٣.

• معهد دراسـات الحرب (ISW)، **فصـائل المعارضـة السُـوريَّة المسـلحة**، مركز إدراك للدراسات والاستشارات، ٢٠١٦\١٢\١٣.

• الموصــللي، أحمد، **الحركات الاســلاميَّة واثرها في الاســتقرار السِّـياســيّ في العالم العربي (دراسة تحت عنوان "الديمقراطية والتعددية السِّياسيَّة في العالم العربي)**، الطبعة الأولى، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الامارات، ٢٠٠٢.

• نزال، عمران، **الطرق الصـوفية في الأزمة السُـوريَّة وحدة الجذور واختلافات المصـير (الإسـلام النائم التصـوف في بلاد الشـام)**، الطبعة الأولى، مركز المسـبار للدراسات والبحوث، الامارات، ٢٠١٣.

• نظير الأتاسـي، أحمد، **التدين الإسـلامي والثورة السُـوريَّة من منظور نفسـي- اجتماعي: التدين الإسلامي في سوريا ٢**، معهد العالم للدراسات، ٢٠١٧.

•نيوف، صــلاح، **الإســلام السِّــياســيّ في ســوريا (خريطة معرفية) (الإخوان المســلمون في ســوريا ممانعة الطائفة وعنف الحركة)**، الطبعة الثالثة، مركز المسـبار للدراسات والبحوث، الامارات، ٢٠١١.

•واحدة، شكران، **الإسلام في تركيا الحديثة: بديع الزمان النورسي**، ترجمة محمَّد فاضل، ٢٠٠٧.

•ويري، فريدريك، **الحسابات الخليجية في الصِّراع السوري**، مركز مالكوم كير– كارنيغي للشرق الأوسط، حزيران ٢٠١٤.

•يونـغ، ويليام، ستبينز، ديفيد، فريدريك، براين، الشـاهري، عمر، **امتداد الصِّـراع في سورية: تقييم للعوامل الّتي تساعد وتمنع انتشار العنف**، مؤسسة راند، كاليفورنيا، ٢٠١٤.

خامسًا: الصحف والمجلات والمقبلات والمؤتمرات:

•" **دمهم ما زال هنا–عمليات الإعدام واطلاق النار العشوائي واتخاذ الرهائن من قبل قوات المعارضــــة في ريف اللاذقية**، تقرير أعدته "منظمة هيومن رايتس ووتش، ١١\١٠\٢٠١٣.

•الأســدري، مختار، **عبد الرحمن الكواكبي وحركة الإصــلاح الديني مشــروع مناهضة الاستبداد**، مجلة المنهاج، العدد ٤٤، ٢٠٠٧.

•البوطي، **السلم في الإسلام مصدره وضماناته**، جامعة دمشق، كلية الشَّريعة، مجلة دراسات إسلامية، العدد ١٥، ٢٠٠٩.

•بيرطي، بندطه، **عدم الهدوء في ســورية: ماذا بعد؟**، عدكان إسـتراتيجي، مجلد ١٥، عدد ١ (نيسان / أبريل ٢٠١٢).

•توفيق، فهمي، **عبد الحميد ابن باديس رائد الإصـــلاح والنهضـــة في تاريخ الجزائر الحديث**، السعودية مجلة الدرعية، العدد ٢٠، السنة الخامسة، ٢٠٠٣.

•جمال، عبد الوهَّاب جابر، **البروباغاندا الإعلامية**، عربي برس، كانون الثاني ٢٠١٨، تاريخ الاستشارة ٣\٣\٢٠٢١.

•الحاج، عبد الرحمن، **ظواهر الإســلام السِّـياســيّ وتياراته في ســورية**، موقع الراصـد، سلسـلة الكترونية شـهرية متخصـصـة بشـؤون الفرق من منظور أهل السـنة، ٢٠١١.

•حجي، بسام مصطفى، مقابلة أجراها موقع سوريتنا مع عضو المكتب السِّياسيّ لحركة نور الدين الزنكي، ٢٠١٧\١١\٢٨.

• الحداد، حسام، رضـا، رشيد، **تأسيس الأيديولوجية الوهَّابيَّة في مصر**، موقع بوابة الحركات الاسلاميَّة، بتاريخ ٢٠٢٠\٩\٢٣.

•الحريري، محمد، **الجذور التاريخية لظاهرة التَّكفير عند الخوارج**، مؤتمر ظاهرة التَّكفير ، المحور ٢، البحث ٦.

•الخالدي، خزيم، **التغطية الإعلامية للأزمة السُّوريَّة وأثرها في تشكيل الموقف السـياسـي**، مجلة كلية الفنون والإعلام، السـنة الرابعة، العدد السـابع، حزيران ٢٠١٩، جامعة مصراتة، ليبيا.

•خروبات، محمد، **الإصلاح السِّياسيّ عند الشيخ محمَّد رشيد رضا**، مجلة الفك لإسلامي المعاصر، العدد ٢٦، ٢٠٠١.

•السبتي، محمد، **فقه المعارضة بين حسن البنا وسعيد النورسي**، مجلة دراسات رسائل النور، العدد الخامس، ٢٠٢٠\٧\٥.

•عبد القادر، نزار، **روسيا والأزمة السورية: مصالح جيواستراتيجية وتعقيدات مع الغرب**، مجلة الدفاع الوطني، العدد ٨٤، نيسان ٢٠١٣.

• علي سـليمان، أحمد، **مبادئ الإصـلاح التربوي عند الامام بديع الزمان النورسـي**، مجلة النور للدراسـات الحضـارية والفكريَّة، العدد ١٤، السـنة السابعة، ٢٠١٦.

• عيد، علي، **"داعش" حوران... التحولات والقيادات... وفشـل خطة الصـدمة والترويع (٢١١) زمان الوصل**، السبت ٢٠١٦\٣\٢٦.

•الفتلاوي، محمد، **الجهاد في الفكر الإسـلامي دراسـة في المفهوم والآداب والشكليات**، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، العراق، العدد ١٩، ٢٠١٦.

•المنصـر، صـبرا، **ما هي أسـباب انفصـال جبهة النصـرة عن تنظيم القاعدة؟** الشرق الأوسط، ٢٠١٦\٧\٢٩.

•منصـور، تريز، **إعلام داعش: الوسـائل والخطاب الدعائي والتقنيات**، مجلة الدفاع الوطني، لبنان، العدد ١٠، نيسان ٢٠١٧.

•مؤسـسـة السـحاب، **أيمن الظواهري: كلمة إلى رجال الإعلام الجهادي**، لقاء بتاريخ ٢٠٠٧/١٢/١٦. Analysis of the State of ISI

•موقع الراصـد، **القبيسـات التنظيم النسـائي الصـوفي**، سـلسـلة إلكترونية شـهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة، العدد ٣٣.

•هيغهايمر، توماس، **كم عدد المقاتلين الأجانب الذين ذهبوا إلى القتال في سوريا**، bbc news، 2\8\2015.

•هيومن رايتس ووتش، **سوراي: على التحالف الأمريكي معالجة الأضرار اللاحقة بالمدنيين**، تموز ٢٠١٩، تاريخ الاستشارة ٢٠٢٠\٩\١٣.

•وكالة خطوة، **حركة المثنى تؤيد الدَّولة الاسـلاميَّة والخليفة وداعش يهدد سـرا بعض فصائل الجيش الحر في القنيطرة**، الأحد ٢٠١٥\٣\١٨.

سادسًا: المراجع الأجنبية:

•Analysis of the State of ISI, https://ctc.usma.edu/harmony-program/analysis-of-the-state-of-isi-original-language-2.

•**Ankara cautious as Turkey- US launch joint safe zone patrols in northern Syria**, Daily Sabah, 08 September 2019 Date of Entry: ٠٨ August 2020, 6: 10 am https: //www. dailysabah. com/war-on-terror/2019/09/08/ankara-cautious-as-turkey-us-launch-joint-safe-zone-patrols-in-northern-syria

•Araz Ahmad, Nazakat in Hamasaeed, **The Role of Social Media In The 'Syrian Uprising'**, 2015.

•Batsheva Sobelman, **Netanyahu expresses support for Kurdish independence**, Los Angles Times, 29 june 2014, Date of Entry١٤ : JANUARY 2020. https: //www. latimes.

com/world/middleeast/la-fg-netanyahu-israel-iraq-kurdistan-20140629-story. html

- Brian Michael Jenkins, **The Dynamics of Syria's Civil War**. Santa Monica, CA: RAND Corporation, 2014. https://www.rand.org/pubs/perspectives/PE115.html- Brian Jenkins, **the role of terrorism, and terror in syria's civil war**, RAND, 2013.

- Erica Bradi, **An analysis of Patterns of Change Arising from the Syrian Conflict: Islamic Terrorism, Refugee Flows and Political Destabilization in Europe,** access date: 1-10-2022: https://cvir.st-andrews.ac.uk/articles/10.15664/jtr.1298/print

- European Asylum support office, **Syria actors, EASO**, report, 2019.

- Hannah allam, **records show how irsqi extremists withstood U.S. anti-terror efforts**, 24\6\2014. https://www.adn.com/nation-world/article/records-show-how-iraqi-extremists-withstood-us-anti-terror-efforts/2014/06/23/

- Nour Malas, Maroa Abi-Habib, **Islamic State Fills Coffers From Illicit Economy In Syria,Iraq**, The Wall Street Journal, 28\8\2014. https://www.iraqoilreport.com/daily-brief/islamic-state-fills-coffers-illicit-economy-syria-iraq-13083./

- Stathis Kalyvas, **The Logic of violence in the Islamic State war",** The Washington post, 7\7\2014. https://www.washingtonpost.com/news/monkey-cage/wp/2014/07/07/the-logic-of-violence-in-islamic-states-war/?arc404=true

- U.S government, **Homeland Security And Governmental Affairs United States Senate**, 2016.

سابعًا: المواقع الإلكترونية:

- https://al-akhbar.com/Opinion/297178
- //https://www.annahar.com/..../248773
- http: //archive. almanar. com. lb/article. php?id=992209
- http: //www. shaam. org/news/syria-news
- http: //www. shaam. org/news/syria-news
- http://alaqsagate.org/vb/showthread.php?t=24278
- http://albaathmedia.sy/2016/12/04

- http://dohainstitute.org/Home/Details?entityID=5d045bf3-2df9-46cf-90a0-d92cbb5dd3e4&resourceId=fbf11d47-9b17-4c5c-9f7b87188428834
- http://dspace.univ-msila.dz:8080/xmlui/handle/123456789/23082
- http://dspace.univ-msila.dz:8080/xmlui/handle/123456789/23082
- http://hrlibrary.umn.edu/arabic/DIIIIAS.html
- http://ojs.spiruharet.ro/index.php/jedep/article/view/109
- http://sahafahnet.com/show1203764.html
- http://studentrepo.iium.edu.my/handle/123456789/8141
- http://www.alrahmancorps.com/
- http://www.haaretz.co.il/news/politics/1.1642813
- http://www.nashiri.net/index2.php?option=com
- http://www.shaam.org/news/syria-news
- https: //24. ae/article/530825
- https: //alkhaleejonline. net
- https: //anfenglish. com/kurdistan/declaration-of-establishment-by-syrian-democratic-forces-12947
- https: //arabi21. com/story/868650

- https: //eipss-eg. org
- https: //www. aa. com. tr/ar
- https: //www. alalamtv. net/news/3780161
- https: //www. alghad. tv
- https: //www. alhurra. com/latest/2016/02/01
- https: //www. bloomberg. com/news/articles/2019-10-05/erdogan-signals-imminent-turkey-incursion-of-northeast-syria
- https: //www. dailysabah. com/war-on-terror/2019/09/08/ankara-cautious-as-turkey-us-launch-joint-safe-zone-patrols-in-northern-syria
- https: //www. france24. com/ar/20181219
- https: //www. france24. com/ar/20190808
- https: //www. kuna. net. kw/ArticleDetails. aspx?id=2254888&Language=ar
- https: //www. latimes. com/world/middleeast/la-fg-netanyahu-israel-iraq-kurdistan-20140629-story. html
- https: //www. nytimes. com/2019/10/20/world/middleeast/trump-troops-syria-turkey. html
- https: //www. spa. gov. sa/viewstory. php?newsid=1036208
- https: //www. turkpress. co/node/56711

- https: //www. waseelatv. com/2019/08/07
- https: //www. washingtoninstitute. org/ar/policy-analysis/view/kurds-now-our-best-ally-against-isis-in-syria
- https: //www. zamanalwsl. net/news/article/114531/
- https://180post.com/archives/13139
- https://akhbarak.net/news/8934882/articles/22472269
- https://al-ain.com/article/reality-israeli-position-syria
- https://alarabi.press
- https://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=5473
- https://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=5572
- https://arabic.sputniknews.com/arab_world/201710311027118597
- https://carnegieendowment.org/sada/55530
- https://carnegie-mec.org/2014/06/09/ar-pub-55878
- https://carnegie-mec.org/2014/06/12/ar-pub-55905
- https://carnegie-mec.org/2020/05/22/ar-pub-81840
- https://ctc.usma.edu/harmony-program/analysis-of-the-state-of-isi-original-language-2.
- https://democraticac.de/?p=47298
- https://eipss-eg.org

- https://enabbaladi.net/archives/146659
- https://idraksy.net/syrian-armed-opposition-forces-aleppo/
- https://katehon.com/ar/article/swry-fy-qlb-llm-hmy-jywsysy-wqtsdy-fy-lmdl-ldwly
- https://ojs.univ-tlemcen.dz/index.php/MFM/article/view/556
- https://our-syria.com/
- https://stepagency-sy.net/2015/03/08/%
- https://studies.aljazeera.net/ar/article/4948
- https://studies.aljazeera.net/ar/article/621
- https://studies.aljazeera.net/ar/files/2010/2011721234431343723.html
- https://studies.aljazeera.net/ar/reports/2016/09/160905105641550.html
- https://studies.aljazeera.net/sites/default/files/articles/reports-ar/documents/c9b88aacbe5c4f96845c96d2216a47ac_100.pdf
- https://www.adn.com/nation-world/article/records-show-how-iraqi-extremists-withstood-us-anti-terror-efforts/2014/06/23/.
- https://www.alalamtv.net/news/8\11\2013
- https://www.alghad.tv/
- https://www.aljazeera.net/ebusiness/2005/4/15

- https://www.aljazeera.net/encyclopedia/movementsandparties/20
16/7/24/.
- https://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews
- https://www.aljazeera.net/programs/behindthenews/2016/7/28
- https://www.aljumhuriya.net
- https://www.aljumhuriya.net/ar/30108
- https://www.almayadeen.net/articles/blog/1429960
- https://www.almayadeen.net/articles/blog/938570
- https://www.almayadeen.net/news/politics/1458644/14
- https://www.almesbar.net/%
- https://www.almodon.com/arabworld/2018/6/19.
- https://www.alquds.co.uk/
- https://www.baladi-news.com/ar/articles/6916.
- https://www.bbc.com/arabic/inthepress-47270148
- https://www.bbc.com/arabic/live/39526973
- https://www.bbc.com/arabic/worldnews/2015/08/150802_syria_f
oreign_fighters
- https://www.bipa.gov.bh/crisis_management/
- https://www.chathamhouse.org/sites/default/files/publications/res
earch/CHHJ5400_Western_Syria_policy_Arabic_170724_WEB.pdf

- https://www.criticalthreats.org/wp-content/uploads/2017/07/Zimmerman_Americas-Real-Enemy-The-Salafi-Jihadi-Movement.pdf
- https://www.dohainstitute.org/ar/PoliticalStudies//Pages/Crisis_in_Iraq_Is_It_al-Malikis_Policies_and_Miscalculations_or_Is_It_ISIS.aspx
- https://www.enabbaladi.net/archives/135008.
- https://www.eremnews.com/news/arab-world/528807
- https://www.france24.com/ar
- https://www.france24.com/ar/20160729
- https://www.hrw.org/ar/news/2019/07/09/331759
- https://www.hrw.org/ar/report/2013/10/11/256480.
- https://www.ikhwanwiki.com/index.php?title
- https://www.independentarabia.com/node/181621
- https://www.iraqoilreport.com/daily-brief/islamic-state-fills-coffers-illicit-economy-syria-iraq-13083/
- https://www.irishtimes.com/news/the-al-zarqawi-beliefs-allah-has-permitted-us-to-repay-them-in-kind-1.1158951
- https://www.islamist-movements.com/2602
- https://www.islamist-movements.com/35235
- https://www.islamist-movements.com/36706

- https://www.newlebanon.info/lebanon-now/148255
- https://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/perspectives/PE100/PE185/RAND_PE185z1.arabic.pdf
- https://www.rand.org/content/dam/rand/pubs/perspectives/PE200/PE236/RAND_PE236z1.arabic.pdf
- https://www.rand.org/pubs/research_reports/RR1267.html
- https://www.sana.sy/?p=626525
- https://www.skynewsarabia.com/middle-east/1176987
- https://www.syriahr.com/%D9%81%D8%B5%D8%A7%D8%.
- https://www.un.org/disarmament/wp-content/uploads/2018/09/Arabic-ODA-Disarmament-A-Basic-Guide.pdf
- https://www.un.org/securitycouncil/ar/sanctions/1267/aq_sanctions_list/summaries/entity/al-nusrah-front-for-the-people-of-the-levant
- https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/kyf-ghyrt-alhrb-alswryt-almwaqf-tjah-altqarb-alrby-alasrayyly
- https://www.washingtonpost.com/news/monkey-cage/wp/2014/07/07/the-logic-of-violence-in-islamic-states-war/?arc404=true
- https://www.youm7.com/story/2017/1/24/

- https://www.zamanalwsl.net/news/article/69796.
- reading.almarja.net
- Stathis Kalyvas, The Logic of violence in the Islamic State war",

The Washington post, 7\7\2014.

- www.icrc.org